# **TIGHT BINDING BOOK**

UNIVERSAL LIBRARY OU\_190273

#### Osmania University Library

Call No. 2. 116 1974— Accession No. 809
Author
Title

CSMANNING TO TELL

Title

This book should be returned on or before the date last marked below

# رمح المغذن الاسلامي

وهو يبحث في نشوه الدولة الاسلامية وتاريخ مصالحها الادارية والسياسية والجندية وبيان ثروتها وتاريخ العلم والادب والتجارة والصناعة فيها ونظام الهيأة الاجهاعية وآدابها والعادات والاخلاق الخ

تأليف

جرجی زیدان

منشىء الهلال

الجزء الثاني

في ثروة الدولة الاسلامية وثروة رجال حكومتها وخلفائها وأسباب تكوّن تلك النزوة وأسباب أنحطاطها وثروة المملكة ومدنها وقراها

( الطبعة الثالثة )

مطبعة الهلال بشارع نوبار نمرة ٤ بمصر سنة ١٩٢١

## مقدمة الطبعة الاولى

في مثل هذا اليوم من العام الماضي صدر الجزء الاول من هذا الكتاب وكان لصدوره تأثير في عالم الاقلام لاهمية موضوعه وحداثة عهده في هذا اللسان. فقر ظته الصحف وكتبت فيه المقالات الانتقادية ووردت الينا كتب الفضلاء من رجال الدلم في مصروسوريا وأوربا وأميركا وفارس والهند مشحونة بعبارات التنشيط والاستحثاث على المثابرة في هذا السبيل وفيهم من لم يكن يظن تأليف هذا الكتاب ممكناً لقلة المآخذ المساعدة على ذلك فزادنا هذا كله نشاطاً واقداماً على هذا العمل الجليل

ومن غريب ما اتفق لنافي أثناه تأليف هذا الكتاب اننا أعلنا عزمناعلى تأليفه ونحن لا نتوقع أن يجتمع عندنا من وواده ما يربد على مثل هذا الجزء فلما شرعنا في درس الموضوع والتنقيب عما ينطوي تحته من الابحاث الفلسفية التاريخية مما يتعلق بموامل التمدن الاسلامي انكشف لنا من أحوال ذلك التمدن ما لم يكن يخطر بالبال فانسع المجال للقلم فرأينا الموضوع يشغل أربعة أضعاف ماقدرناه . فاصدرنا الجزء الاول وفيه مقد، التقييدية عن حال العرب قبل الاسلام الى تهضتهم الأخيرة ثم ظهور الاسلام وانتشاره ونشأة الدولة الاسلامية وتواريخ مصالحها وجندها وبيت مالها . وقانا في مقدمة ذلك الجزء اننا ستنشر بقية الكتاب في ثلاثة اجزاء أخرى في مثل حجمه الجزء اننا ستنشر بقية الكتاب في ثلاثة اجزاء أخرى في مثل حجمه

ك-الة الحزء الثاني زاد المجال انساعاً ولم يعد يكفي الباقي مناسباء الثاني زاد المجال أن المساء المراعلي ستة

أما هذا الجزء فموضوعه « ثروة الملكة الاسلامية ، وهي ركنء من أركان ذلك التمدن. وقد قسمنا البحث فيها الى «ثروة الدولة الاسلامية أي ثروة الحكومة ورجالها والى • ثروة الملكة الاسلامية عأَيْرُ وةالبلاد وأهلها . وبحثنا في ثروة الدولة بحثًا تاريخيًا فلسفيًا فَابتدأنا بتاريخ تلك الثروة من أيام النبي فالخلفاء الراشدين فبني أمية فالمباسيين . ويبناً الآسباب التي دعت الى تقلب هذه الثروة واختلافها باختلاف تلك الدول وعلاقة ذلك بطبيعة كل دولة و نظامهاوقوانينها . حتىوصلناالى ثروة الدولة الاسلامية في المصر المباسي فقسمناه الى عصرين «الأوّل» وهو المصر الزاهر و « الثاني ، أوعصر الانحطاط.وفي العصرالعباسي الاول نضعبت الثروة وبلغت معظمها ففصلنا الكلام فيه تفصيلاً. وصدرناه بتمهيد في تاريخ ذلكالمصروما ساعد على قيام هذه الدولة. ثم عمدنا الى النظرفي ثروة الدولة العباسية وقبل الشروع فيه أتينا بفذلكة في جغرافية المملكة الاسلامية في القرن الشالث للمحرة شفمناها بخريطة لبيان نسبة الولايات الاسلامية بمضها الى بمض . ثمذكرنا ثروة العباسيين من أيام السفاح والدولة في طفولتها حتى بلغت أشدها في أيام الرشيد والمأمون فأتينا بثلاثقوائم مالية عن ارتفاع جبايتها فيأيام المأمون وبعيده وقابلنا بينها. فـكان مقدارماييق في بيت مال الحكومة نحو ٣٠٠ مليون درم في السنة وهي بقية لم تنفق لدولة من الدول . فعمَّدنا إلى النظر في أسباب تلك الثروة فأفضى ذلك الى النظر في مصادر الجبــاية ونفقاتها وآسباب كثرة الخراج وقلة النفقة . فأسباب كثه ة ١٠١١ أ

قلة النفقة ثلاثة : (١) قلة الموظفين (٧) عدم وجود الدين على الحكومة (٣) اقتصاد الخلفاء الاولين

ولما فرغنا من الثروة المباسية فيالعصر الاول نظرنافي أحوالها في عصر الانحطاط وقدمنا الكلام بفصل في علة ذلك الانحطاط ثم . قدار الجباية في ذلك العصر. وبحثنا في سبب تناقصها فحدا ذلك بنا الى النظر في أسباب قلة الجباية وكثرة النفقات \_ وأسباب قلة الجباية خسة : (١) ضيق الملكة (٢) تخفيض الخراج المضروب (٣) استثنار العال بالجباية (٤) انشغال الناس بالفتن عن العمل (٥) تحوّل اكثر البلاد الى ضياع. واسباب كثرة النفقات خمسة أيضاً: (١) اسراف الخلفاء ونسائهم وفيه بحث في ما بلغت اليمه ثروة نساء الخلفاء (٧) كثرة أبواب النفقة في الدولة (٣) زيادة الرواتب – وتحت هذا الباب تفصيل عن تاريخ رواتب موظفي الحكومة من العال والكتاب والوزراء والقضاة ثم أهل الخلفاء وحاشيتهم فالجند ورواتب أخرى (٤) النفقة على البيمة (٥) استثنار رجال الدولة بالاموال لانفسهم ويتفرغ من ذلك بحثعن حال الوزراء في عصرالانحطاط وتفشى داء الرشوة فيهم وما يجتمع اليهم من الاموال وبيت مال الحكومة فارغ والخلفاء يشكون الفقر. وما آل اليه ذلك من مصادرة الوزراء وأخذ أموالهم بالقوه وبجثنا مثل هذا البحث أيضاً في العمال والكتاب والحجاب وختمنا هذا القسم بخلاصة اجمالية للموضوع

ثم عمدنا الى النظر في القسم الثاني وهو « ثروة المملكة الاسلامية » أي ثروة البلاد وأهلها فتكلمنا اجمالاً عن حالة البلاد في ذلك المصر وعن اختصاص الثروة بالمدن وأسباب انحصارها في الفئة الحاكمة ومن ينتمي اليهم من أهل الوجاهة والنفوذ وسائر أهل البلاد في فقر مدقع . وختمنا المكلام بوصف أشهر المدن الاسلامية في مصر والشام والعراق والفرب كالبصرة والكوفة والفسطاط وبنداد وغيرها وما بلنت اليه من الثروة والعمران في عهدذلك التمدن

ولما صدر الجزء الاول من هذا الكتاب عرف الفضلاء أهمية موضوعه ووعورة مسلكه فعمد ارباب الاقلام الى تقريظه وانتقاده في الجرائد والمجلات فضلاً عن الكتب الخصوصية فرأينا في مجمل ذلك ١٠ نشطنا لكننا رأينا لبعضهم انتقاداً لمواضع من الكتاب عدها خطأ لانها لا تطابق مايملمه هو من مآخذ هذا الموضوع فرددنا عليه و بينا له ان التعبة في ذلك على قلة ماوصلت اليه يده من تلك المآخذ وأسندنا كل قول من أقوالنا الى مصدر وثيق اجمع المؤرخون على صحته (راجع المؤيد عدد ٣٧٥٧ و٣٥٥٣) وقرأ نانحو ذاك الانتقاد في حرائد أخرى تعجل فيها الـكاتب الى الحبكم علينا بالخطأ في بعض المواضع ـ والخطأ في تمجله ــ لا ننا لم ننقل حقيقة تاريخية عن غير الثقاتُ من المُؤْر خين وقد أُوردنا أكثر أسمائهم في مقدمة الجزء الاول قاو اطلع المنتقدون على تلك المصادر ككفوا أنفسهم مؤونة الانتقاد . وكان قد خطر لنا ونحن نكتب ذلك الجزء أن نذيل صفحاته بالمآخذ التي نقلنا عنها تلك الحقائق ولكننا أمسكنا عنذلك صنأ بصفحات الكتاب لاننالم نبدرأ يأولا قلنا قولاً الاوسندنا فيه كـتابُ أو عدة كتب فالاشارة الى تلك الكتب في ذيل الصفحات تستغرق جانباً منها ـ على اثنا لوفعلنا ذلك لكفينا أنفسنا وكفينا حضرأت المنتقدين مؤونة العناء في الاخذ والرد بلاطائل وقد توسمنا في مجمل ما قرآنا من التقاريظ والانتقادات رغبة حضرات الكتاب في ذكر المآخذ. وكتب اليناجماعة من أهل الفضل النيورين على العلم يستحثوننا على ذلك وبينهم بضعة من علماء الهند وفارس نذكر منهم عالماً كبيراً من علماء الهند عرف قراه العربية فضله من بعض ما نشر بينهم من آثار علمه ــ نعني صديقنا شمس العلماء الشيخ شبــلي النماني ناظر العلوم والفنون فيحيدر اباد دكن فانهمن اوسعالناس اطلاعاً على التاريخ الاسلامي وآدابه . فلما اطلع على الجزء الاول كتب اليناكتابًا يسفر عن تقديره هذا الموضوع حقّ قدره ولكنه انتقداغفالنا ذكر المآخذ في ذيو ل\الصفحات قال :« استلمت كتاب تار يخ التمدن الاسلامي بغاية الشوق لان موضوع الكتاب بمهني بنوع خاص. ولم اعرضه على احد الا اعجب به غاية الاعجاب وظني ان تأليفكم هذا يترجم الى لساننا الاردو (الهندستاني) ولا شك أنه يقع موقع ألقبول في البلاد الاسلامية كلها. ولكنني أنتقد عليكم امراً لايسمني كمانه وهوان دأبكم في التأليف انكم تكتفون بذكر مصادر الكتاب في أوله اجمالا ً من غير النزام الاستشهاد في كل محل وموضوع ـــ وفيه مفاسد كثيرة \_ مها اننا رأينا كثيرين من مستشرقي اوربا يذكرون اموراً مهمة من المسائل العلمية أو الاختراعات وينسبونها الى العرب فنغترُّ بذلك ويذهب بنا الفخركل مذهب ثم اذا راجمنا الاصل وحققنا الامر يظهر أنهم استنوقوا الجل وماكان هناك شيء يذكر ولا مأثرة تنقل – لانقول أنهم يتعمدون الكذب ولكنهم يغلطون في الاستنباط. فلوكانوا يذكرون مصادر الرواية ومآخذها لكان يسهل لنا المراجعة اذا مسَّت الحاجة . ومنها ان كتب التواريخ لها مدارج ومراتب فما لم تذكر اسماء الكتب بالخصوص لا يتميز جيد الرواية من ردينهاولا اقواها من اضعفها العالمة فلما عمدنا الى كتابة هذا الجزء رأينا ان نعود الى رأينا الاول فنذيل صفحاته بالمآخذ التي اعتمدنا عليها مع تميين الكتاب والجزء والصفحة . واختصر نا في ذلك جهد الطاقة ضنا بالمكان ولا يخني ما يقتضيه هذا العمل من التدقيق والمراجعة . وفي تقليب صفحات هذا الجزء قبل تصفحها دلالة كافية على مقدار ما بذلناه من المناء في تأليفه وخصوصاً لانه اول كتاب في هذا النسق هذا الموضوع كتب على هذا النسق

ولبس تاريخ التمدن الاسلامي من الكتب التي يلهو بها العامة للتسلية ولا من الكتب الفكاهية كالروايات ونحوهـا . وانما هو موضوع تاريخي اجتماعى يبين أسباب نشوء المدنية واسباب انحطاطها ويتخلل ذلك ابحاث فلسفية في علاقة تلك الاسباب بعضها ببعضوما ينجم عنهامن العبرةوالموعظة فهو من الكتب التي يقرأها الخاصة اهل الاطلاع \_ولم نعمد الى تأليفه الا بعد ان اعددنا اذهان القراء الى هذا الموضوع بما نشر ناه بين ظهرا نيهم من الروايات التاريخية الاسلامية منذعدة اعوام مما تلذ قراءته للخاصة والعامة بما تحويه من الحقائق التاريخية في سياق الحكاية الغرامية . فلما تهيأت الاذهان ورأينا في القراء شوقًا الى مطالعة التاريخ الاسلامي عمدنا الى تأليف هذا الكتاب وهو تاريخ الاسلام الحقيق لان تاريخ الامة لايقوم يسردحروبهاوفتوحها وانماهو تاريخ نشوئها وتنظيم حكومتها وتاريخ ثروتها وعلومها وآدابهاو نظامها الاجتماعي ومصيرها – او هو تاريخ تمنشها . ولنا في مابسطناه من وعورة هذا المسلك عذرٌ على ما قد يعتور مشروعنا من النقص . والـكمال لله وحد

طبع ثانية سنة ١٩١٩ وثالثة سنة ١٩٢١

### ظواهر التمدن وحقيقته

لخصنا في الجزء الاول من هـذا الكتاب نشأة الدولة الاسلامية وتاريخ مصالحها الادارية والسياسية والمالية تمهيداً للنظر في بمدنها . ولكل تمدن ظواهم يبدو بها الناظرين وحفيقة تحيي منه الباحثين . اما الظواهم فهي ما ثراه من عمار ذلك اتحدن كالمروة والابهة والمع والادبوالصناعة والنجارة و نظام الهيأة الاجماعية وآدامها . وأما حفيفة التمدن فهي ما ينتح عنه من الخير أو السر من السمادة أو الشماء للمستطلين في ظله أو سواهم من في الانسان . ومن ظواهر التمدن الاسلامي الثروة والعلم والادب والصناعة والتجارة و نظام الهيئة الاجماعية وآدامها و سنحصر بحنا في هذا الجزء بثروة المملكة الاسلامية دون سواها

والبحث في ثروة المملكة يعتضي النظرفي مصادر ثلث النروة وأسبابها واوجهها باعتبار الدول والاعصر والنظر في ثروة كل عصر مع تفرق الثروة في الاهالي او حصرها في فئة منهم او في الحكومة أو في رجالها مع اعتبار ما يلحق ذلك من وصف ثروة المدن والابنية وغيرها

ومعلوم ان المملكة الاسلامية بلغت معظم بروتها في العصر العباسي . فلو كان غرضنا مجرد وصف تلك النروة لا كتفينا بالاشارة الى معدار ماكان يحمل الى يعت المال من الحيايات وما كان عليه الحافاء واتباعهم من الغني والبذخ وعددنا موارد النروة ومصادرها — ولكننا عوانا منذ اخذما في تأليف هذا الكتاب ان نسند كل حادث الى اسبابه بالبحث عن العلل الحقيمية و تبع الاسباب الى اصولها وعلاقة ذلك كله بالمجموع العام مع اعتبار الاحوالواختلافها باحتلاف العصور والمملكة الاسلامية لان هذه عبارة عن الحكومة ورجالها واما المملكة فهي البلاد وأهلها . فيحسن والحالة هذه ان نقسم الكلام في الثروة المذكورة الى ثروة الدولة الاسلامية وثروة المملكة الاسلامية وثباله المهما باعتبار العصور المتفدم ذكرها

وبنا؛ على ذلك سنجمل الـكلام في ثروة الدولة الاسلامية باعتبار المصورفنيداً بعصر الني فالحلفاء الراشدين فبنى أمية فالعباسيين . ونقسم كل عسر الى ايواب بعضها للبحث في ثروة الحكومة او بيت المال والبعض الآخر للبحث في ثروة رجال الحكومة وما يستلزمه ذلك من النظر في أسباب تلك الثورة وعلة كثرتها او قلتها وتاريخ الحراج والحزرية وغيرها والواب النفقة وغير ذلك

فنروة الدولة الاسلامية مرت في خمسة أدوار او أعصر وهي (١) عصر النبي (٢) عصر النبي الاول او (٤) عصر الباسيين الاول او عصر الجاسيين الاول او عصر الباسي (٥) عصر الباسيين الناني او عصر الانحطاط. اما الدول الاسلامية الاخرى في مصر والاندلس وغيرهما قالسكلام في ثروتها يأتي عرضاً بطريق الاستشهاد او التمثيل لان المراد باتحدن الاسلامي انا هو التمدن العباسي الشهير

## ثروة الدولة الاسلامية

## (١) عمر النبي من سنة ١ – ١١ هـ

اذاكان المراد بثروة الدولة ما يزيد من دخلها على خرجها أو ما تخترنه بعد نقلة الم من الاموال ونحوها فالدولة الاسلامية في عصر النبي لم يكن عندها ثروة حقيقية لاجم لم يكونوا يخترنون مالاً ولاكان عندهم بيت مال بل كانوا اذا أصابوا غنيمة فرقوها فيا بينهم . وكذلك الصدقات فلها كانت تقرق في اهلها واذا ظل منها شيء استبقوه لحين الحاجة اليه . وكان النبي يتولى ذلك بنفسه وأكثر الصدقات من الماشية والابل والحيل فكان يسمها بميسم خاص جا تماز به عن سواها

فكانت ثروة الدولة في عصر الذي عبارة عن بقايا الزكاة من ابل او خيل او ماشية و تتازعن اموال سائر الماس بمراع خاصة كانت تحبس فيها بالبقيع قرب المدينة يعبرون عنها بالجمى (١) و بميدم كان النبي نفسه يسمها به (٦) و بلغت الاموال في أيام النبي نحوه ٤٠٠٠ ع. بين ابل وخيل وغيرها (٦) ومن هذه الاموال وما يلحق بها من مال الصدقة النقد كأنوا ينفقون على غزواتهم وعلى تحصيل الزكاة واعالة الفقراء ونحوهم

<sup>(</sup>۱) الما وردي ۱۷۷ (۲) البخاري ۱۹۰ ج ۱ (۳) شرع الموطأ (خط)

## (٢) عصر الخلفاء الراشدين من سنة ١١ ـ ٤١ هـ

هذا هو عصر الاسلام الفهي . عصر المدل والتقوى كانت الحكومة جاربة فيه على سنن المدل والاستفامة والنبرة الحقيقية على الدين ونبذ الدنيا . وهو العصر الذي اتخذه المسلمون منوالاً ينسجون عليه وكلا حادت دولة من دولهم عن جادة الحق طلبوا اليها الرجوع اليه والسير على خطوات الحلفاه الراشدين . لان الحكومة انتقلت بعدهم الى طور جديد والقلبت من الحلافة الدينية الى الملك السيامي ونشأت في الحلفاء والعمال المطامع وأخذوا في حشد الاموال باية وسيلة كانت

﴿ يَبْتَ المَـالُ ﴾ توفى النبي والمسلمون هم رجال الحُـكُومة والحِنْد ولم يكن عندهم بيت مال للاسباب التي قدمناها ولم يكونوا يتطلبون المال الا لقضاء الحاجيات وكان أكثر ما يرد عليهم منه ماشية وحنطة وخيلاً ونحو ذلك من أموإل الصدقة والغنيمة وكانت النقود قليلة بين أيديهم . فلما فتحوا الشام وفارس ومصر وردت عليهم الأثموال ذهباً وفضة فدهشتهم كثرتها وتنبهوا لها \_ يقال ان ابا هريرة قدم على عمر بن الخطاب من البحرين بمال فغال له عمر « بما جئت » قال « بخسائة أَلْف درهم » فاستكثره عمر وقال « أُنْدري ما تقول » قال « نيم مئة أَلف خس مرات » فصعد عمر المنبر وقال ﴿ أَيِّهَا النَّاسَ قَدْ جَاءَنَا مَالَ كَثَيْرِ فَانْ شَيَّمَ كُنَّا لَك كِلاً وان شُنَّم عددنا لــــ عدًّا » (١) وكان ذلك من حجلة ما دعاه الى وضعُ الديوان وفرض العطاء لـكلُّ واحد من المسلمين (٢) باعتبار السابمة والفرابة من النبي و لكنه شمى عن اختران المـ ال فعال له قائل « يا أمير المؤمنين لو تركُّت في يوت الاموال شيئاً يكون عدة لحادث اذا حدث » فزجره عمر وقال له « قلك كلة ألفاها الشيطان على فيك وقاني الله شرها وهي فتنة لمن بعدي آني لا اعدُّ للحادث الذي يحدث سوى طاعة الله ورسوله وهي عدتنا التي بلغنا بها ما بلغنا (٣) فلماكثرت الاموال في أيامعمر ووضع الديوان فرض الرواتب للعمال والقضاة ومنع أذخار المــال وحرم على المسلمين اقتناه الضياع والزراعة او المزارعة (ن)

<sup>(</sup>١) الحقريزي ٩٢ ج ١ (٢) راجع الجزءالاول من هذا السكتاب صفحة ٩٠٦ (طبعة ثانية) (٣) ابن الاتبر ٤٨٨ ج ٢ والفيغري ٧٥ (٤) المغريزي ٩٥٦ ج ٢

لان أرزاقهم وارزاق عيالهم ندفع لهم من يبت المسال حتى الى عبيدهم ومواليهم ــ ارد بذلك أن يبقوا جنداً على أهبة الرحيل لا يمنهم انتظار الزرع ولا يقىدهم الترف والعصف. فاذا أسلم أحد من أهل الذمة سكان البلاد الاصليين صار ماكان في يده من الارض وداره الى أصحابه من أهل قريته تفر في فيهم وهم يؤدون ينها ماكان يؤدًى من خراجها ويسلمون اليه ماله ورقيفه وحيوانه ويفرضون له رانباً في الديوان مثل سار المسلمين (۱)

والنرض الذي كان برمي اليه عمر من هذه القاعدة ان يتى أهل الذمة وارضم مصدراً المال الذي يحتاج اليه المسلمون في اهمام الجهاد ووقفاً المسالحهم مدى الدهور . أما اذا اشترى المسلمون العنياع فلهم يستقلون بنفعها دون سواهم ولا يمضي بضعة أحيال حتى تصير املاكا عاصة بهم (٢) وعمر يريد ان يبقبها محبوسة على آخر هذه الامة من المسلمين المجاهدين قوة على جهاد من لم يظهروا عليه بعد من الشمر كين لا تباع ولا تورث لما ألزموه أنفسهم من اقامة فريضة الجهاد (٢) من الشمر كين لا تباع ولا تورث لما ألزموه أنفسهم من اقامة فريضة الجهاد (٢) خطوانه فقال « أعا ذمي اسلم قان اسلامه يحرز له نفسه وماله وماكان من ارض خطوانه فقال « أعا ذمي اسلم قان اسلامه يحرز له نفسه وماله وماكان من ارض كات داره وأرضه لمقيتهم » (١) فترتب على ذلك ونحوه ترفع المسلمين عن سائر الاعمال من تجارة أو صناعة أو نحوهما

( ثروة الحلفاء وعمالهم ) علمت بما تقدم ان الراشدين لم يكونوا يلتمسون ثروة . فلما توفى أبو بكر لم مجدوا عنده من مال الدولة الا دينارا واحداً سقط من غرارة (٥) لانه كان يفرق كل ما مجتمع عنده على السواه لا ينظر الى مصلحة نفسه بل هو انفق كل ما كان عنده من المال قبل اسلامه . وذلك أربسون الف درهم غير ما اكتسبه من التجارة لانه كان يتجر ليستمين على النققة ثم فرضوا له ملاً معيناً من مال المسلمين لينفقه على نفسه وعياله لئلاً يشتفل بالتجارة عن النظر في مصالحهم . فلما دنا أجله اوصى ان تباع ارض كانت له ويدفع غنها بدلاً مما اخذة

<sup>(</sup>۱) ابن عماكر (نسخة كربمر) (۲) كتاب الحراج لابي يوسف ١٤

<sup>(</sup>٣) إِن عَمَاكُر (٤) الْمُرْزِي ٧٧ ج ١ (٠) أَنِ الْأَثْرِ ٢٠٤ ج ٢

من مال المسلمين (١) وكان عنده تُوبان اوصى ان يكفن بهما

واخبار عمر بن الخطاب بالزهد والنزاهة أشهر من أن تذكر . ويقال بالاجال ألم هو مؤسس دولة المسلمين وقد اسسها على امتن دعائم الملك \_ أسسها على المدل والتقوى والزهد والاستهلاك في نصرة الحق مما يندر اجباعه في رجل واحد وقد يوهم لغرابته أنه من قبيل الميالمة . ويسهل علينا التصديق به أذا تذكر نا النتائج التي ترتبت على تلك المناقب مما لم يسمع ممثله في التاريخ \_ يكفي منها تلك الفتوح التي جملت الاموال تنصب نحو يبت المال في المدينة كما ينصب الماه من الميازب وعمر مع ذلك لا يلتفت اليه ولا يأخذ منه ما فرضه لنفسه كما الراالصحابة الاولين . وكان أذا احتاج الى مال فوق راتبه جاء الى صاحب بيت المال فاستفرضه حتى فيسه اياه من عطائه فيا بعد (٢) ولما طون وأحس بدنو الاجل قال لابنه « أني استلفت من عالم المسلمين عانين الفاً فليرد من مال ولدي قار لم يف مالهم فمال آل الخطاب » (٢) وزهده في الطمام والباس مشهور

و إقال نحو ذلك في الامام على فقد كان مغالباً في الزهد والمدل . ومن اقواله « تروجت بفاطمة وما لي فراش الا جد كبش تنام عليه بالليل و تعلق عليه ناضخنا بالنهار ومالي خادم غيرها » وجاده في ايام خلافته مال من اصبهان فقسمه على سبعة اسهم فوجد فيه رغيفاً فقسمه على سبعة اسهم ودعا امراء الاسباع فاقرع بينهم لينظر ايهم يعطى أولاً ، ولم يبن على آجرة على آجرة ولا لبنة على لبنة ولا لينظر ايهم يصلى أولاً ، ولم يبن على آجرة على آجرة ولا لبنة على لبنة ولا فقسبة على قصبة على قصبة وكان يأتي مجبوبه من للدينة في جراب وقبل انه اخرج سيناً له السوق فباعه وقال « لو كان عندي اربعة دراهم ثمن ازار لم ابعه » ومناقب لا تحصى (١)

وقد ساعد الحلفاء الراشدين على تأييد العدل والحق ان عمالهم كان اكثرهم من الحسالة وحسن الاعتقاد في الاسلام . فكان عمر اذا اكتسب احد عماله مالاً من تجارة او سبيل آخر غير عطائه المفروض له قاسمه عليه وهو لا يرى في ذلك غيناً — كذلك فعل بسعد بن إلي وقاص عامله على الكوفة وعمرو بن العاص عامله

<sup>(</sup>۱) این الاثیر ۲۰۷ج ۲ (۲) ابن الاثیر ۲۹ ج ۳ (۳) الیشودی ۱۹۵۳ ج ۲ (۱) این الاثیر ۲۰۲ج ۳

على مصر وابي هريرة عامله على البحرين (١) وغيرهم

ولا غرابة في ذلك لان العامل اذا رأى خليفته زاهداً تقياً يمنع نفسه من كل شيء ويستهك في مصلحة الامة فاله يفتدي به ولو كان ذلك مخالهاً لرأيه . على ان الخليفة نفسه لا يولي اعماله الا من يكون على رأيه وخلعه وخصوصاً عمر فقد كان شديداً على العمال يتفقدهم كل سنة ويعز لهم لاقل تهمة — ذكروا اله استعمل على شعم رجلاً اسمه عمير بن سمد فلما انعضت السنة كتب اليه « اقدم الينا » فل يشعر عمر الا وقد قدم اليه الرجل ماشياً حافياً عكازه في يده واداوته ومنوده وقصته على ظهره . فلما رآه عمر قال « يا عمير أأجبتنا أم البلاد بلاد سوه » فقال « يا عمير أأجبتنا أم البلاد بلاد سوه » فقال « يا أمير المؤمنين أما نهاك الله ان تجهر بالسوه وعن سوء الغلن وقد جئت اليك بالدنيا أجرها بمراجها » فعال « وما ممك من الدنيا » قال « عكازة أتوكا عليهاوادفع بها عدواً أن لهيته ومنود احمل به طعامي » فعال « ما صنعت بعملك يا عمير » قال « أخذت الأبل من اهل الابل والجرية من اهل الذمة ثم قسمتها بين الفقراء والمساكين وابناء السبيل فوالله يا امير المؤمنين لو بقي عندي منها شيء لاتيتك به فعال له « عد الى عملك » (\*)

ولا بد لنا مع ذلك من إن نعف هنيهة النظر في امر يفتفر الى تفسير. قلنا ان عمر لم يكن يخترن مالاً ونهى عن اخترانه فلو كانت الاموال التي ترد الى بيت المال تفرق على السواه كما كانت تفرق الفنائم في ايام النبي وابي بكر لهان عليه أن لا يخترن ولكنه فرض أعطية معينة يتساولونها كل عام. ونعم ايضاً أن الاموال وادت كثيراً في ايامه بما انضم اليهم من الاعمال بالفتح وكلها تؤدي الخراج والجزية فضلاً عما يلحق يبت المال من الفنائم — فما الذي كان يفعله عمر بما يفيض من تلك الاموال بعد دفع الاعطية المذكورة ? يناهر أنه كان يفرقه في اهل الحاجة أو لعله كان يستبقي بعضه على أن يفرقه ولا يعد ذلك اختراناً لانه أنما منع الاختراث للحرب

( اقتناء المسلمين للاموال َ. على ان رأى عمر بعدم اختران المال ينافي المبدأ الاساسي الذي تعام عليه الدول وتسأيد به السلطات لان اختران الاموال من

<sup>(</sup>۱) البعوبي ۱۸۱ ج ۲ (۲) المتطرف ۹۱ ج ۱

ضروريات الملك . ولكن المسلمين الاولين لم يكونوا يعدون الحلافة ملكاً سياسياً ولذلك لم تطل منسّم الا ريّما انعضى عصر النبوة وزالت دهشتها فعاد الناس الى فطرتهم وتسابعوا الى حشد الاموال والاستثنار بالسلطة

وقد باشروا ذلك في أيام عُمان بن عفان (سنة ٢٣ — ٣٥ هـ) لانه لم يكن شديداً مثل عمر وكان مع ذلك اموياً فاعتر الامويون به وأرادوا أن يبيدوا لانفسهم السلطة التي كانت لهم في الجاهلية وكان نبو هاشم قد سلبوهم اياها بهد الاسلام لان التبي منهم (١) فاخذ عُمان بولي الاعمال رجالاً من أقريائه وفيهم من لم يعتنق الاسلام الاياساً من فوزه على المسلمين . وكثرت في ايامه الفتوح وفاضت الغنائم فكان يستخص اهله منها باكثر من سائر الصحابة . كما فعل جنائم أفريعية سنة ٢٧ هان المسلمين حاربوها وعليهم عبد الله به سعد (اخو عبان من الرضاع) فبلغت غنائهم منها الحكم وزوجه ابنته (٢) وكان هذا الحميس من حفوق بيت المال . وابطل عُمان محاسبة العال لأنهم من اهله فازدادوا طمعاً في حشد الاموال لانفسهم وخصوصاً معاوية بن ابي سفيان عامله على الشام وهو اكزهم دهاء وابعدهم مطمعاً فكان في مقدمة الذين ابطلوا قاعدة على ألشام وهو اكزهم دهاء وابعدهم مطمعاً فكان في مقدمة الذين ابطلوا قاعدة عمر في منع المسلمين من الزرع واتخاذ الضياع ومحوها

وكيفية ذلك أن المسلمين لما فتحوا الشام وأقروا الارضين في أيدي اصحابها كان جانب كبير منها ملكاً البطارقة قواد جند الروم فلما غلبت الروم وفر البطارقة أو قتلوا ظلت ضياعهم سائبة لا مالك لها فاوقفها المسلمون على يبت المال فكان المال يقبلونها كما يقبل الرجل ضيمته (اي يضمنها) ويضيفون دخلها الى يبت المال. فلما استقر معاوية على ولاية الشام واقتدي بالروم في البنخ وأتخاذ الحاشية لم يعد راتبه يكفيه ورأى من عبان ضعفاً وميلاً فكتب اليه أن الذي أجراه عليه من الرزق في عمله لا يقوم عبون من يدم عليه من وفود الاجناد ورسل المراثم ومن رسل الروم ووفودهم ووصف في كتابه هذه المزارع وأن لا مالك المراثم من قرى اهل النمة ولا الخراج وسأله أن يقطعه أياها (٢٠). وكان عمر قد جعل لماوية على عمله في الشام راتباً مقداره الف دينار في السنة (١٠). وكان

<sup>(</sup>١) راجم الجزء الاول من هذا الكتاب صفحة ٢١ ( طبعة أاية )

 <sup>(</sup>٢) اليمنوبي ١٩١ ج ٢ (٣) إن عساكر (خط) (٤) المغربزي ٩٠ ج ١

كثير بالنظر الى رواتب العال في تلك الايام . فايا طلب من عُمَان أن يقطعه تلك الضياع أجابه الى طلبه فوضع يده عايها وجعلها حبساً على فقراء أهل بينه فجرأه ذلك على العمدي في ذلك على العمدي في ذلك على العمدي في ذلك

واقتدى بماوية غيره من العال وسائر الصحابة فافنوا الضياع والمعار وفيهم جماعة من كبار الصحابة مثل طلحة والزبير وسعد ويعلي وغيرهم وزادت اموالهم وظهر الفنى فيهم حتى تُهان نفسه فامه اقتنى الضياع الكثيرة واخترن الاموال فوحدوا عند خزمه بعد مومه ١٥٠٠٠٠ دينار و ٢٠٠٠٠٠ درهم وقيمة ضياعه بوادي العرى وحنين وغيرها ١٠٠٠٠٠ دينار وخلف خيلاً وابلاً (١) والغالهر أن عُهان اندفع الى تسهيل العربة على المسلمين عا زاد عنده من الاموال واغراه اهله على ذلك وخصوصا معاوية — ثم صار امتلاك العمار مألوفاً شائعاً

ومن اسباب شيوع الاملاك الله المسلمين ان تهان العطع هو وخلفاؤهُ بعض الارضين مما لم بتمين مالكوه على ان يدفعوا شيشاً لبيت المال يممال الايجار أو الصهان كما تعدم . فلما حدثت فنه الاشمث سنه ٨٣ ه حرق الديوان وضاعت الحسابات فاخذكل فوم ما يايهم (٢)

على ان المسلمين لم كونوا رادين عن اعمال مماوية في هذا الشأن لانه لم يساوي ينهم فيه فنصوا عليه وخصوصاً الممها، ورجال انموى. وفي حكاية أبي در العفاري ما يغني عن البيان. فعد كان هذا الرحل مفالياً في المسك بعائدة عمر وكان برى « ان المسلم لا ينبغي له أن بكون في ما كم اكبر من قوت يومه وليانه أو شيء يندعه في سببل الله أو يعده لكرم » (٢٠) وكان يعوم في الشام ويفول «يامشر الاعتياء واسوا العمراء بشر الذين بكنزون الذهب والفضة ولا ينفهومها في سبيل الله بمكاو من نار تكوى مها حجاهم وحنوم وطهورهم » ومازال بعول ذلك ويكرره حتى ولم العقراء بعوله واوجبوه على الاغتياء. فشكا الاعتياء الى معاوية ما يلفون منهم وكان معاوية يشكو أمر " من شكايتهم لان أبا ذر وبخه غير مرة لاخترانه الملك ومما قاله له على أثر مائه قصر الحضراء في دمشق وقد عاله عماوية اكيف ترى هذا » فعال أبو ذر « ان كنت بنيته من مال الله قابك من الحائيين وان كنت بنيته

<sup>(11</sup> المسودي ٢٠١ - ١ (٢) المارردي ١٨٣ ر٣) 'بن الاثير ٥٥ ج ٣

من مالك فانك من المسرفين » (١) فعظم ذلك على معاوية فأراد أن يوقعه في ما وجب محاكمته في عند المه الحد دينار أراد ان يغره بها ثم يهمه باكسنار المال . فلها وصلت الدنانير الى أبي ذر فرقها حالاً مع أبها وصلته البلا وجاء ورسول معاوية في الصباح يزعم انه دفع المال اليه خطأ وان معاويه يطلبه فاخبره انه انفعه في ساعته فلم ير معاوية سبيلا الا المهامه بالفنه فكسب الى عمان « انك افسدت السام على نفسك بايي ذر » فكتب اليه « احمله على هتب بغير وطا- »(١) فلها جا- الدنه حاكمه عمان فلم يرهب سلطانه وجاهم عما يراه من جسع بني أميه و خروجهم من الحق . فاخرجه عمان من المدينة الى الربذة بالنف وظل هنان حتى مات فنهم المسلمون يموته على عمان في حمله ما مدود عليه الى مفله

فلما فتل عبان سنة ٣٥ ه و قامت الفتنة في الحلافة وأرادها معاويه انفسهراًى يين دعلها من هم احق بها منه سبأ وسابهه فاحال اليها بالمال فزدادت رغبه في الاستكثار منه ابدله في انشاء الاحزاب و لا غرو فان انال فوة تحول الى ما شئته من العوى و هو منذ العدم مرجع المشروعات العطمي و لا برال حتى اليوم الحور ألذي تدور عليه سياسة العالم المنمدن . فما من حرب أو سلم أو بحائفة أو معاهدة وما من فيح أو حصار الا والمحرك عليه أو الداعى اليه " إذال " وكذاك في معاهدة وما من فيح أو حصار الا جماعة من دهاة العرب ضروه بالدهاء والسيف حتى فيل معاوية فاستخدم بانال جماعة من دهاة العرب ضروء بالدهاء والسيف حتى وتنازل الحسن له عنها والناس مع ذلك يعلون أن معاوية أنما فز بيذل انال حتى فال وتنازل الحسن له عنها والناس مع ذلك يعلون أن يعانه معاوية بذهبه " (٢٠ وساد رئي العابدين أبن حقيد الامام على « أن علياً كان يعانه معاوية بذهبه " (٣٠ وساد بنو أمية على خطوات معاوية في دلك فجلوا المال أكبر نصير لهم على دعاة الحلافة من غي هامم وعلى الخوارح وغرهم فحراهم ذلك ألى الاستكثار منه بلى وسيله من غي هامم وعلى الخوارح وغرهم فحراهم ذلك ألى الاستكثار منه بلى وسيله من غي هامم وعلى الخوارح وغرهم فحراهم ذلك ألى الاستكثار منه بلى وسيله من غي هامم وعلى الخوارح وغرهم فحراهم ذلك ألى الاستكثار منه بلى وسيله كانت كما سيأني

فالنُروة في عصر الراشدين كانت محرمة على المسلمين ولسكل محريمها لم يبق طويلاً لان بهاء ويتضي بعاء عمر بن الخطاب او من يكون في مثل مناقبه وتمواه

<sup>(</sup>۱) ابن الفنيه ١٠٦ (٢) اليقوبي ١٩٩١ ج ٢ (٣) المتريزي ٢٦٩ ج ٢ التمدن الاسلامي ج ٢ (٣) الطبعة الثالثة

مع بماه العرب على الفطرة البدوبة مما يخالف نواهيس العمران. فلذلك لم يكد يختلط العرب بالروم والعرس حتى تاقت نفوسهم الى الترف وحشد الاموال وعجل ذلك فيهم رعبة بنى امية في استنصارها، فاهضى عصر الراشدين ولم ير المسلمون مثله بعده وظل ابو بكر وعمر مضرب امثال الفوم قروناً متطاولة اذا اعوج حاكم او خليفة طلبوا اليه ان يمتدي بهما وخصوصاً عمر فعد كابوا يحاولون النشبه بعدله وحزمه وشدته في الحق حتى ان اشهر عمال بني امية ظلماً ودها ارادوا الاقتداء به في ذلك فهوروا وانعلب فيهم الى الظلم والعسف \_ يمال ان زياد بن ايه اراد ان يتشبه بعمر بن الحطاب في ضبط الامور والحزم والصرامة واقامة السياسات الا

#### (٣) عصر بني أمية من ٤١ -- ١٣٧ ه

تماز دوله بني امبة عن دولة الرائدين بأن السلطة تحولت فيها من الحلافة الدينية الى المال السياسي . وتماز عن الدولة العباسية بأبها عربة محنة شديدة المحصب العرب كثيرة الاحتمار اسواهم . ولذلك فان أهل الذمة وعيرهم من سكان البلاد الاحدين فاسوم المرب كثيرة الاحتمار اسواهم . ولذلك فان أهل الذمة وعيرهم من سكان الملاد الاحدين فاسوم « الموالي » البلاد الاحدين فاسوم « الموالي » السلوا منهم فنوي احسان عايهم لأنهم العذوهم من السكفر وإذا صلوا خلفهم فيه المسجد حسوا دلك واضعاً للة . وكان بعض العرب اذا مرت به جنازة مسلمه في المسجد حسوا دلك واضعاً للة . وكان بعض العرب اذا مرت به جنازة مسلمه قال « من هذا » فإذا قالوا « قر شي » قال « وو مال الله يأخذ ما شاه ويدع قال » و حال الله يأخذ ما شاه ويدع قال » . وكانوا بحرمون الموالي من الكني ولا يدعونهم الا بالاسه والالعاب ولا يمنسون في الصف معهم (٢) وكانوا يسمونهم العلوح . وفي كناب الموالي يقرقهم حتى لا مجتمعوا فعش على يدكل واحد منهم اسم البلاة التي وجهه اليها . يقرقهم حتى لا مجتمعوا فعش على يدكل واحد منهم اسم البلاة التي وجهه اليها .

وانت من نفش العجلي راحتهُ وفر ٌ شيخك حتى عاد بالحسكم (٣)

<sup>(</sup>١) ان خلكان ١٧٤ ج ١ (٢) المد النويد ٧٣ ج ٢ (٣) العد ٢٤ ج ٧

وسنعود الى تفصيل ذلك في السكلام عن نظام الهيأة الاجتماعية في المملسكة الاسلامية في جزء آخر من هذا الكتاب وأنما أشرنا الى ذلك هنا لبيان معدار تمصب العرب في دولة بني أمية على غير العرب ولوكانوا مسلمين

وكان من جملة منائج تعصب بني أمية للعرب واحتقارهم سائر الايم الهم اعنه وا الهل البلاد التي فتحوها وما يملكون رزقاً حلالاً لهم \_ بدل على ذائ قول سعيد ابن العاص عامل العراق « ما السواد الا بستان قريش ما شنا اخذما منه وما شنا أخرية أنها العرو و بن العاص لصاحب اختا لما سأله عن معدار ما عليهم من الجزية فعال عمرو « ايما أنم خزانة انا ان كثر عاينا كدرا عليك وان خفف عنا خففا عنك ك ( ؟ ) . فاتخذوا ذلك ونحوه ذريعة للاسميلاء على ما شاؤا من اموال الناس وقد جرأهم على ذلك معاوية اذ جعل بعض الاعمال طعمة لبعض عماله والبعض الآخر ضمنه بمال زهيد \_ فعل ذلك في بادئ الرأى برعيباً لهم في نصرة والجوارج وغيرهم فاصطروا الى الاستكثار من الاموال ولا سبيل الى جمها الا بالموال فضلاً عن الحرب . وأسد أولئك العمال وطأة الحجاح بن بوسف عامل الاموال فضلاً عن الحرب . وأسد أولئك العمال وطأة الحجاح بن بوسف عامل الموال فضلاً عن الحرب . وأسد أولئك العمال وطأة الحجاح بن بوسف عامل الموال فضلاً عنى العراق . واحتاح عبد الملك الى معاومة جماعة من مناظره على الخلافة وفيهم عبد الله بن الزبر في مكن والمختار بن ابي عبد في العراق . واحتاح عبد الملك على معاومة جماعة من مناظره على فوكل ذلك الى الحجاج وامثاله فاستخدموا المنف في تحصيل الاموال بحق فوكل ذلك الى الحجاج وامثاله فاستخدموا المنف في تحصيل الاموال بحق وبغير حق ( ؟ )

ذ جور العمال وكان عمال بني امية بجورون على اسحاب الارضين من اهل الله المدة في التحصيل وتحوه لا جمهم بقي لهم من المحصول شيء ام لا . وكان الحراح يومئذ على المساحة فيؤخذ على الارض مال ممين زرعت الم تزرع وكان من سروط الحراج ان يستبقى لا سحاب الارضين ما يجبرون به النوائب والحوارح . ومما يحكى ان الحجاج كتب الى عبد الملك بن مروان يستأذنه في اخذ تلك البهية منهم فلجابه في هرهك المتروك وابق فلجابه في هرهك المتروك وابق

<sup>(</sup>۱) الاعاني ۳۰ ج ۱۱ (۲) المريزي ۷۷ ج ۱ (۳) ان الا بر ۱۰ج ۰ وكتاب الحراج لايي موسف ۲۲

لهم لحوماً سعدون بها شحوماً » (۱). والظاهر أن الضغط على أهل العرى واسحاب الأرصين عمل بعضهم على الاسلام أحياء به فاصبحوا من الموالي فلم يمنع ذاك تحصيل الحراج والحزية منهم فالزديم الحجاج (۱) الحراج مع أهم تنازلوا عن منارسهم لاهلم وعادروا العرى وسكنوا الامصار فراراً من تلك الضرائب فامر الحجاج بردهم وطالبهم بالحراج لان المسلمين كانوا الى ذلك الحيى لا يعيمون الا في المدن التي نوها هم . وأهل البلاد الاصليون يعيمون في الفرى الزرع والحرن فمن الخيان في بده من والحرن فمن إذا من عالى أصحابه بؤدون عنها ما كان بؤدى من الحراج كما تعدم ويتزل الارض وداره الى أصحابه بؤدون عنها ما كان بؤدى من الحراج كما تعدم ويتزل كرة رعب المسوا به النجاة من الضغط فانا هو ملاقيهم . وكتب الحجاج الى كرة رعب المسوا به النجاة من الضغط فانا هو ملاقيهم . وكتب الحجاج الى الامصار « أن من كان له اصل في وية فامرجه البها لتؤخذ منه الجرية والحراح ، كرة رعب الدرون الى أيز، يذهبون فاصطروا الى الانصام اللاشعن على على دائه في اياد ابن الاشعن غرب المحداد » ولا مدرون الى أيز، يذهبون فاصطروا الى الانصام اللاشعن على الحياء ال

ولم تمكن <sup>1</sup>اك المعاملة خاصة بالحجاج من عمالهم فعد فعل مثلة أيضاً يريد بن أي مسلم عامل يريد بن عبد الملك على افر هية (١) وكذلك فعل الحجراح في حر اسال (١) وغره في ما وراه النبر (٦) وكان أهل سمر قند قد اسلموا على ان نرق الحرية عنهم فعالموا بأحذونها منهم فعادوا الى دينهم

أما التصاري وعيرهم من اهل الذمة الذين طلوا على دينهم فيكني في تمنيل حالهم اعبار ما تعدد من معاملة الذين أسلموا منهم . فكانوا دسومونهم العذاب في شحميل الحرية . ورأى هؤلا - ان اعتناق الاسلام لا يتجيهم من ذلك فعمد بعدهم من الى الملبس بثوت الرهبنة لان الرهبان لا حرية عليهم • فادرك العمال غرضهم من ذلك فوضعوا الجرية على الرهبان وأول من فعل ذلك منهم عبد العزيز بن مروان عامل مصر فأمر باحصاء الرهبان وفرض على كل راهب ديناراً (١٠) وهي أول

 <sup>(</sup>١) الناوردي ١٤٣ ( ٢ ) اس حاكن ٧٧٧ ج ٢ (٣) ابن الاشر ٧٢٥ ج ٤

<sup>(£)</sup> ابن الاند 64 ج ٥ رابن عاكان ٢٧٧ ج ٢ (٥) ابن الانبر ٧٤ ج ٥

 <sup>(</sup>٦) ابن الاشر ۱۱۱ ج ٥ (٧) المتريري ٤٩٢ ج ٢

جزية أخذت من الرهبان . وأمثال هذه الحوادث كثيرة في تاريخ بني امية ولم يكن ذلك كل ما اقترفوه في سبيل جمع المــال فلنهم زادوا الخراج عما كان عليه في أيام الراشدين ـ مدأوا بذلك من أيام معاوية فأراد أن يزيد فيراطاً فكتب الى وردان مولى عمرو بن العاص امير مصر أن « زد على كل امر؛ من الغبط فيراطاً » فكتب اليه « كيم أزبد عليهم وفي عهدهم ان لا ازيد عليهم » (١) ولعل عمراً لم يطعه في دلك لان مصر طعمة له . فلما انتقات الى خلفاء بني أمية بعد عمرو زادوا في الحراج ما شاؤا . واشهر من فعل ذلك عبيد الله بن الحبحاب متولي الخراج من قبل هشام بن عبد الملك ( سنة ١٠٥ ــ ١٢٥ هـ ) فأنه زاد على الفبط قيراطاً في كل دينار فلم يصبر الفبط على ذلك وكأنوا لا بزالون هم السواد الاعظم فثاروا فحارمهم المسلمونُ وقنلوا منهم جمّاً كبراً . وحدثُ نحو ذلكُ على يد اسامةً ابن زيد النتوخي متولي الحراج فأنه اومع في النصاري واخـــذ اموالهم . وكثر الالمجاء الى الرَّهَمَنَهُ في ايامه فأراد أن يمنع ذلك لأنه يضر في الحراجُ والحجزية فأحصى الديور والرهبان كافة ووسم ايدي الرهبان بحلفة من حديد فيهـــا اسم الراهْبْ واسم الدير وتاريخه فكل من وجده بغير وسم قطع بده . والزم كل نصراني بمنشور بحمله يدل على أنه ادى ما عليه وكتب ألى العمال بأن من وجد من النصاري وايس معه منشور ان يؤخذ منه عشرة دنانير . نم كبس الديارات وقبض على عدة من الرهبان بنير وسم فضرب اعناق بعضهم وضرب بأقيهم حتى مأنوا تحت الضرب (٢)

على أن ذلك لم يكن برضى الخليفة فلما بلغ هشام بن عبد الملك ذلك كتب الى عاملة بمصر أن مجري النصارى على عوائدهم وما في أيديهم من العهود . فلم يطل العمل هذا الأمر فعاد العمال الى ظلهم وفي جملتهم حنظلة بن صفوان فأنه زاد في الخراج واحصى الناس والهائم وجعل على كل نصراني وسماً صورة اسد وتتبعهم فن وجده بغير وسم قعلع يده (٣) . وقس على ذلك أمثلة كثيرة من شدة عمال بنى أمية على أهل الذمة والموالي وغيرهم من غير المرب

ومن امثة ما اقترفه بنو امية من أزيادة الحراج والجزية ان اهل الحجزيرة بالسراق كانت جزيتهم ديناراً ومدين قحاً وقسطين زيتاً وقسطين خلاً في العام

<sup>(</sup>١) البلادري ٧٧٧ (٢) المفريزي ٤٩٧ ج ٢ (٣) المقريزي ٤٩٣ ج٢

فلما تولى عبد الملك بن مروان استقلَّ ذلك فيث الى عامله فاحصى الجماجم وجمل الناس كلهم عمالاً بايديهم وحسب ما يكسب العامل سنته كلها ثم طرح من ذلك ففته في طعامه وادمه وكسوته وطرح أيام الاعياد في السنة كلها فوجد الذي يحصل بعد ذلك في السنة لسكل واحد أربعة دنانير فالزمهم ذلك جميعاً وجعلها طبغة واحدة (1)

ولم تكن ضرائبهم قاصرة على أهل الذمة والموالي ولكنها شملت العرب المسلمين انفسهم وذلك ان محمداً اخا الحجاج بن يوسف الم تولى البين أساء السيرة وظلم الرعية وأخذ أراضي الناس بغير حفها وضرب على أهل البين خراجاً سهاه « الوظيفة » فلما ولم عمر بن عبد العزيز كتب الى عامله هناك بالغاء تلك الوظيفة والاقتصار على العشر (٢)

وكان عمال بني امية في فارس يخرصون الثمار على أهلها أي يحزرون معدارها ثم يفومونها بسعر دون سعر الناس الذي يتبايعون به فيأخذونها قرفاً على قيمتهم التي قدروها (٢)

وكان من أساليبهم في الاستكثار من الاموال ضرب الضرائب على الارض الحراب. وكانوا يفرضون على الاهالي هدية في عيد النيروز بلفت في أيام معاوية الحراب. درهم(٤) وفرضوا مالاً على من يتزوج وعلى من يكتب عرضاً(٥) وكانوا يكيلون العامل بكيل وللاكار بكيل آخر ويكلفون اهل الحراج أرزاق العمال والحور المدى وحمولة الطعام وعمن محف وقراطيس واجور السكيالين ومؤونتهم . واذا أنى احدهم بالدراهم ليؤديها في خراجه يفتطع الحابي منها طائفة ويقول هذا رواجها وصرفها (١)

ولم يكن عمال بني أمية يأتون هذه الاعمال من عند أضهم دائماً بل كثيراً ما كانوا فعلونه بامر خلفائهم كما قد رأيت مما كتبه معاوية الى وردان وكان ذك شأنه في تحريض عماله على جمع الاموال وهم يخترعون له الطرق للاستكثار منها(٧٧) وكذلك فعل من جاء بعده وخصوصاً عبد الملك لانه كان شديدا لحاجة الى المالومناه

<sup>(</sup>۱) البلاذري ۷۳ (۲) كتاب الحراج لاني يوسف ۷۴ (۳ طبقات ان سميد ( عن قال فاوتن ) (٤) اليمقوبي ۲۰۹ ج ۲ (٥) الطبري ۱۳۹۷ ج ۲ (۱) كتاب الحراج لاني يوسف ۱۳ (۷) البمقوبي ۲۰۸۲ ج ۲

الله بالحجاج فلم يترك وسيلة في استخراج المال الا أنحذها . اما لو أراد الحلفاء ابطال هذه المظلم لهان عليهم ابطالها لان العمال في ايام عمر بن الحطاب كانوا يرتكبون مثل ذلك فلا بسكت عمر عنهم . ولما جار عمال الاهواز في ايامه شكاهم ابو الختار يزيد بن قيس بقصيدة بين فيها أرباحهم من اهل الرساتيق والفرى وسهاهم في قصيدته وحرض عمر على مقاسمتهم ما رمجوه الى ان قال :

فبعث عمر اليهم فعاسمهم شطر اموالهم حتى اخذ نُعلاً و ترك نعلاً ولم يكتف بمقاسمة العمال ولكنه قاسم بعض اخوتهم فاعترض هؤلاء فغال احدهم لعمر « أني لم آل اك شيئاً » فقال له « اخوك على بيت المال وعشور الابلة وهو بعطيك المال تتجر به » فأخذ منه عشرة آلاف (١)

وكانت مشاطرة عمر عماله حجة أتخذها معاوية بعد ذلك في مشاطرة العمال فلم يكن يموت له عامل الا شاطر ورثنه وهو يقول انها سنةٌ سنها عمر ثم تدرج الى استُصْفاء اموال الرعية وهو اول من فعل ذلك (٣)

قالمدة في حفظ النظام على الرأس فاذا صلح صلحت الاعضاء. فقد رأيت ان خلفاء بني امية طلبوا المال لفيام دولتهم باي وسيلة كانت فامدوا العمال بالسلطة واطمعوهم فعمد هؤلاء الى احراز الاموال لانفسهم ايضاً واقتدى مهم العمال الصفار كالكاتب والجابي ونحوها فزادت شكوى أصحاب الارضين فاضطر العمال الى اخراج اعمال الجباية من العرب وتسليمها الى الموالي ومنهم الدهاقين اصحاب الضياع في العراق. فعل ذلك ابن إلا عامل الحراج سنة ١٤ ه فعانيه بعضهم فاجاه «كنت أذا استعملت العربي كمر الحراج فاذا اغرمت عشيرته أو طالبته اوغرت صدورهم وان تركته تركت مال الله وانا أعرف مكانه فوجدت الدهاقين ابصر بالجباية واوفى بالمطالبة واعرق مع أني جعلتكم امناه عليهم لئالا يظلموا احداً » (٢٠)

وفي كلام الفاضي ابي يوسف في عرض وصيته للرشيد بشأن عمال الخراج ما يبين الطرق التي كان او ثنك الصنار يجمعون الاموال جا قال « بلغني انه قديكون

<sup>(</sup>١) البلاذري ٣٨٥ (٢) ابن العقبه ١٠٩ (٣) ابين الإثبر ١٩ ج ٤

في حاشية العامل او الوالي جماعة منهم من له به حرمة ومنهم من له اليه وسيلة ليسوا بابرار ولا صالحين يستمين بهم ويوجههم في اعماله يقتضي بذلك النمامات فليس يحفظون ما يوكلون بحفظه ولا ينصفون من يعاملونه انما مذهبهم أخذ شيء من الحراج كان او من اموال الرعية . ثم أبهم يأخذون ذلك كله فيما بلغني بالمسف والظلم والتمدي ... ويقيمون اهل الحراج في الشمس ويضربونهم الضرب الشديد ويعلقون عليهم الجرار ويفيدونهم بما يمنعهم من الصلاة .. وهذا عظم عند الله شنيع في الاسلام » (١)

وكان شأن بني امية وعمالهم وجباتهم على نحو ما تقدم حين تولى الخلافة عمر ابن عبد العزيز سنة ٩٩ ه وكان نفياً منصفاً قاراد ان يرد الامور الى ما كانت عليه في ايام سميه وجده لامه عمر بن الحطاب فاصدر اوامره الى العمال بابطال تلك المظالم وعينها بامهائها مفصلة (٢) وابطل لمن على على المنابر. وكان اهله قد اقتنوا الضياع واخذوا كثيراً منها من اهل الذمة بغير حق ففت بابه الناس واعلن « ان من كانت له ظلامة فليأت » فاناه المظلومون وفيهم النصارى واليهود والموالي وغيرهم ومنهم من يشتكي اختلاس ماله وآخر اغتصاب ضيعته وكان ينصفهم بالحق وغيرهم ومنهم من يشتكي اختلاس ماله وآخر اغتصاب ضيعته وكان ينصفهم بالحق والمدل ولو ان الحكم على ابنه او اخوته او ابناه عمه (٣) فعال له بعضهم «وكيف تضم بولدك » فبكي حنوا وقال « اكلهم الى الله » واخذ اموال اعمامهواولادهم وسهاها « مظالم » فلما رأى أهله ذلك خافوا على سلطائهم وهو انما قام بالمال فاذا خرجت الضياع والاموال من ايديهم ذهب ضياعاً فشوا الى عمته فاطمة بنت مروان وشكوه اليها فاتته فقال لها « ان الله بعث محداً صلى الله عليه وسلم مروان وشكوه اليها فاتته فقال لها « ان الله بعث محداً صلى الله عليه وسلم رحة مينه عذاباً الى الناس كافة » (٤)

ولما رأى الموالي عدله وتقواه اغتذموا الفرصة وشكوا اليه ما يفاسونه من الذل والضغط. وكان الجراح بن عبد الله الحكمي عامل خراسان قد ارسل الى عمر بن عبد المدريان عبد المزيز في الشام وفداً رجلين من العرب ورجلاً من الموالي فتكلم العربيان والمولى ساكت فقال له عمر « ما انت من الوفد ? » قال « بلى » قال « فما يخمك من الكلام » فقال « يا امير المؤمنين عشرون الفاً من الموالي يغزون بلا عطاء ولا

<sup>(</sup>۱) كتاب الحواج ٢٦و١٢ (٢) الطبري ٢٣٦٦ج ٣ وابن الاثير ٢٩ ج ٥ (٣) الحيس ٣٠٣ ج٢ (٤) ابن الاثير ٣٠ ج ٥

وزق وصلهم قد اسلموا من اهل الذمة يؤخذون الجفراج وأميرنا بعد سيف من سيوف الحجاج قد عمل النظم والعدوان » (۱) فعال عمر « احر بمثلك ان يوفد » وكتب الى الحجراح « انظر من صلى من قبلك فضع عنه الحزية » فرغب الناس في الاسلام وتسارعوا الى الاسلام نفوراً الاسلام نفوراً من الحجراح « ان الناس قد سارعوا الى الاسلام نفوراً من الحجزية فامتحنهم الحنان » فكتب الحجراح الى عمر بذلك فاجابه « ان الله بعث عمداً داعياً ولم يعثه خاتاً » (۱)

وضل عمر نحو ذلك مع عامله على مصر حيان بن شريح وكان حيان قد كتب اليه «أما بعد فان الاسلام قد اضر بالجزية حتى سلفت من الحارث بن ثابتة عشر بن الف دينار اتممت بها عطاء اهل الديوان فان رأى امير المؤمنين أن يأمر بفضائها فعل » فكتب اليه عمر « اما بعد فقد بلغني كتابك وقد وليتك جند مصر وانا عارف ضفك وقد أمرت رسولي بضربك على رأسك عشرين سوطاً . فضع الجزية عمن اسلم قبح الله رأيك فان الله بعث محداً هادياً ولم بيعثه جابياً —ولممري لممر اشتى من أن يدخل الناس كلهم الاسلام على يديه » (٢)

وصلى على ذلك عماله الآخرين فانه عزل من لم يوافقه منهم فاصبحت الدولة ورجالها كلها ضده لانه حاول اصلاح الامور بالعنف دفعة واحدة والطفرة محال. وما في بني امية وعمالهم الا من كره ذلك منه فلم يصبروا على خلافته ثلاث سنوات فقتلوه بالدم ويعد م المؤرخون من الحالفاء الراشدين (1) واذا قالوا « العمرين » أرادوه وعمر بن الحطاب (0)

فترى مما تغدم ان الفواعد الاساسية التي قام عليها الاسلام تدعو الى الانصاف والرفق ولكنها تختلف مظاهرها باختلاف الذين يتولون شؤونها . ولو انيح لعمر ابن عبد العزيز أن يسدها الى ماكانت عليه في عهد ابن الخطاب لامحت مظالم بي اميسة ولكنه جاه في غير أوا نه فذهب سميه هدواً . ولما مات عادت الامور الى مجاريها ورافقها ود الفعل فصارت الى أشد مما كانت عليه قبله وبالنم العال في الاستبداد والعسف وشددوا في استخراج الخراج وزادوه حتى اضطر بعض اصحاب الارضين الى الالجاماي

(۱) الطبري ١٣٥٤ ج ٧ (٧) ابن الاثير ٢٤ ج ٥ (٣) المتريزي
 ٨٧ ج ١ (٤) الحيس ٣٥٤ ج ٧ (٥) الغرماني

التمون الاسلامي ج ٢ (٤) الطبمة الثالثة

ان يلجئوا أراضيهم إلى بعض اقارب الخليفة أوالعامل تعززاً به من جباة الحراج كاسياً في اما الحلفاء فلهم ازدادوا انتهاساً في الترف وأولهم يزيد بن عبد الملك فانه انقطع الى اللهو والحمر واشتقل عن مصالح الدولة بجاريتيه سلامة وحبابة وحديثهما مشهور ('' وخلفه اخوه هشام وكان مخيلاً وفي ايامه زيدت الضرائب في مصر على يد ابن الحبحاب كما تقدم . وجاء بعده الوليد بن يزيد بن عبد الملك وكان مثل اييه في اللهو والحمر فقتله اهله وولوا يزيد بن الوليد بن عبد الملك سنة ١٢٦ هوكان عزماً على اصلاح الامور اقتداء بعمر بن عبد المريز كما يؤخذ من خطاب القاه عند مبايعته (٢٦ فاصابه من الفشل نحو ما اصاب عمر لان الاحوال غير ملاءمة .

وكان بنو امية قد انعسوا في الترف واللهو والحمر واصبحوا لا ينظرون الى ما يؤيد سلطايهم ولا يبالون في انتقاء عملهم وربما ولوا العامل عملاً باشارة جارية أو مكافأة على هدية كما فعل هشام بن عبد الملك بالجنيد بن عبد الرحمن . وكان الجنيد قد أهدى امرأة هشام قلادة من جوهر فاعجبت هشاماً فاهدى هشاماً قلادة اخرى فولاه هشام على خراسان سنة ١٩١١ هـ (٣) وبلغ عمن الجارية في أيام بني امية ولاه هشام على خراسان سنة ١٩١١ هـ (٣) وبلغ عمن الجارية في أيام بني امية والاستكثار من الصنائع والموالي ولم يعد أهل العدالة يرضون بولاية الاعمال مخافة أن يقصروا بالمال الذي يطلبه الحلفاه . كما حدث ليزيد بن المهلب لما ولاه سليان ابن عبد الملك العراق ومتى قدمتها وأخذت الناس بالخراج وعذبتهم عليه صرت كالحبحاج رباء أهل العراق ومتى قدمتها وأخذت الناس بالخراج وعذبتهم عليه صرت كالحبحاج الحبان عمل ما جاء به الحبجاج لم يقبل مني » (٥) وقس على ذلك رأي غيره بمن ادخرى يطمعونهم بالرواتب الفادحة فبلغ رزق يزيد بن عمر بن هبيرة اميرالعراق في اواخرى يطمعونهم بالرواتب الفادحة فبلغ رزق يزيد بن عمر بن هبيرة اميرالعراق في اواخر ايام بني امية امير الميراق في اواخر ايام بني امية اميرالعراق في اواخر ايام بني امية امير الميراق في اواخر ايام بني امية الميرا المال يبذلون جهدهم في اختزان

<sup>(</sup>١) الجزء الاول من هذا الكتاب ٨٠ (طبعة ثانية) (٧) ابن الاثير ٣١٧ ج ٥

<sup>(</sup>٣) ابن الاثير ٧٧ ج ٥ (٤) اعلام الناس ٣٥ (٥) الطبري ٣٠٦ ج ٣

<sup>(</sup>٦) ابن خلسکان ۲۸۱ ج ۲

الاموال لانفسهم لعلمهم ان الولاية غير ثابتة لهم. فكثرت أموالهم واتسمت ثروتهم فيلفت غلة خالد القسري امير العراق في أيام هشام ١٣٠٠٠٠٠ درهم (١) أي غو مليون دينار. فاصبح الحلفاء لا يعزلون عاملاً عن عمله الاحاسبوه على ما عنده من المسال. وكانوا في أيام معاوية يشاطرون العمال اقتداء بسمر بن الحطاب. ثم صاروا يحاكمونهم ويستخرجون كل ما تصل اليه معرفتهم من أموالهم كما فعلوا مجالد القسري اذ وشي به كاتبه حيان النبطي انه فرق ٢٠٠٠٠٠٣ درهم . فيمت هشام اليه من أخرج معظم هذا المال منه ومن عماله (٢) ويسمون هذا العمل استخراجاً وكانوا يستخدمون الشدة فيه قوقع بين العمال والحافاء تنافر زاد الخطر على دولة بني أمية

أما ارتفاع الدولة الاسلامية في أيام بني أمية أي مقدار ماكان يجتمع لهم من الحراج والحجزية وغيرهما فقد ضاع تفصيله في جملة ما ضاع من اخبارهم في الفتن . على الن المملكة الاسلامية بلغت في أيامهم اتساعاً عظياً نحو اتساعها في ايام المباسيين ولكن عمتهم كانت على العراق والحزيرة والشام ومصر . واما الاطراف فقد كان خراجها يذهب بين العمال والكتاب والحباة . على ان كثيراً منها لم يكن يدفع شيئاً يستحق الذكر لان قدم الامويين لم تكن راسخة فيها

واختلفت جباية المراق والشام ومصر باختلاف السنين والعمال وقد فصانادلك في الجزء الاول من هذا الكتاب صفحة ٢١٤ ( طبعة ثانية ) وخلاصته ان متوسط جباية العراق في ايامهم نحو ١٣٠٠٠٠٠ درهم وجباية مصر ٣٠٠٠٠٠ دينار (أو ٢٠٠٠٠٠٠ دينار ( أو ٢٠٠٠٠٠٠ درهم) وجباية الشام ١٨٠٠٠٠٠٠ دينار ( أو ٢٠٠٠٠٠٠ درهم) فيكون ارتفاع هذه البلاد نحو ١٨٦٠٠٠٠٠ درهم يضاف اليه أموال البلاد الاخرى مما لا نعرف مقداره

وخلاصة ما تقدم أن الاموال كانت تستخرج في أيام بني امية بكثرة ولكنها لا تسمى ثروة لأمها كانت تصرف في الحروب لتأييد شوكتهم . فقد حاربوا علياً والحسين بن علي والحتار بن ابي عبيد وعبد الله بن الزبير وحاربوا الخوارج وغيرهم ناهيك بمناكان يقوم من الفتن بين القبائل العربية اليمنية والمضرية وبين العرب والمولي فضلاً عماكان يفقه الحلفاء والامراء في البذخ واللهو والقصف

<sup>(</sup>١) ابني غلدون ٩٦ ج ٣ (٢) اليعنوبي ١٠٨ج ٢ وابن الاثبر ١٠٤ ج ٥

#### (٤) الدولة العباسية

للدولة العباسية عصران يختلف احدهما عن الآخر اختلافاً عظيماً: العصر الاول وهو ما يعبرون عنه بالعصر الزاهي بمند مناًول نشأة هذه الدولة سنة ١٣٧ه الى آخر أيام المأمون سنة ٢١٨ ه وفيه بلغت الدولة العباسية قمة مجدها وأنشأت التمدن الذي نحن في صدده وفيه أدركت ثروة الدولة الاسلامية أعظم ما بلغت اليه في عصر من العصور وعليها مدار الكلام في هذا الكتاب

والعصر الثاني ويعبرون عنه بعصر التفهقر او الانحطاط يبتدئ بخلافة المعتصم سنة ٢١٨ هـ وينفضي بانفضاء الدولة العباسية من بغداد وفيه تعهقر التمدن الاسلامي وقلت الثروة وضفت الدولة حتى أمحلت عراها وانفضت اليامها

## المصر العباسي الاول من سنة ١٣٧ الي ٢١٨ هـ

السبب قيام هذه الدولة ) رأيت في ما تغدم ان العصر الاموي يمتاز عن عصر الراشدين بانقلاب الحكومة فيه من الحلافة الدينية الى السياسة الدنيوية وان خلفا ها وعمالها اعاكان همم جمع المال . وانه يمتاز عن العصر العباسي بتعصب أهله للعرب واحتقارهم سائر الاعم وخصوصاً الشعوب التي كانت تحت سلطامم في البلاد التي دانت لهم في مصر والشام والعراق وفارس وخراسان وغيرها وفيهم العبط والروم والسريان والحكامان والفرس والترك والسودان وغيرهم \_ حتى الذين أسلموا منهم . فاصبحت تلك الاعم تمن من معاملتهم وزادها نفوراً ما كانوا يتخذونه من العنف في تحصيل الحراج واصبحوا بودون الخروج من حوزتهم وينصرون كل من دعا الى خلعهم (١) وخصوصاً الموالي فلم باعتناقهم الاسلام خسروا اراضيهم ومنازلهم واصبحوا مطالبين بالنهاب الى الحرب لحماية الدولة . فكان بنو امية مخرجومهم الى القتال مشاة بلا رزق ولا فيء كا تقدم . وكان مناظرو هذه الدولة يغتنمون الفرس ويستنصرون الموالي عليها ويجملون لهم الارزاق . وأول من فعل ذلك المختار بن أبي عبيد سنة ٢٦ هاذ عاء للانتقام من قتلة الحسين بالمكوفة . فعظم ذلك المختار بن أبي عبيد سنة ٢٦ هاذ عاء للانتقام من قتلة الحسين بالمكوفة . فعظم ذلك الحرب والوالي عليها ويجملون فم الارزاق . وأول من فعل ذلك المختار بن أبي عبيد سنة ٢٦ هاذ عاء للانتقام من قتلة الحسين بالمكوفة . فعظم ذلك على العرب وقالوا « ان المختار قد آذى بموالينا قتلة الحسين بالمكوفة . فعظم ذلك على العرب وقالوا « ان المختار قد آذى عوالينا

<sup>(</sup>١) ابن الاتر ١٨٨ع٢

فحملهم على الدواب وأعطاهم فيتنا » فعال لهم المختار يومثنو « اذا انا تركت مواليكم وجلت فيئكم لم تعالون مع بني أمية ١٠٪ » فتفاوضوا فيا ينهم فقال أحدهم « ان اطعتموني لم تخرجوا لأني اخاف ان تنفرفوا وتختلفوا ومع الرجل شجعانكم وفرسانكم ١٠٠٠ ثم ممه عبيدكم ومواليكم وكلة هؤلاء واحدة ومواليكم اشد حنفاً عليكم من عدوكم فهم مهاتلوكم بشجاعة العرب وعداوة العجم » (١)

وكان ذلك شأن الموالي مع كل من قام يدعو الى خلع بني امية ولذلك كنر الحوارج في أيامهم وقام في نفوس العرب ان الحلافة لا يسترط فيها المرسية (٢) على ان هذا الاعتفاد لم يتمكن من نفوس المسلمين الا بعد اجبال . اما يومئذ وكان الدعاة اكثرهم من أهل يبت الني وفيهم العلويون من نسل الامام على ابن عم النبي والعباسيون من أهل العباس عمه . وكان الخراسانيون من اكثر الناس نعمة على بني امية للاسباب التي قدمناها . فاخذوا بيد العباسيين وقائدهم أبو مسلم الخراساني ولما مضوا بهض معهم كل المسلمين غر العرب في كل أنحاء المدلكة الاسلامية فضلاً عن أهل البلاد غير المسلمين . فدارت الدائرة على بني امية وتأيد العباسيون فجلوا عاصمتهم في العراق بالعرب من نصرائهم

وعُرف الساسيون علة سقوط بني أمية فتجنبوا الوقوع في مثلها فأتخذوا الجند والاعوان من الفرس واستبغوا الحند العربي ايضاً من ربيعة ومضر رغبة في المحافظة على العصبية العربية لأنها عماد الاسلام . ولم يكونوا يستطيعون التوفيق بين المنصرين لأنهم سيعوا بطبيعة الامور الى الاختلاط بالفرس والتربي بالبستهم من العلانس ونحوها \_ جعلوا ذلك فرضاً واجباً عليهم . واول من اخذ الناس بلبسه المنصور سنة ١٥٣ (٣) قامرهم بلبس العلانس الطوال المقرطة الطول فقال الو دلامة :

وكنا نرجي من امام زيادة فزاد الامام المصطق فيالفلانس تراها على هام الرجال كأنها دنان جود جللت بالبرانس على انغضب العرب لم يغير شيئاً من مجاري الامور فانحذ الحلفاء امهات اولاد

<sup>(</sup>١) ابن الانبر ١١٣ ج ٤ (٢) الاستنصاء ١٠٠ ج ١ (٣) الطبري ٢٧٢ ج ٣

من الفرس اولدوهن اولاداً تولوا الحلافة وفيهم ميل قطري الى العنصر الفارسي. وازداد هذا العنصر تغلباً في بلاط الحلفاء بما اتخذوه من الوزراء ورجال الشورى منهم كالبرامكة وغيرهم . وكان الفرس يبذّلون جهدهم في خدمة الدولة العباسية بنصح وصدق نية لان في قيامها صلاح بلادهم

﴿ العرب والبيمة ﴾ على ان الحلفاء لم يكن لهم غنى عن جزيرة العرب وفيها الحرمان الكعبة وقبر الني وفي احترامهما احترام الدين الاسلامي وعليه تقوم دعائم الخلافة . وزد على ذلك الهم كأنوا مخافون أهل الحرمين من التشيع لا ل على وهم في حاجة الى بيمة فقهاء المدينة لما لهم من المنزلة فيالخلافة والبيمة وكان أهل الورع من الحلفاء لا يقطعون أمراً دومهم (١) فشق ذلك على الفرس وخافوا ان يرجم النفوذ الى العرب فينتفعوا منهم وتذهب مساعيهم أدراج الرياح فسعوا في اغفال بلاد المرب . ولا سبيل الى اغفالها والكعبة فيها وهي حج المسلمين والحج من أركان الاسلام . فيب بعضهم الى المنصور ان يستبدل الكُّنبة عا يقوم مقامها في العراق وتكون حجاً للناس فبني بناء سهاه القبة الحضراء تصغيراً للكعبة (٢) وقطع الميرة في البحر عن المدينة (٣) فاتخذ العرب ذلك حجة على العباسيين وأظهروا البيعة لمحمد بن عبد الله من آل على وخلموا بيعة المنصور وقد أفتى لهم بذلك مالك ان انس الامام الشهير (٤) . وكان بنو امية في الاندلس قد قطموا دعوة بني الساس بمد أن دعوا لهم مدة قصيرة (٥) عند دخول عبد الرحمن بن معاوية كما ذكرنا في الْجِزْ- الأول منْ هذا الكتاب صفحة ٨٥ (طبعة ثانية ) . واستقل عبد الرحن بالاندلس لبعدها عن دار الحلافة . ثم استولى محمد بن عبد الله على المدينة فخافه المنصور وبذل قصارى همه في قتله ولم يستطع ذلك الا بعد العناء الشديد

فكان ما قاساه المنصور من عواقب اهماله الحرمين عبرة لحلفائه فلما تولى ابنه المهدي اكرم اهل الحرمين وكما الكبة كموة جديدة وفرق هناك مالاً عظيماً جاء به معه من العراق مقداره من العرب ٣٠٠٠٠٠ درهم وجاده وهو في المدينة ٢٠٠٠٠٠ وينار من اليمن ففرقها كلها وفرق ٢٠٠٠٠٠ ثوب

ووسع المسجد واتخذ حرساً من الانصار عددهم ٥٠٠ رجل حملهم معه الى بغداد واقطعهم الارضين (١) وامر بحفر نهر الصلة بواسط واحيا ما عليه من الارضين وجمل علته لمصلات اهل الحرمين والنفقات هناك (٢) واصبح اكرام الحرمين على هذه الصورة سنّة في بني الساس في اثناه حجهم او عند طلب البيعة لاولادهم فإن الرشيد حج سنة ١٨٦ ه ومعه ابناه الامين والمأمون فلما وصل المدينة اعطى فيهما ثلاثة اعطية عنه وعن ولديه . وفعل نحو ذلك في اهل مكة وبلغ ما فرقه فيهما ثلاثة اعطية عنه وعن ولديه . وفعل نحو ذلك في اهل مكة وبلغ ما فرقه ووضع الكتابين في الكهبة (٢) واصبحت النفقة على الحرمين من جملة نفقات الدولة الضرورية . وعاد شأن العرب الى الظهور والحلفاء برون ذلك ضرورياً لتشبيت اقدامهم في الملك

على أنهم كأنوا من الجهة الاخرى لا يستنون عن الفرس وهم وزراؤهم ومشيروهم . فزادت المنافسة بين العضرين حتى كان ما كان بين الامين والمأمون واستنصر المأمون جند خراسان وهم اخواله ('') لان امه فارسية . والامين امه عربية حاشمية ('') وجنده ينصرون العرب فغلب جند المأمون فغبض على ازمة الملك فعاد النفوذ الى الفرس فشق ذلك على العرب و نقموا عليه وارادوا البيعة لسواه واخراج الامر من بده ('') فازداد كرها لهم . ورذهم فعوتب في ذلك مرة وهو في الشام فقال له رجل « يا امير المؤمنين انظر لعرب الشام كما نظرت لعجم خراسان » فقال له « اكثرت على والله ما ازلت قيساً من ظهور خيلها الا وأنا أرى انه لم يبق في بيت مالي درهم واحد وأما اليمن فوالله ما احببتها ولا احبتني قط وأما قضاعة في بيه من مضر » (۷)

ولما تولى المعتصم سنة ٢١٨ هـ واصطنع الآتراك والفراغنة ازداد العرب احتفاراً في عيون أهـل الدولة وتقاصرت ايديهم عن اعمالهــا حتى في مصر فان آخر عربي تولاها عنبسة بن اسحق الضبي سنة ٢٣٨ هـ (٨) وأراد المتصم أن يستثنّى عن بلاد

<sup>(</sup>١) الطبري ٣٨٣ ج ٣ (١) تدامة ٢٤٧ (٣) ابين الأثاب ١٩ ج ٦

<sup>(\$ )</sup> ابن الاثبر ٩٠ و٩٦ ج ٦ (٥) الطبري ٣٩٧٣ج٣ (٦) ابن الاثبر ٢٩١٦ج٦

 <sup>(</sup>٧) ابن الاثير ١٧٦ ج ٦ (٨) التريزي 800 ج ٢

المرب جميعاً وكان قد بني سامرًا بمرب بغداد وأقام فيها جنده فأنشأ فيها كعبة وجمل حولها طوافاً وانخذ منى وعرفات غرَّ به امراء كانوا معه لما طلبوا الحج خشية ان يفارقوه (۱) فاصبح لفظ « عربي » مرادفاً لاحقر الاوصاف عندهم. ومن اقوالهم « العربي بمنزلة السكلب اطرح له كسرة واضرب رأسه » (۲) وقولهم « لا يفلح أحد من العرب الأ أن يكون معه نبى ينصره الله به » (۲) واصبح الامراء والوزراء وسائر رجال الدولة من الفرس والترك والديم وغيرهم وصار الخلفاء يؤيدون مناصبهم بالاجناد وبذل المال وقلت العناية بالعرب واحزابهم

وكان العرب من الجهة الاخرى يجاهرون بكره الفرس وغيرهم من الاعاجم ويطعنون بمن عمل اليهم ولوكان من الحلفاء ولذلك فلما مات المعتصم وتولى بعده الواثق كان دعبل الحراعي الشاعر المشهور في الصميرة فلما جاءه نبي المعتصم وقيام الوائق الشدهذين اليدين:

الحمد لله لا صبر ولا جلد ولا عزاء اذا أهل البلارقدوا خليفة مات لم محزن له أحد وآخر قام لم يفرح به أحد<sup>(1)</sup>

وخلاصة ما تمدم أن الجامعة الاسلامية كمانت في عصر الراشدين عربية وكمان عرضهم الاول نشر الاسلام في الارض يدفهم الى ذلك اعتمادهم المتين بصدق الرسالة وأن الله يدعوهم الى ذلك . فلما تولاها بنو أمية استماضوا عن ذلك الاعتفاد بطلب الملل وتحول الغرض الى السلطة الزمنية السياسية وظلت الجامعة السريسة متينة . وفي عصر العباسيين استبدلوا العصبية العربية بالاعام واحتاجوا في اصطناعهم أو استخدامهم الى المال والخرطوا هم في سلسكهم بواسطة الامهات . ثم أصبح الاعام من الفرس والترك والديم والصغد والفراغنة وغيرهم بتسابفون الى الاستئثار بالنفوذ بواسطة المال كما سنرى

<sup>(</sup>۱) المتدى ۱۲۲ (۲) ابن الاثير ۲۱۱ج ٢ (٣) الطبري ١٥٨٨ ج٣

<sup>(</sup>٤) الجره الاول ١٩١ (طبعة ثانية )

# ثر ولا الدولة العباسية ف المصر العباسي الاول

وصلنا الى موضوع هذا السكتاب لان الثروة الاسلامية لم تنضع الا في هذا المصر وعليه سيكون مدار كلامنا . وتعاس ثروة الدولة المالية على يق في يبت مالها من دخلها بعد النففات لا بمغدار الدخل على الاطلاق اذ قد يكون الدخل المحتبراً والنففة اكثر منه وتفع الدولة تحت العجز . فاذا اعنبرنا ذلك كانت ثروة الدولة العباسية في العصر الاول فاحشة ـ وان كنا لم نعم على ميزانيتها في عهد الحلفاء الحمسة الاولين فلم نعلم معدار حيايتها في العام نما يعبرون عنه بارتفاع الدولة لفياع حساياتها في الفتنة بين الامين والمأمون اذ احترقت الدواوين (١) وضاعت الدفاتر كما احترق ديوان بني أمية في عام الجماحم (٢) ـ ولكنتا نعلم مفدار الثروة في أيامم نما كانوا يخترثونه من المال في أثناء حكمم

في أيامهم مما كانوا ليخترنونه من المال في أثناء حكمهم (المثروة في أوائل الدولة ) فالحليفة الاول أبو السباس السفاح لم بحكم الا أربع سنوات ( من سنة ١٩٧٧ – ١٩٣١ ) قضاها في الحروب ولم يجمع مالاً . ولما مات لم يجدوا في بيته الا تسع حبات وأربعة أقصة وخمسة سراويلات وأربعة فطالسة وثلاثة مطارف خز (١٠ . وأما المنصور فانه حكم ٢٢ سنة (١٩٣١ – ١٥٨) وكان رجلاً حازماً كثير الاحتياط شديد الحرص على المال واخترانه \_ لا عن بخل ولكنه كان يخاف الفتن . فلما مات خلف في بيت ماله ١٠٠٠٠٠٠ درهم ولكنه كان يخاف الفتن . فلما مات خلف في بيت ماله ١٩٠٠٠٠٠ درهم درهاً وهي قيمته في ذلك العصر تعريباً كان بجوع ماخلفه المنصور ١٠٠٠٠٠٠ درهم درهم والدرهم نحو فرنك ) . فلما دنا أجله أوصى ابنه المهدي قائلاً « قد جمت درهم والدرة عنر سنين كان عندك كفاية لارزاق الجند والنففات وعطاه الذرية ومصلحة التغور فاحتفظ بها فانك

<sup>(</sup>۱) تدامة ۲۳۳ (۲) الماوردي ۱۸۳ (۳) الطبري ۸۸ ج ۳ (۱) المسودي ۱۷۷ ج ۲

لا زَال عزيزاً ما دام بيت مالك عامراً » (١) ويدل ذلك على دهاء المنصور واحتياطه للزمان . على ان سيرنه كلها تدل على الحزم والعظ.ة والدهاء وهو بالحفيمة مؤيد دولة بني العباس حارب في سبيل سلامتها حروباً كثيرة انفق فيهما اموالاً طائلة منها ٣٣٠٠٠٠٠ درهم أختها في حرب الحوارج بافريفية سنة ١٥٤ هـ فاعنبر ما انفعه في الحروب الاخرى وهي كثيرة ــ فضلاً عما كان يبذله لاهله فانه بذل لحماعة منهم في يوم واحد ١٠٠٠٠٠ درهم (٢) وأنفق على بناه بغداد وحدها ۲۰۰۰ ۲۸۳۴ درهم (۲) ناهیك عاكان ینفعه علی اصلاح الري وبناه الجسور . فاذا اعتبرت ذلك كله هان عليك تمديرما وصل الى بيت المال في أيام المنصور بمليار درهم ( ٢٠٠٠ ٠٠٠ ) على الأقال . فاذا قسمت ذلك على سني حكمه ( ٢٢ )لحق السنة ٢٠٠٠٠٠ درهم سوى الاموال ِالتي كان يأخذها منَ العمال اذا عزلهم واستخرح أموالهم. لانه كان اذا عزل عاملاً أخَّذ ماله وتركه في بيت مال مستمل مهاه « بيت مال المظالم » وكنب على كل مال اسم صاحب. . ولما أحس بدنو الاجل أوصى انه المهدي في ذلك قائلاً « قد هيأت لك شيئاً فاذا أما مت فادع من أخذت ماله فاردده عليه فانك ستحمد بذلك اليهم والى العامة » (: ) ففعل المهدي ذلك مَا تُولَى. وقد بعبادر الىالذهن ان المنصور استكثر المال بما أخذه من أموال بني امية بعد قهرهم وهي كثبرة ولكن تلك الاموال ظلت منمردة في خرانة خاصة يسمونها « مال أهل بيت اللمنة » (٥)

وثروة المنصور قد تمد قلية بالنطر الى ثروة الرشيد فعد خلف في يبت المال عند وقاء (سنة ١٩٣هـ) ١٠٠٠٠٠٠ درهم ونيفاً (٢) ومدة حكمه نحو مدة حكم المنصور غير ما أنفعه الرشيد وما بذله وأسرف فيه وكرمه مشهور . وقد يخطر في البال ان هذا المال تجمع من أيام المنصور قانهدي فالحادي قالرشيد ولم يجتمع كله في أيام الرشيد . والواقع ان المهدي أنفق كل ما خلفه المنصور وكل ما جباه في اثناه خلافته ( من سنة ١٥٨ -- ١٦٩ ) (٧) لانه كان كثير السخاء . ولم مجكم الهادي الاسنة وبعض السنة ويروى من فرط سخانه انه اعطى عبد الله بن مالك ارسمائة

<sup>(</sup>۱) انظیری،۱۶۶ ج ۳ (۲) این الاثیر ۱۳ ح ۳ (۳) المقدی ۱۲۱ وسیر الملوك ۵۰ (۶) الطیری 8۱۰ ج ۳ (۵) این الاثیر ۶۰ ج ۳ (۲) الطیری ۲۲۴ ج ۳ واین الاثیر ۸۵ ج ۲ (۷) المسمودی ۱۷۷ ج ۲

بغل موقرة دراهم وغيرها فلا حقل ان مجتمع عنده مال يستحق الذكر . فما خلفه الرشيد في ببت المال أعا جمع في أيامه واذا ددرناه باعتبار مدة حكمه لم يزدكنيراً عما تركه المنصور لما بينهما من البون الشاسع في السخاه . فعدكان الرشيدكريماً حتى أنه لم يكن سرف للمال قيمة (١) وكان المنصور متهماً بالبخل (٢) ناهيك عما كان من أمر البرامكة في أيام الرشيد وما امتلكوه من الضياع و مذلوه من الاموال عما هو معلوم

ولما مات الرشيد سنة ١٩٣ تنازع ولداه الامين والمأمون على الخلافة وتحاربا وكان الامين في بنداد وقد أتنه امه ريدة بخزائن أبيه (٣) والمأمون في خراسان ودامت الحرب بينهما بضع سنوات الهق الامين في اثنائها كل ما كان في بيت المال مع ما الفعه في خاصته . لأنه المعلم في اثناء حلافته الى اللهو والحمر وبدل الاموال في طلب الملهين وضمهم اليه واجرى عليهم الارزاق واحتجب عن اخوته وأهل بيته وقسم الاموال والجواهر في خواصه من الحصيان والنساه (١) فا قتل الامين سنة ١٩٨٨ استه ثن الامر في المند ق والمند ب المأمون وزاد

فلما قتل الامين سنة ١٩٨ استوثن الامر في المشرق والمفرب للهأمون وزاد نموذ الخراسانيين في أيامه لاتهم هم الذين أعادوا الملك اليه واستتبت السكينة في المملكة العباسية واشتغل المأمون في نعل العلوم الى العربية وسنأتي على تفصيل ذلك في جزء آخر من هذا الكتاب خاص بالعلم والادب

أما الدوة في أيام المأمون فانها اتسمت لاستكانة الناس الى العمل واجماع الفلوب ومدة حكمه ٢٧ سنة نحو مدة ايه الرشيد وابي جده المنصور ولسكننا لم نعف على معدارما خلفه في ببت المال عند وفاته ولعل خبر ذلك ضاع في جملة ما ضاع من هذا الفيل لعلة عناية مؤرخى تلك الاياء في هذه الامجاث

على ان اذخار المال اصبح بعد الحلفاء الراشدين من الامور المألوفة عند ملوك المسلمين في كل المالك والعصور . قبل ان عبد الرحمن الناصر خليفة الاندلس الشهير ( تولى سنة ٣٤٠هـ عود ٣٥٠٠٠٠٠) جمع في ييت ماله الى سنة ٣٤٠هـ محود السوق ديئار ( ) وكانت جباية الاندلس في ايامه ٤٨٠٠٠٠ ديئار ومر السوق

<sup>(</sup>۱) ااطبري ۱۳۳ ح ۷ (۲) اس الاثير ۱۷ ج ۶ (۳) ابو النداء ۲۰ ج ۲ (٤) ابو النداء ۲۲ ج ۷ (۵) ابن حوفل ۷۷

والمستخلص ٢٠٥٠٠٠ دينار الجلة ٢٠٤٥٠٠٠ دينار ما عدا الحاس الفنائم فاتها كانت كثيره (١) وكان الناصر ينفق على جنده ثلث هذا المال فقط (٢) وقد بالنم ابن خلاون في معدار ما خلفه الناصر في بيت المال فجمله ٢٠٠٠٠٠٠٠ دينار ولم يذكر ذلك جزافاً ولا خامر كلامه شك بل هو حولها الى الوزن فكانت على تغديره ٥٠٠٠٠٠ قنطار (٢) وهو قول بعيد لا ندري كيف تطرق الى قلم هذا الفيلسوف ويدل على بعده أن ابن حوقل وهو من معاصري تلك الدولة قدَّر ما اجتمع في بيت مال الحكم بن الناصر بعد موت ابيه من خدمه والمصادر بن وغيرهم فلم يزد على ٢٠٠٠٠٠ دينار وعد ذلك كثيراً لم يجتمع لدولة من الدول في ذلك المصر (١) وكانت بنداد يومئذ في عصر الانحطاط وخلفاؤها وقوادها ووزراؤها يتعاتلون على المال ويصادر بعضهم بعضاً

أما في أيام المأمون فالمال الذي كان يجتمع من صوافي الجباية في بيت المال كل عام لم يجتمع في دولة من دول المسلمين ولا غيرهم. وقد وقفنا على مغدار الله الحبابة في معدمة ابن خادون نفلاً عن « جراب الدولة » (٥) وهي أقدم جريدة الحرف نفلها و قائمة وصلت الينا من حسابات الدول الاسلامية. تليها جريدة الحرف نفلها قدامة بن جعفر وأخرى رواها ابن خرداذبه وكلها لا تتجاوز اواسط الغرن الثالث للهجرة وسنذكر كلاً منها ونعابل بينها ليتبين لنا مقدار الله الثوة

ولكننا ثرى قبل التقدم الى ذكر الجباية ان نأتي على فذلكة في جغرافية المماكة الاسلامية في ايام المأمون لتتضع نسبة اعمال تلك المملكة بعضها الى بعض والى عاصمة المملكة الصاسية

# جغرافية مملكة الاسلام

## في عصر المأمون

﴿ حدودها ﴾ بمحدها من الشرق أرض الهند وبعض الصبن وبمحر فارس ومن الغرب مماكمة الروم ويعبر عن تلك الحدود الآث بالبحر الاسود وآسيا

<sup>(</sup>۱) تنح الطب ۱۷۹ج ۱ (۲) ابن خلکان ۳۰ج ۲ (۳) ابن خلدول ۱۹ ج ۱ (۶) ابن خلدول ۱۹۸ ج ۱ (۴) ابن خلدول ۱۹۰ ج ۱

الصغرى وبحر الروم والروس والبلغار . ومن الثهال بلاد السرير والحزر واللان في آسيا وجبال البيرينيه في أوربا . وفي خارطة هذه الايام بلاد سيببرياو بحر قزوين وبحر الروم . ومن الجنوب بحر قارس وما يلي مصر من بلاد النوبة وقد بينا مساحتها وعدد سكانها في الجزء الاول صفحة ٩٧ ( طبعة ثانة )

وتضم هذه المملكة الى عدة أعمال تختلف مساحتها وتسبتها بعضها الى بعض باختلاف الدول والازمنة وسنبين ما كانت عليه حوالي عصر المأمون تقلاً عن جنرافي العرب في تلك الايام وخصوصاً الاصطخري وابن حوقل وابن الففيه . فهي تقسم الى سبعة وعشرين أفلياً منها سبعة في المفرب وعشرون في المشرق وهي :

( اقاليم المغرب )

الشام ديار العرب يحر الروم بحر فارس ديار المغرب الحزرة ٔ مصر ﴿ أَقَالُمُ الْمُشْرِقُ ﴾ الحيال البر اق الديا خوزستان ( الاهواز ) فارس طبرستان کر مان جر جان مكران قومس طوران مفازة خراسان البند سجستان خراسان ارمنية

واليك وصف كل من هذه الاقاليم بما يمكن من الايجاز :

اذربحان

بلاد الران

( ديار العرب ) وهي جزيرة العرب مجيط بها محر فارس من عبادان ــ

ما وراء النهر

خوارزم

وهو مصب ماه دجلة في البحر فيمتد على البحرين حتى ينتهي الى عمان ثم ينعطف على سواحل مهرة وحضرموت وعدن حتى ينتهي الى سواحل المجر الى جدة ثم يمند الى مدبن حتى ينتهي الى ايلة . فهم يريدون بيحر قارس كل ما يحيط بيلاد العرب من المياه ولكنهم يعبرون عى الحرء الممتد من باب المندب الى ابلة سحر العرب من المياه ولكنهم و ويحدها من العرب النهالي براً بلاد الشام و فلسماين بخط منحن عند من ايلة الى البحيرة المنتبة قالشراة قالبلفاه قاذرعات وسلمية فالحناصرة الى الفراب الى الرقه وقر وبسيا والرحبه فالكوفة الى البطائح فواسط الى عيادان

وتمسم ديار العرب الى الحجاز وفيه مكه والطائف والدينة والمجامة ومخاليفها. ونجد الحجاز المتصل بأرض البحرين . وبادية العراق . وبادية الجزيرة . وبادية السام . واليمي المشتملة على نهامة . ونجد اليمي وعمان ومهرة وحضرموت وبلاد صنعاه وعدن وسائر مخاليب اليمي

﴿ بحر فارس ﴾ ويراد مه عندهم كل البحور المحبطة ملاد العرب من مصب ماء دجلة في العراق الى أبله (١) فيدحل فيه ما نسر عنه اليوم بخليج فارس وبحر العرب وحليح عدن والمحر والاحمر وخليح المقبة ولا يهمنا وصفه في هذا المقام ما ديار المحرب و راديها في اصطلاحهم كل سواحل افريقيا الثمالية وراه حدود مصر عرباً ويدحل في ذلك (١) برقة (٣) افريقية وهي بونس (٣) ماهرت في الحزائر (١) ملتحة والسوس وزويلة في مراكش

اما رفة فهى مدينة و سط وافعة في مستو من الارض حصبة يطيف بها البادية يسكنها طوانت من الدبر وبنها وبين افريقيه مدينه طرابلس الغرب وهي من عمل افريقية مبنية من التحذ ويابها المهدية ثم توسن وهي كبرة خصبة ثم الفبروان وهي عاصمة افريقية واكبر مدينة فيها وافعة في البر. وكذلك تاهرت فان عاصمتها تاهرت. ومن مدنها أيضاً سجاماسة وهي سيدة في الصحراء

و يجلون الانداس جر-ا من يلاد المغرب لأنهاكات تابعة لها عند فتحها والانداس ( اسبانيا ) مملكة كبيرة عاصمنها قرطبة وحدودها ممروفة . ومن اشهر مدنها حيان وطليطلة وسرقصطة ولاردة ووادي الحجارةوترجالة وقورية وماردة

<sup>(</sup>١) الاصطحري ٧٨

وباجة وغافق ولبلة وقرمونه واستجة ورية . وعلى سواحلها نننزين ومالفة وحبل طارق وغير ذلك

﴿ مَصَرُ ﴾ وحدود مَصَرَ في نَلَكُ الآيام مثل حقودها اليوم نَمَريباً ويلحقون بها البجة والنوبة الى حدود البحر الاحمر فالعفية

الشام ) ويراد بها سوريا على العموم وتمسم الى سبعة افسام (١) جند فلسطين (٦) جند الأردن (٣) حند حمس (٤) حند دمنىق (٥) جند فلسرين
 العواصم (٧) الثغور

فجند فلسطين أول اجناد الساء عرباً محده من حهة مصر رفع ومن الشهال اللجون وفيه يافا وأرمحا وببت لحم وعرة والسراه والبحرة المنتنة وغور ببسان ونابلس وكمات قصبة فلسطس الرملة ويابها في السكبر من المعدس

وجند الاردن صبيه مدينة طبرية

واما جند دمشق ففصبنه مدينة دمشق وهي أعظم مدن السام على الاطلاق وهي معروفة

واما جند حمص فعصبنه مدينه حمص وهي مشهورة و نابعها اطرطوس وسلمية يطرف البادية وسنزر وحماه وكماما صعرائ

وجند فنسرين قصبته حلب وهي مسهورة الى اليوم وكان لها سأن كبر لوفوعها في طريق العراق الى النفور والعواص . و بي مدنها مدينة مسرين وهي حضرة ومعرة النمان

وأما المواصم فعراد بها أعالى الشام وراه حاب الى الحندرونة وقصبها الطاكية وهي تلي دمنق بالنراهة . وكات عاصمة الشاء على عهد الروم وكان عليها سور ضخم للفاية قيل ان دوره للراكب يومين (١) ومن مدن المواصم بالشي على ضفة الفرات ومنبح في البرية

اما الثغور فهي ما وراء العواصم الى حدود حبل طورس في اسبا الصغرى ومن مديها النهبرة سمدماط على الفرات وملطية وهي أكر النغور وحص منصور ومنها الحدث ومرعش وزبطرة والهارونية والمصيصة وأذنة وطرسوس. وقد يدخلون النغور في العواصم ويطلعون عليها جيماً اسم العواصم. والمراد بالتغور

<sup>(</sup>١) الاصطخري ٦٢

عندهم المدن الواقمة على الحدود بينهم وببن الروّم ولذلك كان عندهم ثنور شامية أي الحدود نما يلي الشام وحدود جزرية اي الحدود نما يلي الجزيرة

( بحر الرومُ) ويراد به وصف ما فيه من الجزائر بما لا دخل له في غرضنا الآن

(الجزيرة) بين دجلة والفرات بلاد واسعة تعرف بما بين الهرين يسمى المسم النهالي منها الجزيرة والجنوبي العراق والفاصل بينهما تكريت على دجلة والانبار او هيت على الفرات . ويلحق الجريرة بعض البلاد وراء الضفتين في بعض المواضع . بحدها من النهال ميافرقين وما يليها غرباً الى الفرات قرب ملطية ومرك الجنوب هين على نهر الفرات وتكريت على دجلة ويحدها من الفرب الجنوبي بادية الجزيرة ومن النعرق الجبال واذربيجان

والجزيرة بلاد خصة جداً مثل بلاد العراق . من أشهر مدنها الموصل على دجلة من جهة العرب وسنجار في وسط البربة بديار ربيعة ليس في الجزيرة بلد فيها نحل مثلها . ونصيبين وكانت ازه بلد في الجزيرة ، ودارا وهي صغيرة ، ورأس عين مدينة مستوية الارض في دار مضر وآمد في اعالي دجلة وجزيرة ابن عمر على دجلة ايضاً ومن مدنها على الفرات الرقة وقرقيسيا والحديثة وهيت . وفي الواسطها ايضاً حران وهي مدينة الصابئين . والرها وهي قديمة مشهورة بالمدارس والعلوم أيام السريان . وسروح مدينة خصبة كثيرة الاعتاب

وفي الجزيرة مفاوز يسكنها قبائل من ربيعة ومضر تفيم ربيعة في الثمال الشرقي ومضر في الجنوب النري وقد كانوا هناك قبل الاسلام . وهم أهل خيل وغم وابل على أنهم متصلون بالدرى والمدن فهم بادية حاضرة . وتكريت آخر حدود الجزيرة على دجلة وكان اكثر اهلها نصارى

(العراق) هو الفسم الجنوبي من بين النهرين وما يجاوره طوله من تمكريت على دجلة من الشال الى عبادان على بحر فارس في الجنوب وعرضه من قادسية السكوفة في الغرب الى حلوان في الشرق . ومحيطه اذا بعداًنا من تمكريت تسير شرقاً الى شهرزور ثم جنوباً شرقياً الى حلوان فالسيروان والصيمرة فحدول السوس الى عبادان ثم ينعطف الى البصرة ومنها صعداً نحو الثيال والغرب في البادية على سواد البصرة وبطائحها الى السكوفة ثم على الفرات الى الإنبار ومن

الانبار شالاً الى تكريت . ويسمى ما بين دجلة والفرات السواد . هذه حدود العراق في البن التمدن الاسلامى وهي تختلف عن حدوده الآن وخصوصاً لان عجاري الأنهر تنبرت وسنمود الى تفصيل ذلك في مكان آخر

واشهر مدن المراق بغداد وهي قصبته وعاصمة المملكة الاسلامية في ابان بحدها بناها المنصور . والبصرة وهي مدينة عربية بناها المسلمون في أيام عمر بن الحطاب والبصرة بطائح سيأتي تاريخها في موضع آخر . وواسط مدينة عربية أيضاً بناها الحجاج في وسط السواد . والكوفة غربي الفرات وهي من بناه المرب. ومن مدن العراق النهروان شرقي دجلة على نهر اسمه النهروان جف الآن . وحلوان في آخر حدود العراق شرقاً وكانت مدينة كبيرة بقرب الحجل . والحيرة قرب البصرة

(خوزسنان) هي شرقي المراق بينها وبين فارس مجدها من الشهال كور الجبال ومن الشرق فارس وأصبهان ومن الغرب المراق ومن الجنوب خليج فارس عاصتها مدينة الاهواز واليها تنسب خوزستان فيمال لها الاهواز . وتقسم الى كور أو لها كورة الاهواز . ثم جندي سابور والسوس وتستر ورامهر مز وسرق وعسكر مكرم . وقصبة كل كورة المدينة المسها

(بلاد فارس) وهي واقعة بين خوزستان في الغرب وكرمان في الشرق وبحدها شالاً اصفهان وبادية خراسان ومن الجنوب والغرب بحر فارس. وتقسم بلاد فارس الى خس كور اكبرها كورة اصطخر قصبتها اصطخر ثم كورة اردشير خرة وقصبتها جور وفيها أيضاً مدينة شيراز وهي عاصمة بلاد فارس وبها دواوينها ودار الامارة . ثم كورة دار الجرد وكورة ارجان قصبتها مدينة ارجان ثم كورة سابور وهي اصغر كور فارس وفيها مدينة كازرون . ومن بلاد فارس بقاع يقيم فيها قبائل من الاكراد يزيدون على مئة حي يتميشون بالمرعى والحرث في بقاع يقال لهسا رموم . ويقدرون تلك الفبائل في بلاد فارس وحدها بحو في بقاع يقال لهسا رموم . ويقدرون تلك الفبائل في بلاد فارس وحدها بحو كون في البيت الواحد من الارباب والاجراء والرعاء نحو عشرة رجال فاذا اعتبرنا معدل الرجال في كل يبت خمسة كان عدد الرجال الاكراد ٢٥٠٠٠٠٠ رجل

(كرمان) هي اكبر من فارس واقعة بين فارس في الغرب ومكران وسجستان في الشرق ويحدها من الشهال مفازة خراسان ومن الجنوب بحر فارس وأشهر مدنها الشيرجان وبم وحيرفت وهرموز

( مكران ) هي شرقي كرمان والى شرقيها طوران وبعض بلاد السند وفي الثيال سجستان وبلاد الهند وفي الجنوب محر فارس وهي اكبر من كرمان ومن مدما التيز وكيز ودرك ورسك

(طوران ) هي أصغر من فارس واقعة بين مكران في الغرب وبلاد السند في الشرق والثبال وبحر فارس في الجنوب وأشهر بلادها محالي وكيزكانان وقصدار

(السند) والسند آخر حدود بملكة الاسلام في الشرق واشهر مدنها المنصورة وهي بلسان الهنود برهماناباذ ومنها الديبل على شاطى، البحر والملسان وغيرها . أما المنصورة فأنها واقمة على خليج من نهر مهران يحيط بها في شبه الجزيرة وأهلها مسلمون . ويطلق الاصطخري على مكران وطوران والسند اسم السند

(ارمينية) هي في أعالي بملكة الاسلام فوق الجزرة تحدها من الشرق اذربيجان والران ومن الفرب بلاد الروم ( في آسيا الصغرى ) ومن الشهال حبال الفبق (القوقاس) ومن الجنوب الجزيرة قصبتها دبيل وفيها دارالامارتوالنصارى بها كثيرون ومن مديها خلاط وارزن وقاليقلا وميافارقين ويعدها بعضهم من الجزيرة وهكذا فعلنا

(اذربيجان) هي شرقي الجزيرة يحدها من الغرب الجزيرة وارمينية ومن الشرق بحر الحزورة وارمينية ومن الشرق بحر الحزور وبلاد الديم ومن الشبال بلاد الران ومن الحنوب كور الحيال. عاصتها مدينة اردبيل وفيها العسكر ودار الامارة طولها ميلان في ميلين ويلي اردبيسل بالكبر المراغة وكانت قبلا دار الامارة وتليها ارمية على شاطىء بحيرة الشراة. ومن مدنها سلماس ومرند وشيز

﴿ بلاد الران ﴾ هي شهالي اذريجان محسدها من الشرق بحر الحزر ومن العرب المدينة ومن الشهال حبل قبق ومن الحينوب اذريجان اكبر مدمها مدينسة برذعة ثم تغليس والباب ومنها بيلقان والشاوران وغيرها (الحيال) براد بالحيال حيال فارس وهي تضم الى كور اشهرها ماه الكوفة وهي الدينور وماه البصرة وتسمى مهاوند. ومحد الحيالمن الشرق مفازة خراسان وفارس ومن الغرب العراق والجزيرة ومن الشهال اذريجان والديم والري وقزوين ومن الجنوب خوزستان والعراق. وهي تشتمل على مدن مشهورة أعظمها همذان والدينور وماسبذان واصبهان وتم وقاشان ومهاوند واللور والكرج وقزوين وشهر زور وحلوان. مساحة همذان فرسخ في فرسخ وكان لها سور أبوابه من حديد. والدينور (ماه الكوفة) نحو ثلثيها . واصبهان مدينتان بينهما ميلان . ومهاوند (ماه البصرة) واقعة على حبل بناؤها من طين . وحلوان مدينة في سفح الحبل (ماه البصرة) واقعة على حبل بناؤها من طين . وحلوان مدينة في سفح الحبل المطل على العراق . وشهر زور قريبة من العراق . وقزوين في أعالي فارس وهي شر بلاد الديلم . وقم مدينة عليها سور وهي خصبة . وقاسان مدينة صغيرة

( الديل ؛ هي جبال مطاة على محرالخزر (محر قزوين ) محدها من الجنوب قزوين ومن الدياب ومن العرب قزوين ومن التبال محر الحزر ومن السرق قومس ومن العرب اذريجان. وأهل الديلم صنفان سكان الجبال وسكان الشهول ومن تواجها الري وأجر وزمجان والطالعان وقزوين والرويان

(طبرستان) وهي تدلي الديلم ضرقاً واقعة على مجر الحزر أيضاً محدها من المشرق جرجان ومن الغرب الديلم . أكبر مدنها آمل وهي مركز الولاية وسارية وهي بلادكثيرة المياه ودماوند ( او دنباوند )

( جرجان ) هي شرقي طبرستانوشهاليهايحدها من الشهال ركستان ومن الجنوب قومس ومن الشرق خراسان ومن الغرب بحر الخزر . اكبر مديهامدينة جرجان وهي اكبر من آمـــل . ثم استراباد في الجنوب ودهستان على ساطىء البحر

( قومس ) هي جنوبي جرجان وطبرستان وهما يحدانها من الشهال. وأما من الجنوب والشرق فحسدودها مفازة خراسان ومن الفرب تحدها بلاد الري قصبتها مدينة الدامغان

﴿ مَفَازَةَ خَرَاسَانَ ﴾ هي بادية وافعة في أواسط بلاد المشرق يحدها من الشهال قومسومن الجنوب بلاد فارس وسجستان ومن الشرق سجستان وخراسان ومن الفرب الجبال والريوهي أقل من بادية العرب سكاناً . وبعض هذه المفازة تابع لحراسان والبعض الآخر تابع لعملي فارس وكرمان وهي وعرة ويصعب سلوكها بالحيل لفلة الماء فيها (سجستان) هي واقعة في شالي مكران مجدها من الشرق مفازة بينها وبين السند. ومن الجنوب مكران ومن الشهال أرض الهند ومن الغرب مفازة خراسان. اكبر مدمها زرنج وبست والطاق وغيرها

(خراسان) هي من أخصب بلاد المشرق وأوسعها محدها من الشرق الشهالي ما وراه النهر ومن الشرق الجنوبي بلاد السند وسجستان . ومن الشهال خوارزم وبلاد الغز في تركستان . ومن الجنوب مفازة خراسان وفارس . ومن الغرب قومس . وتفسم خراسان الى كور أعظمها نيسابور ومرو وهرات وبلخ يليها كور قوهستان وطوس ونسا وايبورد وسرخس واسفزار وبوشنج وباذعيس وكتج رستاق ومروروذ وجوزجان وطخارستان وزم وآمل

عاصمة خراسان مدينة نيسابور وهي أعظم مدنها جميعاً وتسمى ابضاً أبرشهر واقعة في أرض سهلة ابنيتها من طينسعتها فرسخ في فرسخ . ومدينةمرو وتسرف يمرو الشاهجان وهي قديمة البناء . ومدن خراسان كثيرة وبلادها آهة وتربتها خصبة وقدكان للمسلمين منها ارتفاع عظيم

(ما وراء النهر ) هي آخر بلاد الأسلام شهالاً شرقياً مجدها من الشهال بلاد تركستان وبلاد الهند ومن الغرب الجنوبي خراسان يفصل بينهما شهر جيحون ومن الثبال انفر بي خوارزم ومن الجنوب طخارستان . وهو من أخصب أقاليم الاسلام وازهها وأكثرها خيراً . وأشهر نواحيها مجارا وسمر قند وكش ونخشاب ويكند والساغانيان وفرغانة والسغد والشاش وأشروسنة وخوجند

إخوارزم؟ ويعدها الاصطخري تابعة لما وراء النهر فأما مستطيلة الشكل عند على ضفاف نهر جيحون في الشهال . محدها من الشهال محر خوارزم ومن الجنوب خراسان وبلاد الصند وتحدق بهذا الاقلم المفاوز من الشرق والنرب . قصبته مدينة خوارزم

هذه خلاصة جنرافية المملكة الاسلامية حوالي عصر المأمون ونسبة اقاليمها بعضها الى بعض تميداً لما سنذكره من جباية المملكة الساسية وهي تشمل كاهذه الاقاليم الا الاندلس ولم يكن كل اقليم منها قائماً بذاته يؤدي خراجه باسمه قائب بعض هذه الاقاليم كان داخلاً في عمل البعض الآخر . وقد اختلف ذلك باختلاف الاعصر فرعا ورد في قائمة الجباية ذكر خراج أقليم ويكون المراد خراج اقليمين

أو اكثر مما دخل تحت سيطرة عامله . اذكتيراً ماكان الحلفاء يولون العامل عدة أقاليم يسمونها باسم واحد منها لاسباب لا يمكن حصرها

وقبل الشروع في ايراد خراج الاعمال العباسية واستخراج ارتفاع الدولة لا بد لنا من بيان علاقة تلك الاقاليم أو الاعمال بيغداد عاصمة المملسكة بالنظر الى توريد الحراج

## علاقة الاعمال العباسية بالعاصمة

قلنا في كلامنا عن ولاية الاعمال في الجزء الاول أنها كانت في بادى الرأي أشبه بالاحتلال العسكري منه بالحملك . وكان العال في عهد الراشدين هم قواد الجند الذين فتحوا تلك الاقاليم وواجبانهم مرافبة سير الاحكام في البلاد التي افتتحوها واقامة الصلاة واقتضاه الحراج وظلت أعمال الحكومة في داخل البلاد المفتوحة جارية على ما كانت عليه قبل الفتح . وكان الذين يباشرون جباية الحراج ويتولون أعمال الحكومة في البلاد موظفين من أهلها الاصليين فاذا اجتمع الحراج والجزية انفقوا هن مجموعهما ما تحتاج اليه الجباية من قفات الجباة وغيرها ودفعوا الباقي الى الحاكم المسلم وهدذا يدفع منه رواتب الذين معه من القواد والجند وما يقتضيه اصلاح الري من اقامة الجسور والسدود ويرسل الباقي الى بيت المال في عاصمة المملكة

ذلك كان شأن الاعمال الاسلامية في زمن الراشدين ولما أفضى الامر الى بني أمية واضطر معاوية الى اكتساب الاحزاب زاد في نفوذ العال وجعل بعض الاعمال طعمة لهم فازدادوا استفلالاً في أعمالهم ثمدعت الاحوال الى تمكن المسلمين من البلاد المفتوحة واستلام أزمة الاحكام بأيديهم وتحويل الدواوين الى لسانهم في ايام عبد الملك ومن جاء بعده — الا حباة الحراج فليهم ظلوا من أهل البلاد الاصليين القبط في مصر والدهافين في العراق وقارس . وظل العال يقبضون صوافي الحراج والجزاج والجزاة وينفقون النفقات اللازمة ويرسلون الباقي الى بيت المال في دمشق وهو ما يعبرون عنه بارتفاع الجباية . واذا لم تمكف الجباية القيام بالنفقات طالبوا الخليفة بالباقي (1)

ولما تولى بنو البياس ظلت الاعمال على نحو هذا الشكل. ويهمنا في هذا المقام تتبع تلك العلاقة من حيث الجباية ففط. والظاهر أن العمال زادوا استقلالاً من هذا الغبيل عما كانوا عليه في أيام بني امية حتى آل الامر أخيراً الى تضمين الحراج اي تعبيله. وهي أن يوظف على العامل مال ممين يدضه في السنة الى بيت المال في بغداد وهو يتولى قبض الحراح والجزية وسائر الضرائب وينفق ما ينفقه كما يشاه لا يطالبه الحليفة الا بالمال المضروب. ويكون ذلك في امارة الاستيالاه. كذلك فعل الرشيد مع اراهيم بن الاغلب عامله على افريفية وكان هذا الاقليم عالة على المخكومة محمل اليه من مصر كل سنة ١٠٠٠ دينار معونة له فلما تولاه ابن الاغلب تنازل عن هذا المال ومذل ان محمل كل سنة ١٠٠٠ دينار (١٠) وفعل الرشيد نحو ذلك ببرقة فانه جعلها قانوناً قائماً فوجه يمولى له فوزع خراج الارض بارسة وعشرين الف دينار (٢٠) وكذلك فعل المأمون مع عبد الله بن طاهر فانه بارسة وعشرين الف دينار (٢٠) وكذلك فعل المأمون مع عبد الله بن طاهر فانه وقف عليه خراج خراسان وما يتبعه سنة ٢١١ ه و ٢١٧ ه قدراً مميناً سيأتي وقف عليه خراج خراسان وما يتبعه سنة ٢١١ ه و ٢١٧ ه قدراً مميناً سيأتي ابن موسى من السند (٣) ثم صار التوظيف المذكور ضاماً وتكاثر حتى آل الى استعلال الامراء بولاياتهم

وجملة العول أن المال الذي كانوا يعبرون عنه بخراج البلد الفلائي أعا يراد به ما يرد على ببت المال من خراج ذلك البلد صد اداء اعطيات الجند المقيم فيه ونفقات الجباية واصلاح الري وسائر السكلف (٤٠) او بطريق التوظيف كما تفدم فما يجتمع من حبايات الاعمال يعبرون عنه بارتفاع الدولة أو جباية الدولة أي مجموع صافي الدخل لا ينفو منه الاعلى موظني الدواوين ورجال الدولة في بغداد غبر ما يأخذه الحليفة وأهام مما سبأتي تفصيله . وقد صرح ابن خلدون في معدمة كلامه عن معدار تلك الحباية في أيام المأمون بقوله « ما يحمل الى بيت المال يبعداد في أيام المأمون من جميع النواحي نقلته عن جراب الدولة » (٥) فبالفياس على ما تفدم تعتبر كل ما يرد من السكلام عن ارتفاع الدولة انه صافي اموال الجباية

<sup>(</sup>۱) ابن الاثر ٦٣ ج ٦ (٢) اليمقوبي (كتاب البلدان) ١٣٣

<sup>(</sup>٣) ابن خرداذبة ٤٣ و ٤٣ و ٥٨ و ٥٧ (٤) المتريزي ٩٧ ج ١

<sup>(</sup>٥) ان خلدون ١٥٠ ج ١

# جبايت الدولة العباسية

## في العصر الاول

فلتتقدم بعد هذا النمهيد الى تفصيل حباية الدولة العباسية في أيام المأمون باعتبار ما يرد من كل عمل في السنة . والتوفق الى ذلك نادر في تاريخ الاسلام لان القوم قلما كانوا يدونون غير حوادث الحرب والفتح والعتل . أما قوائم ابن خلاون وقدامة وان خرداذبة فعد عنزنا عليها عرضاً وهي :

(١) قائمة ابن خلدون : هي اقدمها كلها وقد اوردها ابن خلدون في مقدمته في عرض كلامه عن « ان آثار الدولة كلها على نسبة قوتها في اصلها » وقال انه نقلها عن جراب الدولة وفيها مفدار الحراج الذي كان يرد على يبت المال في بغداد في أيام المأمون . وقبل تحقيق ذلك الزمن نوجه التفات الفارى الما تطرق الى هذه المائمة من الخطأ بتوالي الاعوام . وقد تصفيحنا النسخ المطبوعة من مقدمة ابن خلدون في مصر والشام فرأينا خطأ في اسماء بعض البلاد الواردة في تلك القائمة نظته وقع من النساخ لتشابه في اشكال بعض الالفاظ . فلا بد من التنبيه الى ذلك واصلاحه قبل ايراد العائمة المذكورة . لان الخطأ اللفظي المشار اليه يجر الى الخطأ المفنوي لوقوعه في اسماء البلاد أو الاقاليم التي حمل الحراج منها وهاك اصلاحها :

 ١ كنكر (١١ : هي لفظة لا معنى لها في هذا المقام وصوامها «كسكر» وهو أقليم من أقاليم السواد

٢ طبرستان والروبان ومهاوند (٢): فالروبان بالباء صولها « الرويان » بالياء وهي من أقاليم الديم وقد ذكر ناها في محلها ، ومهاوند قصبة كورة ماه البصرة من كور الحيال كا تقدم ، ونظراً لبعدها من طبرستان والرويان فالغالب أن يكون المراديها بدأ آخر قريباً من هناك نظتها « دماوند » وهي من كور طبرستان

٣ ما بين الكوفة والبصرة (٣) : لم نر في سائر الفوائم ولا في غيرها من

<sup>(</sup>١) في السطر التاءن من طبمة بولاق صفحة ١٥٠ (٣) في السطر ٢١ من الصفحة للذكورة (٣) في السطر ٢٦ من تلك الصنحة

التفاويم كورة بهذا الامم . وقد لاحظ ذلك البارون فون كريمر المؤرخ الالماني ولكنه حسبها كورة من كور السواد واقعة وراء الفرات بين الكوفة والبصرة دخلت في العوائم الاخرى باسم آخر (۱) . والصحيح على ما نرى ان النساخ اخطأوا في قرامهم «مايين» وصوابها «ماها» أو «ماهين» مثنى «ماه» فيكون المراد «ماها البصرة والكوفة» وهما كورتان من كور الجبال قصبة الاولى نهاوند وقصبة الثانية الدينور كما تقدم . ويؤيد ذلك سقوط هاتين الكورتين من قائمة ان خلاون بالكلية

الدينار » فلا مسمى لها في بلاد الاسلام . وقد يتبادر الى الذهن انها محريف « الدينار » فلا مسمى لها في بلاد الاسلام . وقد يتبادر الى الذهن انها محريف « الدينور » قصة ماه الكوفة لو لم نكن قد وقفنا على اسم الماهين مما في هذه القائمة في على الفالب مبدلة من « الريان » وهي كورة بقرب كسكر في العراق

وهناك غلط نسخي في تعيين مقدار الحراج في بعض الاقاليم صوابه ظاهر مثل قوله عن خراج كور دجلة انه عشرون الف العدرهم وثمانية دراهم والعادة ان لا يدونوا في الديوان آحاد الدراهم (٣) فالفالب ان يكون صوابها وثمامائة الف درهم. وكذلك قوله عن جبابة الاهواز أنها خمسة وعشرون الف درهم والصواب ٢٥ الف الف درهم لأسها نحو ذلك في العائمين الأخريين . وكفوله في طبعة بولاق عن خراج قومس « الف الف مرتين وخمسمئة الف من نفر الفضة » وقوله عن العسل الوارد من الموصل انه ١٠٠٠٠٠٠ درهم وطل والاقرب الى الصواب ان يكون ١٥٠٠٠٠ رطل فقط . ومن هذا القبيل حراج مصر فقد ورد هناك انه الله الف الح والصواب على ما رى حراجها الفيان خيا القبيل خراج مصر فقد ورد هناك انه « الف الف الح » والصواب على ما رى الفال الف الح » والصواب على ما رى الفال الفال الف الح » والحواب على ما رى الفال الف الح » والحواب على ما رى الفال الفال الفال خراج مصر فقد ورد هناك انه « الف الف الح » والحواب على ما رى الفال الفال الفنان خطاً الما وقع بالنسخ لتشانه اللفائين خطاً

أَمَا زَمَنَ هَذَهِ القَائمَةُ فَقَدَ عَيْنَهُ أَنِ خَلِدُونَ صَرِيحًا فَقَالَ أَنَّهُ فِي أَيَامِ المُأْمُونَ ولكنه لم يُعين السنة . والمُأْمُونَ حَكم ٢٧ سنة من سنة ١٩٩ ــ ٢١٨ وحساب

<sup>(</sup>۲) Cult. gesch. des Orients I. 356 (۱) في السطر ۲۷ من تلك الطبري ۲۷ من تلك الطبري (۲) الطبري (۲۷ من تلك

ييت المــال في بنداد احترق في الفتنة بين الامين والمأمون . ثم لم يدون الحساب الا بعد سنة ٢٠٤ هـ (١٠ فالفائمة المذكورة كتبت في ما بين ٢٠٤ و ٢١٨ هـ و نظراً لاختلاف خراج خراسان فيها عما وظفه المأمون على ابن طاهر سنة ٢١١ و ٢١٢ هـ فالارجح الهاكتبت بين ٢٠٤ و ٢١٠ هـ

ورأينا للبارون فون كريمر المذكور انتفاداً على تاريخ قائمة ان خلدون خلاصته أنهــاكتبت قبل عصر المأمون بعشرات من السنين بحيث تتصل بمصر المهدي أو الهادي أي بين سنة ١٥٨ و ١٧٠ هـ ومن أدلته على ذلك « انه ورد فيها ذكر خراج السند وافريقية وكانتا في أيام المأمون قد استقلتا عن سلطة بغداد ولم يذكرها قدامة ولا ابن خرداذبة » . والبارون فون كريمر لا يستخف رأيه في الربيخ الاسلام وعدمهم وآدابهم لانه من أهل التحميق والبحث ومن أكثر الالمان عَجيماً للحقائق. ولَكننا راهواهماً فيحكمه على هذه العائمة للاسباب الآتية: أولا : ان استفلال الاقاليم عن سلطة بغداد لم يكن يستلزم استقلالها عن الخلافة الساسية وقطع المسال عنها . نم ان افريقية استقل بها الاغالبة وتوارثو الحسكم ڤيها من سنة ً ١٨٤ ـ ٢٩٦ ه وأسكن استفلالهم هذا لا يمنع تأديتهم مالاً معينًا كما كان يفعل معظم الامراء المستفلين في مصر وِسِخْراسان وغيرهما . فأمم كانوا يخطبون لخليفة بغداد ويعتبرون أنهم تابعون له دينياً فقط -- كذلك كان شأن الدولة الطاهرية في خراسان والطولونية في مصر (٢) وكان بمضهم يقدم المسال باسم الهدية والبعض الآخر باسم الخراج أو الضان أو غيرهما . ورْدُ على ذلك أن افريقية لم نبكن تحمل مالاً الى بيت المال الا بعد سنة ١٨١ هـ أي بعد أن تولاها ابراهيم بن الإغلب وهو الذي فرض على نفسه ٤٠٠٠٠ دينار . فلا يعد ان يستمر الاغالبة على دفع مثل هذا المال الى أيام المأمون . لان الحلفاء العباسيين ظلوا يمدون افريقية من تملكتهم كل أيام الاغالبة وكنانوا يسينون الولاة عليها من بغداد باعتبار أن الاغالبة تحت هؤلاء الولاة <sup>(٣)</sup> ويقال نحو ذلك في السند بل نرى في هذه شاهداً أقرب على صحة رواية ابن خلدون فان المــأمون نفسه استممل على السند سنة ٢١٦ هـ عاملاً اسمه عمر أن بن موسى العتـكي (<sup>٤)</sup> عبى أن بحمل

<sup>(</sup>١) ندامة ٢٣٧ (٢) المقريزي ٢٣١ج ١ (٣) ابن الاثبر ٥٥ ج ٧ (٤) ابن الاثبر ٢٧١ ج ٣

النمدن الاسلاي ج ٧

اليه منها مليون درهم بعد كل نفقة (١) ويدل ذلك على سيادته عليها وان كان المل المذكور أقل كثيراً نما ذكره ابن خلدون اذ يختلف المراد بحدود السند باختلاف الازمنة . أما عدم ورود هذين البلدين في قائمتي قدامة وابن خرداذبه فقد يكون سببه عارضاً اما لانفطاع الحراج منهما بعد قائمة ابن خلدون أو لاسباب أخرى راجمة الى دخول بعض الاقاليم في بعض أو غير ذلك كما سيتضح من مقابلة العائمتين التاليتين . وعلى كل حال فان افتراض هذه الاسباب أقرب الى الصواب من اتهام ابن خلدون بالحطأ أو الوهم وهو ثمة كثير التبصر والتمحيص . وقد قال صريحاً ان هذه الجباية وردت على يبت المال في أيام المأمون

ثانياً : ان ابن خدون استحوز على أوراق رسمية من أيام المأمون عن الدخل والخرج كان يرجع اليها في تحقيق ما يكتبه في هذا الشأن ونحوه (٢)

ثالثاً : ان الديوان احترق في أيام الامينوقد قدمنا انه لم يدون فيه حساب الا بعد سنة ٢٠٤ هـ وأما ما كان منها قبل ذلك فقد ضاع

فبنا ً على ذلك يترجب عندنا ان يكون الحق في جانب ابن خلدون وأن كون البارون فون كربمر واهماً في اعتراضه وفوق كل ذي علم عليم

- (٢) قاعة قدامة : دو بها قدامة بن جعفر السكانب البغدادي في كتابه المسمى «كتاب الحراج » ولم يصل الينا منه الا تنف طبعت في لايدن بعناية دي كويه المستشرق الهولندي الشهير . توفي قدامة المذكور سنة ٣٣٧ هو كان أبوه نصرانياً وأسلم في أيام المسكنني ( من ٢٨٩ ٢٩٥ ه ) وتولى منصباً كبيراً من مناصب الدولة العباسية والف كتباً كثيرة من جلنها كتاب الحراج هذا . ويطهر انه كتبه نحو سنة ٣١٦ ه نقلاً عن أوراق رسمية اتصلت به . ويستدل من مطالعة السكتاب ان ما ورد فيه من جبابة البلاد يراد به جبابتها نحو سنة ٢٧٥ ه
- (٣) قائمة ان خرداذبه: هو عبد الله بن خرداذبه وذكرصاحب الفهرست انه كان يتولى البريد في بلاد الجبال . ويظهر انه كتب وهو في هذا المنصب كتابه « الممالك والمالك » وفيه هذه القائمة ويظن دي كويه ناشر هذا الكتاب ان

<sup>(</sup>۱) ابن خرداذبه ov (۲) ابن خلدون ۳۲۹ ج ۱

ابن خرداذبه كتبه سنة ٢٣٧ ثم أضاف اليه بعض الزيادات فيما بعد مجيث لا يتجاوز حوالي سنة ٢٥٠ هـ

هذه هي القوائم الثلاث وفيها جباية الدولة العباسية في الجن ثروتها فلنوردها باعتبار قدمها. وأقدمها قائمة ابن خلدون ثم قدامة ثم ابن خرداذبه :

# آ جماية الدولة العباسية ( في ايام المأمون — نقلاً عن ابن خدون )

من الاموال والفلال	من الدراهم	اسهاء الاقايم
ر ومن الحلل النجرانية ٢٠٠ حلة وس طين الحتم ٢٤٠ زطلا	<b>AA Y</b> ·····	السواد
•	117	كسكر
	۲۰ ۸۰۰ ۰۰۰	كور دجلة
	٤ ٨٠٠٠٠٠	حلوان
وسکر ۳۰۰۰۰ رطل	40 · · · · ·	الاهواز
( ومن ماءِ الورد ۳۰،۰۰۰ قارورهٔ ومن ( الزيت الاسود ۲۰،۰۰۰ رطل	ΥΥ · · · · ·	فارس
ومتاع يمأني ٥٠٠ فوب وتمر ٢٠٠٠٠ رطل	<b> </b>	کرمان ج
_	<b></b>	مكران
وعود هندي ۱۵۰ رطلاً	110	السند وما يليه
( ومن الثياب المعينة ٣٠٠٠ نُوب ومن ( الفانيد ٢٠ رطلاً	· • • • • • • • • • • • • • • • • • • •	سجستان
ومن نقر الفضة ۲۰۰۰ نمرة و۲۰۰۰ برذون و ۲۰۰۰ راس رقيق و ۲۰۰۰۰ توب متاع و ۳۰۰۰۰ رطل اهديلج	۲۸ ۰۰۰۰	خراسان
دراهم	1701	(الجبوع)

( مجموع ما قبله ) ٰ	1701	درهم
جرجان	١٧ ٠٠٠٠	و ۲۰۰۰ شقة أبريسم
قومس	1 10	و ۱۰۰۰ شقة اريسم ومن نفر الفضة ۱۰۰۰ نفرة
( .1. 1	i	و ٦٠٠ قطعة من الفرش الطبريو ٢٠٠
طبرســــــــــــــــــــــــــــــــــــ	44	اكسية و٥٠٠ نوب و٣٠٠ منسديل
الرويان دماوند (		او ۳۰۰ جام
الري		و ۲۰۰۰۰ رطل عسل
1 .	1	رب الرمان و ۱۲۰۰۰ المان و ۱۲۰۰۰
همدان	11 ******	رطل عسل
ماها البصرةوالكوفة	\. Y	
ماسيذان والريان	<b>£</b> · · · · · ·	
شهرزور	٦٧٠٠	
الموصل وما يليها	Y\$	و ۲۰،۰۰۰ رطل عسل
اذر بيجان	<b>\$</b>	
الجزيرةوما يليها		﴿ ﴿ وَ ١٠٠٠ رَاسَ رَقِيقَ وَ ١٢٠٠٠ زَقَ
من اعمال الفرات (	٣٤ ٠٠٠ ٠٠٠	﴿ عسل وعشر بزاة و ٢٠ كساء ﴿ إ
1 3 - 0		رو ۲۰ من الفسط المحقور و ۳۰، رطلا
		من الرقم (ضرب من الوشي )و ۱۰۰۰۰
ارمينية	14	إرطل من المسايح السورماهي و ١٠٠٠٠
•		ا رطل من الصونج ( نوع من الاسماك
ر <b>قة</b>	<b></b>	البحرية ) و ۲۰۰ بغلو ۳۰ مهر اً
ر. افريقية	14	و ۱۲۰ بساطاً
(الحجوع)	Ψ1λ ٦·····	درهم
_:	من الدنانير	
قلسرين	<b>ξ</b>	و ۱۰۰۰ حمل زیت
المجموع		درهم
1 -	1	1 - 1

درهم		( عموع ما قبله )
, 1	<b>٤</b> • • • •	دمشق
į	47	الاردن
و ۳۰۰ ۳۰۰ رطل زیت	<i>w</i> 1	فلسطين
	Y 9	مصر
سوى المتاع ( لم يذكر )	٠٠٠ ٠٠٠	الين
	۳ ۰ ۰ ۰ ۰ ۰	الحجاز
دينار وتساوي ۲۲ ۲۰۰ ۲۷ درهم	£ 414 · · ·	(المجموع)
أباعتبار الدينار ١٥ درهماً وهو تقديره في		
أذلك العصر		
	YY Y00 · · ·	فيكون المجموع }
		بالدراهم (
	<b>*</b> 1.4 *·····	يضاف اليهجباية
		الاقاليم المذكورة
		أعلاء
ادرهم	44. You	(a+1)

وترى من النظر في هذه القائمة ان خراج اقاليم المشرق كأنوا يقدرونه بالدراهم وخراج أقاليم المغرب نحو ذلك ايضاً في وخراج أقاليم المغرب بالدنانير ( الا برقة وأفريقيسة ) وسترى نحو ذلك ايضاً في القائميين الاخريين والسبب على ما يظهر ان مشاجم الفضة كانت اكثر في اقاليم المشرق منها في المغرب وبعكس ذلك مناجم الذهب

فجموع حباية أقاليم المشرق (مع برقة وافريقية) ٣١٨ ٦٠٠ ٠٠٠ درهم ومجموع حباية أقاليم المغرب ٨١٧ ٠٠٠ ٤ دينار حولناها الى دراهم باعتبار الدينار ١٥٥ درهماً وهو صرفه في ذلك العصر فبغلت ٣٩٠ ٨٥٥ ٠٠٠ درهم وباضافتها الى حباية اقاليم المشرق بلنم المجموع كله ٣٩٠ ٨٥٥ ٠٠٠ درهم ورأينا في ما نقله فون كريمرمن قائمة ابن خلاون بلاين هما السكرج والحيلان غير موجوين في ما لدينا من النسخ --- نظته وجدهما في نسخة فون همر . خراج يخر موجوين في ما لدينا من النسخ --- نظته وجدهما في نسخة فون همر . خراج الأولى ٣٠٠ درهم والثانية ٢٠٠٠ ٠٠٠ درهم وليس هنا مكان التحقيق

#### عن صحة هذه الرواية أو عدم صحنها

فيكون مجموع جباية المملكة الساسية في ايام المأمون نحو ٤٠٠ مليون درهم ما عدا الاموال والفلات مما لا نسلم حقيقة قيمته واذا أعدت النظر فيه رأيته شيئاً كثيراً . والعادة في تقدير الحياية ان تقدر هذه الغلات بما تساويه من النقد ويضاف مبلغها الى مبالغ النفدكما فعل صاحب حراب الدولة في غلات السواد ومعظمها في الاصل من الحنطة وكما سترى في تفصيل خراج طساسيج السواد بقائمتي قدامة وان خرداذبه

وقد تفدم أن الحياية التي كانت ترد الى يبت المال في بغداد أنما هي صوافي ما تحصل منها في الاقاليم بعد دفع أموال الجند و نفقات الجياية واصلاح الريونحو ذلك من نفقات الاقاليم ولم يبق على هذا المال الا نفعات الدواوين في بغدادلل خليفة ووزرائه وكتابه ورجال بطائته . وقد يرتاب الفارى في رواية أبن خلدون لبعدها عما هو مألوف عندنا من ميرانيات دول هذه الايام وما فيهن من يمتى في صندوقها ممشار هذا المال — ولدلك فناً في بالروايتين الاخريين للمفابلة بينهما وبين رواية أبن خلدون

### ٧ حياية الدولة الساسية

## في ايام المعتصم — نقلاً عن قدامة بن جمغر

كانت جباية السواد معظمها من الحنطة والشعير وقد ذكر قدامه مقداركل منهما مفصلاً باعتبار طساسيج السواد اي نواحيه في الشرق والغرب

طساسيج السواد في الجانب الغربي :

الدراهم	مقدار الشعير بالكر	مقدار الحنطة الكر	اسم الناحية
<b>ξ</b>	7 8	11 4	الانبار ونهر عيسى
١٥٠ ٠٠٠	١	۲۰۰۰;	طسوج مسكن
00	¥8	١٤٨٠٠.	(المجموع)

•••••	Y 1	۱٤٨٠٠	( مجموع ماقبله )
٠:	١٠٠٠	γ	طموج قطربل
<b>\</b>	١ ٠٠٠	۳۵۰۰	« بادوريا
10	١٧٠٠	١٧٠٠	ېر سىر
40	۳٣٠.	**	الرومقان
۳۰۰۰۰	٧٠٠٠	۳	کو ثب
٠٠٠ ٠٠٠	۲ • • •	٧	ہر درقیط
١٥٠ ٠٠٠	٦	10	الار جوير ا
177	<b>ξ · · ·</b> ·	<b>70</b>	باروسها ومهر الملك
Y0	Y Y	١٤٠٠	الزوابي الثلاثة
70	• • • •	۳	بابل وخطرنية
٧٠٠٠٠ ز	0	0 * *	الفلوجة العليا
۲۸۰ ۰۰۰ ۱	۳۰۰۰ ز	Y	الفلوجة السفلي
ξο····	٤٠٠	٣	طسوج التهرين
\$0 · · ·	٤٠٠	٣	« عين التمر
10	17	/ 0 · ·	« الجبة والبداة
Y0	٤٥٠٠ ا	\ • • •	سورا وبرنسيما
10	• • •	9	البرسالاعلى والامفل
77	Y 0 · ·	۲ ۰۰۰	فرات بادقلي
18	\ • • •	١	طسوج السيليحين
Y	•••	•••	روذستان وهرمزجرد ا
<b>****</b> :	۲ ۰۰۰ ز	7 7	تستر
Y . & A	Y • • • •	1 4	ايغار يقطين
۲۷۰ ۰۰۰ أ	٧٠٠٠٠	٣٠ ٠٠٠	كسكر
٠٠٨ ٨٠٠	· 40 · · ·	۸۳ ۲۰۰	(الجبوع)
	,	-	طساسيج السواد
			في الحانب الشرقي :

·· A A0F 0	۸۰۰۰۰	<b>XY Y · ·</b>	(مجموع ما قبله )
۳۰۰۰۰	7 7	Y 0	طسوج بزر جسابور
14	٤٨٠٠	٤ ٨٠٠	« الرذانين
<b>\</b>	١	Y	« ہر ہوق
<b>yy</b>	١ ٠٠٠	17	کلوادی ومهر بین
78	10	١	جازر والمدينة المتيقة
754	1 2	١	روستقباد
10	\ • • •	Y · · ·	سلسل ومهروذ
١	\	١	جلولا وجللنا
2	14	\ 4	الذيبين
٣٠	1 8	١ ٨٠٠	الدسكرة
۳۰ ۰۰۰	• • •	٣	البنذيجين
14	٥ ١	۳	طسوج براز الروذ
٣٥٠٠٠٠	١ ٨٠٠	١ ٧٠٠	النهروان الاعلى
\	0	١	النهروان الاوسط
****	• • • •	٤٧٠٠	بادرايا وباكسايا
٠٠٠ ٠٣٤	٤٠٠٠	4	کور دجلة
٥٩ ٠٠٠ ا	4141	١	بهر الصلة
۰۰۰ ۳۰۰	1,4	١٧٠٠	النهروان الاسفل
A AY\ A	178 971	110 7	مجموع خراج السواد
VVIIV	111 711 ;	110 1	مجموع حراج السواد

فجموع حبيابة السواد باعتبار نواحيه ١١٥ كرحنطة و ١٢٣ ٩٢١ كر شعير و ٩٢٠ م ١٢٥ كر شعير و ٩٢٠ م ١٢٥ كر شعير و ٩٢٠ م ١٢٥ كر شعير الفرور بعد أن أورد خراج كل ناحية بالتفصيل كما تقدم فقد قال في ايراد المجموع د ذلك ارتفاع السواد سوى صدقات البصرة من المختلفة ٢٧٧ كر ومن الشعير ٧٢١ كر المسلم الشعير ٧٢١ كر المسلم الشعير ٧٢١ كر المسلم الشعير ٧٢١ كر المسلم الشعير ٧١١ كراً ولما السبب

<sup>(</sup>١) كتاب الحراج (طبعة ليدن ٢٣٩(

في هـذا الفرق خطأ في قراءة بعض الاعداد . على أن الفرق على كثرته لا يعتد به في ما نحن فيه . بقي علينا أن نحول الحنطة والشعير الى دراهم وقد فسل جعفر ذلك فحوً لها باعتبار عن الكرين المقرونين من الحنطة والشعير ستيندينار أوالدينار على صرف خسة عشر درهما بدينار فبلغ ذلك ٣٦١ ٨٥٠ درهم وقال ان صدقات البصرة ترتفع في السنة ٢٠٠٠ درهم فاذا جمعت ذلك كله بلغ ٣٠٠ ٢٥٠ درهما على هذه الصورة

> ۸۰۹۰ ۸۰۰ الدراهم المجموعة ورقاً ۱۰۰۳۲۱ قيمة الحنطة والشعير بالدرهم

٠ ٣ ٠٠٠ ٠٠٠ .

صدقات البصرة درهماً

118 80Y 70 ·

هـــذا هو ارتفاع السواد فلنتقدم الى ايراد جبايات سائر الاقاليم في المشرق والمغرب. وهي مع السواد : —

دزهم	.اقاليم الشرق
118 80Y 70 ·	السواد
74	الاهواز
78	فارس
<b>7 · · · · · ·</b>	كرمان
<b>\</b>	مكران
1. 0	اصبهان
1	سجستان
٠٠٠ ٠٠٠	خراسان
4	حلوان
<b>0 · · · ·</b> · · ·	ماه الكوفة
٤٨٠٠ ٠٠٠	ماه البصرة
YYY <b>\</b> 0Y <b>\</b> 0.	(المجتوع)

التمعن الاسلامي ج ٢ ( ٨ ) الطبعة الثالثة

144 Joh Jo.	( مجموع ما قبله )
١٧٠٠٠٠١	حمدان
١ ٢٠٠٠٠٠	ماسبذان
١١٠٠ ٠٠٠	مهرجان قذق
٣١٠٠	الايغارين
۳۰۰۰	قم وقاشان
٤٥٠٠	آذر بيجان
٧٠٠٨٠	الري ودماوند
٠ ٨٢٨	قزوين وزنجان وابهر
`\ \0 ·	قومس
<b>ξ · · ·</b>	حرحان
\$ YA+ Y++	طبرستان
٩	تكريت والطيرهان
۲ ۷۰۰ ۰۰۰	شهرزور والصامغان
74	الموصل ومايليها
******	قردي وبذيدي
4 7/10	ديار ربيعة
<b>{ Y · · · · ·</b>	ارزن وميافارقين
<b>\</b>	طرون
Y	آمد
٧	دیار مضر
γ'٩	أعمال طريق الفرات
۳۱۱ ۵۸۱ ۳۵۰ درهماً	( المجموع )
	(CF-, ·/

ديثار	أقاليم المغرب
٣٦٠ ٠٠٠	قنسرين والعواصم
۲۱۸۰۰۰	جند حص
11	« دمشق
1.9	« الأردن
740	« فلسطين
۲ ۰ ۰ ۰ ۰ ۰	مصر والاسكندرية
1	الحرمين
4	اليمن
٥١٠ ٠٠٠	الىمامة والبحرين
٣٠٠٠٠	عمان
۰۱۰۲۰۰ دینار	( الجموع )

وتحويلها الى دراهم باعتبار الدينار ١٥ درهاً تساوي ٧٦٧١٠٠٠ درهم وباضافتها الى مجموع جباية أقاليم المشرق والجزيرة اعلاه يكون مجموع ذلك كله ٣٨٨ ٢٩١ ٢٩٨ درهماً وهو ارتفاع الحراج على تفدير قدامة (١)

## ٣ً جباية الدولة العباسية

في اواسط القرن الثالث للهجرة ــ على رواية ابن خرداذبه ابن خردنه مراية أعمال الرادكا فعالما وراية ابن خرداذبه

فصل ابن خرداذبه جباية أعمال السواد كما فصلها قدامة وزاد على ذلك عدد الشون والبيادر مما يطول بنا ايراده فنكتني بذكر جملته من الحنطة والشعير والفضة وذلك عبارة عن ٩٠٠ ٦٠ كر حنطة و ٩١ ٨٥٠ كر شعير و ١٩٥٠ ٨ درهما نقداً . وتحويل الحنطة والشعير الى دراهم باعتبار السكرين المقرونين ستين ديناراً والدينار ١٥ درهماً كما تقدم بلغت قيمتها ٧٠٠ ٢٩ درهم وبإضافة ذلك الى الدراهم المجموعة تقداً تصير الجملة ٢٩ ٣٠٩ ٢٥ درهماً

ثم فصل حباية خراسان وما يلحق بها من الاقاليم في الدولة الطاهرية باعتبار (١) وتد رأينا اختلافاً في كائمة قدامة بين التفصيل والاجمال لعله تطرق اليها من النساخ فجصناه بقمر الامكان ما وظف عليها سنة ٢١٧ هـ ومقدار ذلك جمة ٨٤٦ ٠٠٠ ٤ درهم و ١٠٠٠ درهم و ١٠٠٠ درهم و و ١٠٠٠ درهم و و و و النم و ٢٠٠٠ درهم و السبي الغزية ما قيمته ١٠٠٠ درهم و و من السبي الغزية ما قيمته ١٠٠٠ درهم و و من السبي البكندجية ١١٨٧ و وباً و من المرور وصفاتح الحديد ١٠٠٠ وقطمة ضفين . و كانت خراسان و معتمد تشمل محواً من خمسين عملاً في جملتها الري وقومس و جرجان و كرمان و سجستان و نيسابور و طخارستان و الطالقان و اعمال ما و وا النهر و فيها مخارى و السند و غرها . و كان الطاهر يون مستقلين مها و يدفعون عنها النهر و فيها مخارى و السند و غرها . و كان الطاهر يون مستقلين مها و يدفعون عنها أعمال السواد و اعمال خراسان فليراجعها في كتاب المسالك و الممالك لا من خرداذية . و لتنقدم الى اعام قائمته عن الاعمال الاخرى مع الاحمال الذي ذكر ناه

دراهم	اقاليم المشرق
VA 414 48.	السواد
<b>\$\$</b>	خراسانو توابعها
Y Y0 · · · ·	شهرزور والصامغان
<b>*******</b>	ماسبذان ومهرجان قذق
Ý	ةم
۳۰۰۰۰۰۰	الاهواز
***	فارس
\ Y · · · · ·	قزوين
۳۸۰۰۰۰۰	ماه الكوفة
Y · · · · · ·	اصبهان
• 7	دیار مضر
<b>{ · · · · · ·</b>	الموصل
<b>y y</b>	ديار ربيعة
ξ	ارمينية
۰ ۲۲۷ ۷۱۰ ۲۲۲ درماً	(الجموع)

دئانېر	اقاليم المغرب
<b>ξ</b>	قنسربن والعواصم
w8 · · ·	جند حمص
ξ	« دمشق
۳۰۰۰۰	« الاردن
••••	« فلسطين
۲۱۸۰ ۰۰۰	مصر
٠٠٠٠٠	اليمن
۴۷۷۰۰۰ دينار	(الجموع)

وبتحويل هذه الدنانير الى دراهم تبلغ ٧٠٠٠٥٠ ٧١ درهم تضافالی مجموع حباية أقاليم المغرب اعلاه على هذه الصورة

# معل جباية الدولة العباسة

وخلاصة ما تقدم ان ارتفاع الدولة العباسية كان على معظمه في أيام المأمون م أخذ في التناقص بعده ولم يظهر ذلك النقص الا بعد أواسط الفرن الثالث الهجرة لاسباب سيأتي بيانها . واما قبلذلك فان ارتفاع هذه الدولة كان عظيماً جداً كماتين من القوائم الثلات التي ذكر ناها و هاك فذلكتها :

#### درهم

٣٩٧ ١٥٥ ٠٠٠ جباية الدولة العباسية في أيام المأمون بين سنة ٢٠٤ و ٢٠٠ هـ •٣٨ ٢٩١ ص. « « « « المنصم أو بعيده الى سنة ٢٠٥

• ٢٩٥ ٢٦٥ ٣٤٠ حباية الدولة العباسية في أواسط القرن الثالث(١)

فترى من مقابلة هذه الارقام ان الفرق في الجباية ظهر حتى في النصف الاول من الفرن الثالث وخصوصاً اذا اعتبرت ما أغفلناه من قائمة ابن خلدون من الاموال والامتمة والمحصولات وهي من جملة الحراج . فمدل الوارد الى يبت المال في العام نحو ٣٦٠ مليون درهم وهي صوافي حباية الاعمال كما قدمنا بمــا لم نسمع عمله في الدول قديمًا ولا حديثًا — الا اذا اعتبرنا ما أورده بعضهم اجمالًا بطريق المرض عن دولتي الروم والفرس . فقد قال حبن مؤرخالدولة الرومانية إن حباية هذه الدولة في إبان سطوتها ومعظم سعتها تساوي نحو ٤٠٠٠٠٠٠ درهم منها ۱۳۵ ۰۰۰ ۱۳۵ درهم من آسیا ( الصغری ) (۲) وذکر ابن خرداذبه ان حبایه مملسكة الفرس في أيام كسرى رونز بلغت ٤٣٠٠٠٠٠ مثقال أو نحو ٧٢٠ مليون درهم. فاذا سلمنا بصحة هذه الارقام أعوزنا الاطلاع على طريقة الانفاق عندهم اذ رمماكانت تستغرق معظم هذه الحباية نخلاف الدولة العباسية كما سترى . أما ما خلا هاتين الدولتين فالفرق بين حبايتها وحباية هذه الدولة عظم جداً . فالدولة العُمَانية بانت معظم سعتها في أيام السلطان سليمان القانوني في أو اسط القرن العاشر للهجرة ولم يزد ارتفاع جبايتها في أيامه على ٢٠٠٠٠٠ دوكات(٣) آو نحو ٣٥٠٠٠٠٠ وزنك ـ فان ذلك من حباية الدولة العباسية فانها تريد على أضعافه . وقس على ذلك دول هذه الآيام باعتبار ما يبقى في صندوقها كما سيآتي ولتتقدم الى الـكلام في الجهات التي كانت تنفق فيها هذه الاموال

<sup>(</sup>١) لا يخى على المتأمل امنا عينا هذه الازمة مائترب اد قد يرد في فائة ابن غرداذبه مثلاً خراج اقابم كما وطف عليه في عهد قائمة ابن خلدون أو قدامة وفالكس وانحا اعتبرنا في حديثها الاغلبية

Gibbon's Roman Empire I. 110 (Y) Porter's Const. Hist. of Turkey, Ms. (Y)

#### نفقات الدولة المباسية

لم نر في ماكتبه المؤرخون القدما، في العربية صاً يتعلق بهذا الشأن ولا ندري اذاكانوا فعلوا ذلك عمداً أو ضاع ماكتبوه في ثنيات الزمان. على ان مؤرخي المسلمين قلما دونوا حوادث التمدن الاسلاي أو ما هو في معناه كمدار الدخل أو الخرج وثروة المملكة وحال العلم أو نظام الهيأة الاجتماعية غير ما جاه عرضاً في أثناه ذكر الوقائع الحربية أو وصف مجالس الطرب — الا ابن خلدون فقد أورد حباية الدولة في عرض الكلام عن بذخها في المها. واما قدامة وابن خرداذبه فقد ذكر الحراج في عرض الكلام عن طرق البريد. وقد ذكر الحراج في عرض الكلام عن طرق البريد. وقد ذكر الحراج عن الشؤون التي تنفق فيها الاموال المجموعة من الحراج في العصر الذي محن عن الشؤون التي تنفق فيها الاموال المجموعة من الحراج في العصر الذي محن

على اننا بالغياس على ما عرفناه من أحوال ذلك التمدن برجح ان المال المشار اليه كاو يوضع في بيت المال بعد دفع روانب الجند والكتاب والقضاة وسار اوباب المناصب في دواوين الحسكومة في بغداد والموظفين الذين قد تعينهم الحسكومة من بعداد وتدفع رواتبهم من بيت مالها ولو كان عملهم في الحارج مثل عمال البريد (۱) وغيرهم. وما بتي من أموال الجباية بعد هذه النفعات يوضع في بيت المال تحت اجتهاد الخليفة (۲)

أما مقدار ماكان ينفق على الجند بالدواوين وغيرهم فما لا يمكن القطع فيه لانه يختلف باختلاف العصور وأحوال الحلفاء ولم نقف على شيء صريح في هـــذا الشأن في العصر العباسي الاول ولا في غيره

على أتنا توفقنا بهمة البارون فون كريمر الى قائمة تشمل ما اشترطه احمد بن محمد الطائي على نفسه ان يقدمه من ضانه الى ييت المال — وفيه ما كان ينققه بيت المال في بغداد في السنين الاولى من خلافة المعتضد العباسي ( سنة ٢٧٩هـ) (٢٠ وقد عين فيه مقدار المال اللازم لسكل فئة من فئات الموظفين الذين

<sup>(</sup>١) ابن غردازیه ۱۵۳ (۲) الماوردي ۱۷۹

Einnahmebudjet des Abbasiden Reiches (\*)

تدفع رواتبهم من يبت المال وجملة ذلك ٢٥٠٠٠٠ دينار في السنة تدفع مياومة باعتبار كل يوم سبعة آلاف دينار تفرق في الجند وموظني الدواوين والحدم وغيرهم على هذه الصورة :

نفقات الدولة العبانسية في أيام المعتضد بالله سنة ٧٧٩ هـ بالمياومة دينار في اليوم ارزاق اصحاب النوية ومن برسمهم من البوابين وفيهم البيضان من الجنايين والبصريين واصحاب المصاف بباب العامة وغيرهم والسودان واكثر مماليك الناصر ﴿ ارزاق الغلمان الذين اعتقهم الناصر ﴿ هُوَ الْمُوفَقِ بِنَ الْمُؤْكُلُ ﴾ ويسرفون بالغلمان الخاصة ارزاق الفرسان من الاحرار المميزين ﴿ ارزاق المختارين وهم جند منتخب مرس كل قيادة وقد عرفوا إ بالشهامة والشجاعة ارزاق الفرسان المثبتين في أيام الناصر « سبعة عشر صنفاً من المرسومين مخدمة الدار والرسائل الحاصة والغراء واصحابالاخبار والمؤذنينوالمنجمين والفنجاميين 11. أواصحاب الاعلام والبوقيين والمضحكين والطبالين وغيرهم المرتزقة برمم الشرطة في مدينة السلام وغيرها أعان آنرال الماليك وغيرهم نفقات المطابخ الحاصة والعامة والمخابز وآنزال الحرم والحشم ومخابز hhh y أ السودان عن وظائف الشراب للخاصة والعامــة وآلانه ونفقات خزائن الكسوةوالحلع والطيب وحوائجالوضوء وخزائن السلاح والغرش ١..

£ ١٩٤٠ (الجبوع)

	L. L. A		
	قبه)	(مجموع ما	089W 1
لخزائن والخمابز والدور	لقايين بالقرب في القصر وا	ل ارزاق ال	٤
	والحدم الح	﴿ والحجر و	
الغلمان والمماليك دون	ناصة ومن مجري مجراهم من	ل ارزاق الح	177
الحشم القدماء	احرار ومن أضيف اليهم من	( الاكابر الا	1 11
	شم من المستخدمين في شراب		
ن والاساكفة والحدادين	ن الصاغة والخياطين والعقادير	إوالصناع .	١••
	والفرائين والمطرزين والنجا		•
سفاطيين وغيرهم افتخ	، والنجارين والحرا <b>ط</b> ين والاء	/ والمشهرين	
		ارزاق الحرم	١
	سكراع في الاصطبلات الحنسة		<b>ξ··</b>
된.	، ثمن السكراع والابل والخيل	ما يصرف في	44 F
		أرزاق المطب	۳٠
	إشين والمحلبيين وخزان الفر		٠. ۴٠
وج ومن يخدم في دواب	حاب الركاب والجنائب والسر		
		البري	
•	ساء واكابر الملهين ومن يجري		<b>£</b> £
	عة من المتطببين وتلامذتهم الح	« جا	, ۲۳ <del>۱.</del>
والفهادين والكلابزريين	حاب الصيد من البـــازياريين		} v-
	•	وغ	)
	حين في الطيار ات والشذات وا		17 7
	لمشاقة للنفاطات والمشاعل وأح	_	ŧ
ح في خرقة سوداه	محضركل يوم عند صلاة الصبي		
	المتوكل	جاري آولاد	hh +
	الواثق	<b>)</b>	144
		(الجبوع)	7714
الطمة الثالثة	(4)	ملامی ج ۲	التمدن الأ

( مجموع ما قبله )	7719
جاري اولاد الناصر	17 7
ارزاق مشائخ بني هاشم واصحاب المراتب والخطباء في المساجد	٧٠
ازراق حمهور بني هاشم من العباسيين والطالبيين	44 t
﴿ جاري عبيد الله بن سلبان ( الوزير ) مع خس منه دينار للقاسم	۴ ۲۲
( ابنه ( في الشهر ) برسم العرض ارزاق اكابر الكتاب وأصحاب الدواوين والخزان والبوايين والمديرين والاعوان وسائر من في الدواوين و عن الصحف والفراطيس والكاغد ـ سوى كتاب دواوين الاعطاء وخلفا م على مجالس النفرقة واصحابهم وأعوامهم وخزان بيت المال فلهم يأخذون أرزاقهم عا يوفرونه من أموال الساقطين وغرم المخلين بدواجم	\0 <b>7</b>
ل جاري اسحق بن ابراهيم العاضي وخليفته يوسف بن يعفوب والد ا ابي عمر وأولادهما وعشرة نفر من الفقهاء	14 7
إجاري المؤذنين في المسجدين والمكبرين والفوام والائمـة وعُن الزيت للمصابيح والحصر والبواري والمـاء وعُن الستار للصيف والحلباب والحزف والعمارة في شهر رمضان	۳ /
نفقات السجون و ُمن أقواتِ الحبسين	۰۰
نفقات الجسرين وثمن ما يبدل من سفنهما وارزاق الجسارين	١.
نفقات البهارستان الصاعدي ولم يكن يومئذ غيره وارزاق المتطبيين والمأانين والكحالين ومن يخدم المغلوبين على عقولهم والبوايين والجنازين وغيرهم وأعان الطعام والادوية والاشرة	10
(الجلة)	7 478

فالمجموع نحو سبعة آلاف دينار وذلك نفقات الدولة العباسية في اليوم الواحد من أيام المتضد ( سنة ٢٧٩ هـ ) ومجموع ذلك في السنة نحو مليونين ونصف ٢ ٢٠٠٠٠٠ دينار ) . فاذا فرضنا نفقاتها في أيام للأمون والمتصم نحو ذلك ... وهي في اعتقادنا بجب أن تكون أقسل من ذلك بالنظر الى تكاثر الغلمان والماليك في أواخر القرن الثالث عما كان في اوائله ــ فاذا فرضنا النفقات واحــدة في أيام المأمون والمستضد وحولناها الى دراهم باعتبار الدينار عشرين درهماً على الاكثر بلغ ذلك ٢٠٠٠٠٠ درهم كان الباقي ٣٠٠٠٠٠ درهم او قل ٣٠٠ مليون فقط. فالدولة التي يبقى في بيت مالها هذا المبلغ العظيم كل سنة تعد في معظم الثروة لاننا لم نسمع بدولة من الدول يبقى في صندوقها نصف هذا المال او رسه او عشره الا

وزد على ذلك إن هذه النفقات جزاً صغير من مال الجباية الأنها عبارة من خراج "ماضمنه الطائي من البلاد وهي ستي الفرات ودجلة وجوخي وواسط وكسكر وطساسيج نهر بوق والذيبين وكلواذى ونهر بين والرذانين وطريق خراسان وكلها من العراق وهي بعضه كما يتضع ذلك من مراجعة قائمة قدامة صفيحة ٥٥ \_ فلا مشاحة في ان نفقات الدولة العباسية كانت تستخرج من خراج بعض اعمالها

#### تقدير هذه الثروة بنقود هذه الايام ( سنة ١٩٠٣ م )

ولسكى ينجلي لنا مقدار هذه الثروة بالنظر الى التمدن الحديث يجب ان نحولها الى نقود هذه الايام . وقد تقدم ان الدينار كان صرفه في النصف الاول من القرن الثالث ١٥ درها مقدارهذه الثروة بالدنانير ٢٠٠٠٠٠ دينار ويفدرون الدينار بنقود هذه الايام بنصف جنيه فيكون مجموع الباقي في بيت المال في السنة يساوي عشرة ملايين جنيه

تم انقيمة النقود تختلف باختلاف ما تستبدل به من المحصولات أو ما يستخدم به من الرجال فصاحب الف جنيه في بلاد يباع فيها أردب الحنطة بخمسين قرشاً يعد عَمْرُلة صاحب الفين في بلاد يباع فيها الاردب عمّة قرش

و مختلف ذلك في البلد الواحد باختلاف المصور فصاحب بضمة آلاف قرش كان بعدُّ عندنا في أوائل القرن المساضي من الاغنياء لان حاجيسات الحياة كانت رخيصة جدًّا ثم أخذت أثمانها تتصاعد بتكاثر الناس وتفننهم في طرق المعائش ولاسباب أخرى حتى أصبح هذا المبلغ بمسا ينفقه أوساط الناس في شهر واحد. وقد لاحظنا فرقاً واضحاً في سعر الذهب في الاعوام الاخيرة بمصر يجدر بالحكومة ان تنتبه له وتراعيه المخته برواقب مستخدميها و دلك أنه بالنطر الى تصاعد أثمان الما كل وأجور المساكن زادت نفقات البيوت نحو الربع عما كانت عليه منذ خسة أعوام أو ستة فلموظف الذي كان ينفق على عائلته الفقرش في الشهر مثلاً أصبح لا يكفيه أقل من ٢٥٠ الو ٣٠٠ قرش والراقب الذي كان يتفاضاه لا يزال واحداً ويعبر عن ذلك بنزول قيمة الذهب— فأصحاب الرواقب المستة ينبغي ان زاد رواتهم كما غلا السعر

فللوقوف على حقيقة تُروة المملكة العباسية بالنظر الى قيمة نقود هـذه الايام بجب أن نقابل بين أثمان المحصولات يومئذ وأثمانها اليوم وأجور العمال في المصرين. وقد رأيت في ما تغدم أن ثمن الكرمن الحنطة والشعير في أيام قدامة (١) ثلاثون ديناراً والكر العراقي أربعون أردباً (٢) والاردب من الحنطة والشعير اليوم يفدر نحو جنيه فالاربعون أردباً بأربعين جنيها أو ثمانين ديناراً أي نحو ثلاثة امثاله في تلك الايام

وكانت أجرة الاستاذ البناء في أيام المنصور قيراط فضة والروز كاري (الفاعل) حبين (٢) والفيراط في العراق به من الدينار (١) والحبة به منه فكاً ن أجرة الاستاذ بنفود هذه الايام به العرهم أي نحو ثلاثة قروش واجرة الفاعل قرش وذلك نحو ثلث أجرته اليوم أو ربها . فالنفود في أيام المباسيين كانت تساوي ثلاثة اضاف ما تساويه اليوم على الاقل . فالباقي في بيت مال المباسيين في السنة يساوي ثلاثين مليون دينار بنقود هذه الايام وكانت توضع في بيت المال تحت تصرف الخليفة واجتهاده يستخدمها في الجهات التي يريدها أو يتراى له فيها مصلحة للدولة — فهل نستغرب بعد ذلك اذا قيل لنا أن الخليفة الفلاني اعطى شاعراً مئة الفدية عندة الف جنيه والقطعة من الآثار القديمة (الانتيكة) بنصف مليون جنيه او مليون – وأعا ذلك من تناغج الني الفاحش

<sup>(</sup>١) قدامة ٢٣٩ (٢) محيط المحيط (٣) ابن الاثبر٢٧٢ ج ٥

<sup>(</sup>٤) عيط الحيط

وما في دول هذه الايام ما يزيد الباقي في صندوقها على مليون واحد الا نادراً مع ان مصادر الدخل عندها زادت عماكات عليه في ايام العباسيين . خذ انكاترا مثلاً وهي من أعظم الدول وأقربهن الينا الآن فان دخلها لمام ١٩٠٠ بلغ نحو ١٢٠٠٠٠٠٠ جنيه منها : \_

	جنيه
ضرائب المشروبات الروحية والتبغ والشاي	YY
قيمة الرخص على بيع هذه المشروبات ونحوها	**
ضريبة الايراد	٠٨ ٥٠٠٠٠٠
طوابع البريد	14
من التلغراف	۳
طوابع المقود ونحوحا	A 0 · · · · ·
المجسوع	<b>\Y</b> · · · · · · ·

فترى من هذا المجموع ان نحو أربعة أخماس دخل هذه الدولة من مصادر لا بكاد يكون لها أثر في صدر الدولة العباسية

ويغلب في نفقات الدول الحديثة ان تساوي دخلها او يبقى لها باق قليل جدًا يندر ان يزيد على مليون جنيه وكثيراً ما يعجز صندوقها عن القيام بالنفقات كلها لحدوث ما يدعو الى زيادة النفقة كالحروب وتحوها كما حدث لانكلترا في الاعوام الاخيرة أثناء حربها في جنوبي افريقيا حتى اضطرت الى الاستفراض كما هو مشهور \_ فما هو السبب في الفرق بين ميزانية دول هذه الايام وميزانية الدولة العباسية ? ولا يتضح لنا ذلك الا اذا ذكرنا أسباب الثروة العباسية فنقول : \_

## اسباب المروة العباسية

من القضايا البديهية أن مثل هذه النزوة لا يتأتى الا أذا كان الدخل كثيراً وكانت النفقة قليلة . والنزوة المشار اليها عبارة عن الباقي من اسقاط الخرج من الدخل . فلنبحث في أبواب الدخل وهي مصادر الجباية وفي أبواب الخرج وهي سبل النفقة ونرى الفرق ينهما ونبين أسباب كثرة الاولى وقلة الثانية

#### مصادر الجباية

كانت الجباية في أوائل الهجرة قاصرة على الزكاة ثم حدثت الغنائم بعد واقعة بدر السكبرى ثم الجزية لن صالح الني من نصارى جزيرة العرب ويهودها وتوفي الذي ومصادر الجباية الزكاة والفنائم والجزية . فلما كانت الفتوح في الشام والعراق ومصر وضعوا الحراج والعشور على الارض والمسكس على التجارة وانقضت دولة الراشدين وهذه مصادر الحباية . وما ذال الحال على نحو ذلك في أيام بني أمية مع ما فرضوه من الفنرف في تحصيلها كما تقدم ما فرضوه في ايامهم ضرائب الاسماك وضعها محمد بن مروان في اثناء ولايته ومما وضعوه في ايامهم ضرائب الاسماك وضعها محمد بن مروان في اثناء ولايته المينيا سنة ٧٧ه (١) ونظنهم وضعوا ايضاً اعشار السفن وهي العشور التي تؤخذ من المراكب المارة في البحار . واخماس المعادن التي تحفر لاستخراج المعادن منها . وما ذالت مصادر الجباية ترتقي وتتفرع حتى أصبحت في أيام الساسيين عديدة ترجم والى احد عشم وهي :

(٧) اخماس المعادن	(١) الصدقة او الزكاة
( ٨ ) المراصد ( الـكمارك )	(٢) الجزية
(٩) غلة دار الضرب	(٣) الخراج
(١٠) المستغلات	(٤) المـكوس ( الفردة )
(١١) ضرائب الصناعة وغيرها	( ٥ ) الملاحات والاسماك
	(٦) أعشار السفن

<sup>(</sup>١) أبن الاثير ١٩٦ ج ٤

على ان العمدة في زيادة الثروة أعاهي على الحراج حتى أنهم سموا مجموع الحباية خراجاً باطلاق البعض على السكل. فاذا قالوا خراج فارس مقداره كذا وكذا أرادوا مجموع حبايتها من كل الضرائب. وعليه فلنبحث اولاً في الحراج وسبب كثرته في العصر العباسي الاول ثم نلم بالضرائب الاخرى على وجهالاختصار

### اسباب كثرة الخراج

الخراج ما وضع من الضرائب على الارض او محصولاً لها ولكثرته في الدولة العباسية أسباب أهمها اربعة وهي :

#### (١) سعة الملكة العباسية

لماكان المعول في مقدار الجباية على الخراج فجباية المملكة تتعاظم بزيادة مساحة الرضها وخصب تربتها . والمملكة الاسلامية في العصر العبامي الاولكانت عظيمة الانساع جداً بل هي اوسع ممالك التمدن القديم (وخصوصاً اذا اعتبرنا اسبانيا منها) الاعملكة الاسكندر فريما قاربتها

أما مساحة المملكة العباسية فتقديرها انماً يعرف من مساحات المالك التي قامت مقامها اليوم وهي :

مساحة المملكة العماميمة

	في القرن الثالث للهجرة	
مساحتها بالاميال	الدولة التابعة لها (سنة.٣٠٣)	اساه البلاد
٠٠٠ ٨٢٨	شاه العجم	ایران کلها
Y10 · · ·	مستقلة	افغانستان
\\\····	انكلترا	بلوجستان
٤٨٠٠٠	انكلترا	السند
1 . 41	( الجموع )	

1 . 41	نوع ما قبله )	<del>(</del> )
YOY	روسيا	تركستان روسيا فقط
10 4	روسيا	قوقاسيا ( تفليس )
YY 0 · ·	نركيا	ارمينية وكردستان
\·· Y·0	تركيا	العراق } الحزيرة }
1.90.9	تركيا	سوريا فلسطين
Y	تركيا	جزيرة العرب (منها )
<b>£</b> • • • •	بركا	القطر المصري
Ψ·····	السودان	النوبة وبعض السودان
<b>447</b>	تركيا	طرابلس الغرب
\ <b>A</b> \$ • • •	فرنسا	جزائر <sub>ا</sub> الغرب
01	قر نسا	تو نس
· • • • • • • • • • • • • • • • • • • •	مستقلة	مراک <i>ش</i>

(المجموع) ۳۲۸۰۱۶ سیلاً مربعاً

فمجموع مساحة هذه المملسكة ٣٣٧٨ ميلاً مربعاً وذلك نحو مساحة اورباكلها . فخراج مملسكتهم فاعتبر على خراج مملسكتهم فاعتبر عدد تلك المالك وفيها أعظم دول الارض اليوم . فلو كان اعتباد تلك الدول في حبايتها على الحرائب المشروبات الروحية والسكاوك القدم

على ان سعة المملكة العباسية لا تكني وحدها لتعليل ثروتها لان المملكة الشَّهائية بلغت من السعة في أيام السلطان سلبان الفائوني ما يقرب من سعة مملكة بني العباس ومع ذلك فان الحباية في ايامه لم ترد على ١٠٠٠٠٠٥ و نككما رأيت وانما ساعد الدولة العباسية على ذلك اهتمام النّساس في الزراعة وثقل الضرائب وخصر الارضين وغير ذلك

#### (٢) اشتغال الناس في الزراعة

قلنا في كلامنا عن بيت المال في عصر الامويين أن عمالهم كانوا يسيئون اصحاب الخراج من الرعايا بما يستعملونه من العنف والصف في تحصيلها فتشاغل النساس عن الزرع فاهملت الارضوزادها اهالاً انتشاب الفتن والحروب في العراق وفارس وسائر أمحاه المملكة الاسلامية وهم الناس على حكومتهم وأبطلوا الزراعة نكامة فيها ولفلة انتفاعهم مها فاصبح معظم البلاد خرابًا من الاهمال (١) وفيها الضياع والمزارع . فلما تولى العباسيون ونشروا لواء العــدل وأحسنوا معاملة أهل الذمة والموالي وأمنوهم علىحقوقهم وأموالهموأرواحهم عادالناس الىالاشتغال بالزرع وغيره وكان للخلفاء الاولين من بني المباس عناية كبرى في تأييد الامن وتعمير البلاد ورعاية أهلها من النَّميين والموالي . فالمنصور كان يتبُّع العال الظلام وياَّ خذ أموالهم ويستبدلم بسواهمو يضمها يأخذه مراموالحم في بيتمال مفرد سهاه بيت مال المظالم(٢) وكان يبعث الى الاطرآف يمثال عن أسعار الغلة لئلا يظلم الناس بعضهم بعضاً ويحث عن كل ما يقضي به القضاة أو بعمــل به الولاة وعما يرد الى بيت المال وعن كل حمدت. فاذا رأى الاسعار تغيرت سأل عن السبب واذا شك في شيء بما قضي م الفاضي سأله ووبخه (٣٠) . وبعد ان كان الموالي كالارقاء في أيام بني أمية أصبحوا في أيام الساسيين هم أهسل الدولة وحماة الحلافة يوصي الخلفاء بعضهم بعضاً برعايتهم وخصوصاً آل خراسان فقد أوصى المنصور ابنه المهدي قائلاً « انظر الى مواليك فاحسن اليهم وقربهم واستكثر منهم فأنهم مادتك لشدتك اذا نزلت بك وأوصيك بإهمال خراسان خيراً فلمم أنصارك وشيعتك الذين بذلوا أموالهم ودماجم في دولتــك »(؛) وكذلك فعل المأمون وغيره . وكان المنصور يشغل مهاره في النظر في الخراج والنفقات ومصلحة معاش الرعيــة والتلطف بسكوتهم وهدمهم . ومن وصاياه لابنه المذكور « يا بني لا يصلح السلطان الا بالتقوى ولا تصلح رعيت الا بالطاعة ولا تعمر البلاد عثل العدل »

وأدلة عدل الحلفاء المباسيين الاولين وتفواهم ورفغهم كثيرة . ففد كان المهدي

<sup>(</sup>۱) النخري ۱۵۷ (۲) ابن الاثبر ۱۳ ج ۲ (۳) الطبري ۳۵ ع ۳ (٤) ابن الاثبر ۸ ج ۲

يجلس للمظالم فينصف الناس من عماله وقضاً ه وأهله . وأخبار الرشيد في العسدل اكثر من أن تحصى وكان اذا ذكروا الظلم بين يديه بكى . من أمثلة ذلك أنه كان قد حبس أبا العتاهية وجعل عليه عيناً يأتيه بما يقول فرأوهُ يوماً قد كتب على الحائط

اما والله ان الظلم لؤمُّ وما زال المسيء هو الظلوم الى ديان يوم الدين يمضي وعسد الله تجتمع الحصوم

فاخبر بذلك الرشيد فبكي وأحضّره واستحله وأعطاه الف ديناً (. وله مع أي المتاهية حديث أغرب من هذا وهو ان الرشيد أولم وليمة ووضع طعاماً وطلب الى أبي المتاهية أن يصف ما هم فيه من النعيم فغال :

عش ما بدا لك سالمًا في ظل شاهفة الفصور يسى عليك بما اشتهي ت لدى الرواح وفي البكور فاذا النفوس تفعقت في ظل حشرجة الصدور فهناك تمل موقناً ما كنت الافي غرور

فبكى الرشيد فقال الفضّل بن يحيى « بعث اليك أمير المؤمنين لتسره فحزتته » فقال الرشيد « دعه رآنا في عمى فكره ان يزيدنا » (''

وأمثله ذلك كثيرة عن الرشيد والمأمون نما لا يستوعب كتاب. فكيف لا يستتب الامن في ظل هؤلاء ولماذا لا تخصب الزراعة وتنسع التجارة في حمايتهم وكيف لا يتقاطر النساس الى جوارهم والاستهلاك في خدمتهم . وكيف لا تممر البلاد في ظل العدل وهو ميزان نصبه الله يين عباده فلا عمران الا في ظله ولا حياة الا به . ولا يتم عز السلطان الا بالعدل اذ لا عز اللملك الا بالرجال ولا قوام للرجال الا بالمال ولا سبيل الى العالرة الا بالعدل (٢) والعدل أساس الملك

ونما ساعد على عمران المملكة العباسية ان الحلفاء كانوا يبذلون جهدهم في تعمير ما تركه الامويون خراباً من الصياع والمزارع بتسليمها الى من يصلحها ويعمرها (٢) فضلاً عما كانوا يبذلونه من العناية في احتفار الأنهر وانشاء الندود وغيرها من مسهلات الري

<sup>(</sup>۱) ابن الاثبر ۸۸ ج ۳ (۲) ابن خلدون ۲۶۰ ج ۱ (۳) الفخري ۱۵۷

(السواد) فعمرت مذلك البــلاد وكثرت غلتها وخصوصاً السواد (او المَّراق) فأنه من أخصب بقاع الارض واذا راجت ما ذكرناه من جبايته رأيت خراجه ٢٠٠٠٠٠٠ درهم وذلك نحو ثلث خراج المملكة كلها . والسواد كثير الجباية من أيام الفرس فقد حباه قباذ بن فيروز ١٥٠٠٠٠٠ درهم (١) وحباه كسرى بن قباذ ۲۸۷ ۰۰۰ ۲۸۷ درهم (۲) وجباه غیرهم من ملوك الفرس ۱۲۰۰۰۰ درهم سوی ۳۰۰۰۰۰ من الوضائع لموائد الاکاسرة <sup>(۳)</sup> ــ كأنوا يحيون ذلك على غير ظلم ولا عسف ولكنهم كأنوا يتنون بالري فيحفرون الترع ويبنون السدود والجسور . ووادي الفراتكما لا يخنى كثير الشبه بوادي النيل من جملة وجوه لحصب تربته وغزارة مائه وهو يغيض مثله كل سنة ولكن الفرات ودجلة مجريان من الشهال الى الجنوب ويغيضان في الشناء والنيل مجري من الجنوب الى الشهال ويغيض في الصيف. ويحتاج السواد بعــدكل فيضان الى اصلاح مأتخرب من الجسور ونحوها بطنيان للاء

وكان ماء دجلة يجري قديماً غير مجراه اليوم . اي انه كان بجري مثل مجراه أليوم من بغداد جنوباً الى المدائن فالدير فالعاقول فجرجرايا فجابول الى ماذرايا ومن هناك يسطف غربًا حتى يسير سيراً عمودياً الى فم الصلح فواسط حتى يصب في البطائح حيث يلتقي بالفرات ومنها الى دجلة العوراء بقرب البصرة ومنها الى خليج فارس ِقرب عبادان . ثم جرى بعد ذلك مر\_ ماذرايا شرقاً ثم انعطف جنوباً شرقياً على ماهو عليه اليوم. وكان الفرات فرعين احدهما بجانب المكوفة والآخر

شرقيه وكلاهما يصبان في البطائح

( البطائح ) والبطائح مستنفعات او أرض كان ينمرها الماء في أسفل العراق بين البصرة والكوفة . وسببها ان دجلة انبئق في أيام قباذ فيروز بثقاً كبيراً بقرب كسكر فاغفل أمره حتى غلب ماؤرُه وغرق كثيراً من ارضين عامرة كانت تليه وتقرب منه . فلما ولي أنو شروان العادل الشهير امر بذلك الماء فزحم بالمسنيات حتى عاد بعض ثلك الارضين الى العمارة ثم خلفه ابنه برويز وفي ايامه زاد الفرِات ودجلة زيادة عظيمة ( في السنة السادسة للهجرة ) لم ير مثلها وانبثقت بثوق كبار فجهد برويز أن يسكرها حتى ضرب أربعين سكراً في يوم واحد فلم يغدر على رد

<sup>(</sup>١) ابن خرداذبة ١٤ (٢) الماوردي ١٦٥ (٣) ابن الفقي ٢٠٥

الماه . فظلت الحال على ذلك حتى جاء المسلمون لقتح العراق وشغل الفرس بالحرب فكانت البثوق تنفجر ولا يتفت اليها أحد و يعجز الدهاقين عن سدها فعظم ماؤها واتسعت البطيحة وعظمت (۱) ومع ذلك ففد كان خراج هذه الارض المستفعة كبراً فإن عبد الله بن دراج استغل نها - ٠٠٠٠ درهم في خلافة معاوية بن أبي سفيان (۲) لكنهم فلما عنوا في اصلاحها والانتفاع بالارض المغمورة . فلما تولى الحجاج بن يوسف اشتغل بالحروب عن اصلاح الري . وفي ايامه انبثمت بثوق أخرى وكبرت البطائح فكتب الى الحليفة الوليد بن عبد الملك بخبرها وانه قدر على سدها التففة من مالي على ان تعطيني خراج الارضين ابن عبد الملك « اما أنفق على سدها من مالي على ان تعطيني خراج الارضين المنخفضة التي يتي فيها الماء بعد انفاق المال على أبدي ثماتك » فرضي الوليد بذلك المنخفضة التي يتي فيها الماء بعد انفاق المال على أبدي ثماتك » فرضي الوليد بذلك المنخفضة التي يتي فيها الماء بعد انفاق المال على أبدي شماها السيبين و تألف الا كرة والمزارعين وعمر تلك الارضين واستخرج للوليد أيضاً من البطائح نم المساع خماء معده مالاً كثيراً ثم جرى الناس على ذاك الى أواخر بني امية (۲)

ولما أفضت الحلافة الى العباسيين وأنحذوا السواد مقر ملكهم جعلوا همهم احياء ارضه باحتفار الأمهر وانشاء الجسور حتى تشبكت الترع في السواد وأصبح ما بين دجلة والفرات سواداً مشتبكاً غير مميز تخترق اليه انهمار من الفرات (نا) وقس على ذلك سائر أنحاء المراق. وهو لم يصر الى هذا الحصب والرخاء الا في أيام العباسيين لارتياح الناس الى العمل ورغبة الخلفاء في تعمير البلاد مع قابلية الارض لذلك

(خراسان > ومن البلاد التي زاد بها الحراج زيادة كبرى خراسان ففد كانت أرض خصبة مع سعتها ورغبة أهابها في نصرة الدولة العباسية . وخراج خراسان نحو ٤٠٠٠٠٠٠ درهم اذا أضيف الى خراج العراق بلنم المجموع نحو نصف جباية المملكة كابها . ولذلك كانت عناية بني العباس في إبان دولتهم مبذولة في هذين البلدين وفي الحجاز . أما العراق فللمال واما خراسان فللمال والرجال . وأما الحجاز في معدر الثقة في الحلافة وتثبيت البيعة . وعمران خراسان في ذلك

<sup>(</sup>١) تدأمة ٤٠٠ (٢) الأوردي ١٧١ (٣) تدامة ١٤٢

<sup>(</sup>٤) الاصطخري ٨٣

الوقت مما لا ربب فيه \_ قال المفدسي في عرض كلامه عن مدائن العراق وقد أطنب في عمراتها « فهذه مدن بغداد وبخراسان قرى كثيرة أجلُّ من اكثر هذه المدن » (١) وكثيراً ما كان الخلفاء العباسيون يعدون خراسان المملكة كلها (٢)

ويدخل في ولاية خراسان بلاد ما وراء النهر وهي كثيرة الخصب جدًا ــ قال ان حوقل « ولم أر ولم أسمع في الاسلام بظاهر بلد أحسن من ظاهر بلد بخارا لانك أذا علوت قهندزها لم يفع بصرك من جميع النواحي الاعلى مفارس تتصل خضرتها بلون الساء وكأن السهاء مكية زرقاء على بساط أخضر تلوح القصور ما بين ذلك كالتراس اللمطية أو كالكواكب العلوية بياضاً وثوراً من أراضي ضياع مفومة بالاستواء كوجه المرآة » قال « والمشــار اليه من منتزهات الارض سغد سمر قند ونهر الاباة وغوطة دمشق » (٢) ناهيك بعمران سائر المدن الاسلامية في ذلك العصر الزاهر ( راجع خريطة المملكة الاسلامية الملحقة سهذا الكتاب ) ( مصر ﴾ ولا غرابة فيما تفدم من عمران البلاد في ظل الدولة العباسية فان المدالة توطد دعائم الامن واذا أمن الناس على أرواحهم وحقوقهم تفرغوا للعمل فتمر البلاد وبرفه أهلها ويكثر خراجها . اعتبر ذلك يمصر وتاريخ حبايتها فقد كان عدد سكانها عند الفتح الاسلامي نحو ٢٠٠٠٠٠٠ نفس على ما أجمع عليه مؤرخو المرب ويستبعد أهل هذا الزمان امكانه . واكثر منهم استغراباً أهل أواثل القرن الماضي . فقد ذكر الدكتور كلوت بك تقدير العرب لسكان وادي النيل أنه عشرون مليوناً وعمب عليه بأنه « بعيد الاحتمال لان طبيعة الارض لا تحتمل ان يزيد عدد سكانها على ثلث هذا القدر » (١) وقداراً ينا اليوم انه زاد على نصفه ولا نزال آخذاً في الزيادة

أما كلوت بك فأه أعظم ذلك لان احصاء هذا القطر كان على عهد كتاه (سنة ١٨٤٠) ٣٠٠٠٠٠٠ نفس فقط على انه لما ذكر هذا الاحصاء اظهر إعجاه بزيادة سكان وادي النيل في ظل محمد على باشا عما كاثوا عليه في أيام الماليك لمسا كان من عدالنه ورغبته في احياء البلاد

أما في أيام الامراء الماليك قبله فلم يكن يزيد عدد سكان مصرعلي ٢٠٠٠٠٠٠

<sup>(</sup>۱) المنسى ۱۲۷ (۲) السنوبي ۵۵۰ ج ۲ (۳) اس حوفل ۲۹۵ (۱) المنسى ۱۲۲ مرفل ۹۴۵ (۲) المسنوبي Aperçu gen. sur l'Egypte I. 165

ولا تنظن الارض المزروعة فيها كانت تربد مساحتها على مليون فدان وبعض المليون بالنظر الى ماكان يقاسيه المصريون من استبداد الامراء المماليك. فلما ظلهم المدل في عهد محمد على وخلفائه ترايد السكان واتسمت مساحة الارض المزروعة حتى بلغت الآن. ٥٠٠٠٠٠ ه فدان (سنة ١٩٠٣) وسكانها نحو عشرة ملايين وهي آخذة في الزيادة . وبالطبع ان مقدار الجباية يزداد بزيادة العمران وكثرة السكان وها لا يكونان الا في ظل العدل الصحيح — اعتبر ذلك في حبساية مصر بالنظر الى الدول والعصور فترى أنها تمشت على هذه العاعدة عاماً :

كانت حباية مصر في زمن الراشدين أعلى ما بانت اليه في الأسلام. ففع جباها عمرو بن العاص في زمن عمر بن الخطاب ١٣٠٠٠٠٠ دينار ومساحة الارض المزروعة على تفديرهم ٣٠٠٠٠٠٠ فدان . وجباها عبدالله بن سعد في أيام عُمان ١٤٠٠٠٠٠ دينار ولكنه استعمل العنف في تحصيلها (١) . فلما كانت أيام بني أميــة وكان ماكان من ظلم العبال وعنفهم أمحطت الحبابة ولم نزد في أيامهم علىّ ٣٠٠٠٠٠٠ دينار الا في أيام أن الحبحاب على عهد هشام بن عبد الملك فبلفت ٤٠٠٠٠٠ دينار لانه بذل الجهد في تحصيلها وتعديلها وزاد الخراج . فلما كانت الدولة العباسية لم نزد الجباية كثيراً لبعد مصر من دار الحلافة يومئذ فظلت على نحو ما كانت عليه في أيام بني امية . ولما أخذت الدولة العباسية فيالنمهفر زاد انحطاط الجباية في مصر حتى اصبح في بعض سنى العرن الثالث للهجرة ٨٠٠٠٠٠ ديناوفايا تولاها أن طولون سنة ٢٥٧ هـ استقصى ممارئها فبلغت حيايتها في أيامه ٢٠٠٠ ٤ دينار مع رخاء الاسعار وكان الفسح كل عشرة أرادب بدينار(٣) فلما انفضت دولة بني طولون والدولة الاخشيدية ودخلت مصر في حوزة الفاطميين سنة ٣٦٣هـ جباها جوهر العائد ٧٠٠٠٠٠ دينار (٣) لكنه لم يستطع ذلك ألا بزيادة الخراج على الافدنة . ثم عادت الحِباية فأنحطت وارتمت تبعاً لما تناوَّب عليها من الدول مما يطول شرحه

وآخر عهدنا بانحطاطها على أيام الامراه الماليك في أواخر القرن الثامن عشر كما تقدم . اذ كانت جبايتها قليلة جداً مع كثرة الضرائب والتشديد في تحصيلها . واليك ميزانية الحكومة المصرية سنة ١٢١٣ ه ( ١٢٩٨ م ) : --

<sup>(</sup>۱) ابن حوقل ۸۸ (۲) المقريزي ۹۹ ج ۱ (۳) ابن حوقل ۱۰۸

#### انوارد

	ميدة أو نصف
مال الميري على الفرى والاوقاف	W73 -A
« « « الايراد	1.44.44
« « « الصنائع والمأكولات	44 Y/ Y-0
« « على الرؤوس	1A. P. O.Y
	117 701 777

## الخارج

		ميدة او نصف	
كبار الموظفين	تفعات	7 948 45V	
الجند	»	79 777 707	
مختلفة	)))	٥٨٥ ٣٥٦ ٢	
العلماه والتعليم ووقفيات	)))	A 847 40 8	
رجال الدين والجوامع ونحوها		۱۳ ۸۹۲ ۱۳۹	
الحج		\$07 IV- Y\$	
مجموع الوارد اعلاه	خرج من	مجموع الخارج يست	44 AVA YYY
	,	لباقي	103 787 71

والباقي المشار اليــه كانوا يسمونه الخزنة وكانوا يحملونها الى الاستانة كل سنة . ولما تمرد حكام مصر حاول بعضهم اسقاطها والبعض الآخر تخفيضها ثم انتهت أخيراً أن يقتطعوا منها ٤٥١ ٢٨٣ ٩ نصفاً في مقابل نفقات فوق العادة على هـــذه الصورة :

	ميدة او نصف
 ترميم قلاع الهاهرة	٣٠٠٠
ترميم فلاع سائر القطو	10
أنمان سكر وخلافه	Y
نفقات اخری یأمر بها شیخ البلد	103 TAY Y
الجلة	103 747 6

فاذا اسمط هذا المال من الحزنة المذكورة كان الباقي ٥٠٠٠٠٠ ٧ ميدة (١)

وخلاصة ما بهمنا في هذا المام ال بجوع الأيراد في عصر المماليك بانم المرابعة ما يهمنا في هذا المام الله بحقوع الأيراد في عصر المماليك بانم المعربياً (٢) او كل ٢٨ نصفاً تساوي فرنكاً واحداً . فجاية مصر يومشذ قيمتها المفرنكات نحو ١٥٠٠٠٠ فرنك . غير ال قيمية هود تلك الايام كانت تحتلف عن قيمتها اليوم وقيماس ذلك الاختلاف أسعار الماكولات فقد كان عمن الرطل من اللحم الضائي سبعة انصاف وغمن أردب المعج ٢٤٠ صفاً (٣) فاذا قسنا ذلك بأعام ا في همذه الايام رأينا الميدة أوالنصف بفابل نصف الفرش المصري نقريباً . فتكون جبساة مصر في عصر الماليك تساوي نحو ٢٠٠٠٠٨٠ جنيه . فلما تولتها المائلة الحدودة وعملت على عمرانها أخذت مصري او ٢٠٠٠٨٠ جنيه . فلما تولتها المائلة الحدودة وعملت على عمرانها أخذت حبايتها في ايام المماليك والتربة واحدة والنيل واحد والفصول على حالها — وأعا هي المدالة يكثر في ظلها الناس و تخصب الارض و تتوفر الثروة — حالها — وأعا هي المدالة يكثر في ظلها الناس و تخصب الارض و تتوفر الثروة —

#### (٢) ثقل الخراج المضروب

كان الخراج المضروب على الارض في المملكة العباسية يختلف نوعه باختلاف

۲۰ ج ۱۵۰ الحطط التوفيق ۱۵۰ ج ۲۰ Descrip. d'Egypte XII. (۱)
 ۲۰ ج ۱۵۰ ج ۲۰ (۳) الحطط التوفيق ۱۵۰ ج ۲۰ (۳)

الطبعة الثالثة

البلاد فبعضها بالساحة أي ان يضربوا على المساحة المعلومة من الارض مالاً مميناً في العام سواء رعت تلك الارض ام لم تزرع . والبعض الآخر بالمقاسمة أي ان يكون الخراج جزءا من حاصل الارض بعد زرعها واستغلالها . فما لم يزرع لا يطالب بالخراج وكل من خراج المساحة والمفاسمة درجات وفئات سيآتي بيانها . ولما كان السواد (او العراق) أهم اقاليم المملكة العباسية بالنظر الى الحراج بدأنا به (السواد) كان السواد لما فتحه المسلمون يجبي بالمساحة باعتبار « الجرب » وهو قطمة من الارض مساحتها ستون ذراعاً في ستين أي ٣٦٠٠ ذراع مربع فكل ما كانت مساحته جربياً كان الفرس يأخذون عليه قفيزاً ودرهاً (١) . والقفيز عشر الجرب ويعبرون عن القفيز وزناً بثانية أرطال ويعدرون قيمته ثلاثة دراهم (١) وكانت ضريبة الحراج بالففيز معروفة في الجاهلية ومن ذلك قول زهير ان اي سلمى

تنلُّ لَـكُم ما لا تنلُّ لاهلها قرى بالعراق من قفيز ودرهم فاذا اعتبرنا العفيز بثلاثة دراهم كان الجريب بثلاثين دوهماً يؤخذ عليه اربمة دراهم اي نحو لج ١٣ في للثة وهو خراج خفيف جدًّا ـ لولا ان كثيراً من الاجربة تبقى بلا زرع ويدفع أصحابها الحراج عنها

فلما فتح السواد على عهد عمر بن الحطاب وعلم بماكان الفرس يجبونه أمر بمساحته فسحوه له وعدلوه باعتبار نوع الغرس. وخلاصة ذلك انه ابقي الحراج على الحنطة كما كان في أيام الفرس اي على الجريب قفيز ودرهم او اربعة دراهم. وجمل على الجريب من الكرم عشرة دراهم ومن النحيل نمانية دراهم ومن العصب سنة دراهم والرطبة خسة دراهم وعلى الشمير درهمين وعلى الرأس من الناس ١٧ درهما أو ٢٤ او ٤٨ درهما واخرج من ذلك النساء والصبيان (٣) وكان العال يجبون السواد لعمر المذكور ٢٠٠٠٠٠٠ درهم باعتبار انه ٢٠٠٠٠٠٠ جريب وظل السواد في ايام الراشدين عامراً واكثره مزروع . فلماكانت الفتنة بعد مقتل عيان واشتعل المسلمون بالحروب الى ايام بني امية واستصفاء الاموال في بعد مقتل عيان واشتعل المسلمون بالحروب الى ايام بني امية واستصفاء الاموال في الم معاوية والحجاج وغيرهما اشتغل اهل السواد عن الزرع كما تقدم . ومع ذلك (١) الماوري ١٩٥٥ (٣) كتاب الحراج لا يوسف ٢٠

(11)

القدن الاسلامي ج ٢

فان الحجاج جباه نحو جبايته في أيام عمر ولا بد انه استخدم العسف والشدة في ذلك لان صاحب الارض كان يطالب بالخراج عن ارض لم يزرعها فاذا لم يؤدّ ما عليها ظلَّ عليه الحراج ديناً عاماً بعد عام فيتراكم ذلك على اصحاب الارضين وهم يزدادون ضنكاً فخربت البلاد وهجرها اهلها وجرى على ذلك معظم عمال العراق بعده حتى اضطر اصحاب الارضين الى الالحاء كما سياً في . ناهيك بما كان في نفوس أهل السواد وغيرهم من كره بني امية لتعصبهم للعرب واحتقارهم غير العرب ولوكانوا مسلمين

فلما افضت الخلافة الى العباسيين سنة ١٣٧ ه وجهوا عنايتهم الى السواد بنوع خاص واول من فعل ذلك منهم المنصور قانه نظر في السواد فاذا هو يكاد يكون خراباً للاسباب التي قدمناها فرأى استبقاء الخراج عليه بالمساحة غى تلك الصورة ظلماً فجعل خراج الحنطة والشعير مفاسمة (وهما اكثر غلات العراق) اي ان يؤخذ خراج الارض من علتها اذا زرعت فإذا لم تررع لا يؤخذ منها شيء وأبقى اليسير من الحبوب والنخل والشجر من الحراج بالمساحة (۱٬ ولا مدري كم جعل حصة بيت المال من المفاسمة المذكورة ولكننا نعلم ان ابنه المهدي (ممن سنة سيحاً اي بدون تعب وبالثلث في الارض التي تستى بالدوالي وبالربع في الارض التي تستى بالدوالي وبالربع في الارض على بعض باعتبار قربه من الاسواق والعرض - اشار عليه بذلك وزيره معاوية بن على بعض باعتبار قربه من الاسواق والعرض - اشار عليه بذلك وزيره معاوية بن يسار (۲) فكان خراج العراق عبارة عن ضف غلته تغريباً لان أكثره يستى سيحاً وهو خراج ثقيل ولكن الناس عدوه بومئذ فرجاً ورحمة

ويظهر ان الهادي أو الرشيد زاد على ذلك الخراج الشر فصار خراج العراق نصف غلته وعشرها اي ستة اعشارها وظل ذلك شأمها الى سنة ١٩٦٧هـ فأسقط الرشيد العشر وأبق النصف فقط (<sup>٣)</sup> وما زال أهل السواد يدفعون نصف غلتهم خراجاً الى سنة ٢٠٤هـ فجملها المأمون خسين (<sup>٤)</sup> فكاً نه اسقط عشرين في المثة

<sup>(</sup>۱) الماوردي ۷۷ و ۱۹۸ (۲) الماوردي ۱۹۸ والفخري ۱۹۶ والبلاذري ۲۹۱ (۳) الطبري ۲۰۷ ج ۳ و ابن الاثير ۶۸ ج ٦ (٤) الفخري ۱۹۸۸ وابنالاثير ۱۹۲۷ع ٦ والطبري ۲۰۳۹ ج ۳

من مقدار الخراج . وخفض خراج بعض البلاد الاخرى غير السواد كالري فانه جامها سنة ٢١٠ ه فأقام فيها مدة وامر بتخفيف الخراج عنها . فلما انصرف وبلغ اهل قم ذلك طلبوا اليه ان يحط خراجهم كما فعل بالري فأبي فتمر دوا وامتنعوا عن اداء الخراج وكان مفداره ٢٠٠٠٠٠ درهم فحاربهم المأمون وجباه في ذلك العام ٧٠٠٠٠٠ درهم تأديباً لهم (١)

فترى مما تفدم ان خراج السواد كان تقيلاً بالنظر الى ما كان عليه في أيام الراشدين على المساحة . لانهم كانوا يأخذون على الجريب اربعة دراهم ونسبة الجريب الى الفدان كنسبة ١٢٠٠ : ٤٢٠٠ او نسبة ١٠٠ : ﴿ ٣٣٣ فاذا كان على الجريب الى الفدان كنسبة ١٣٠ وهو خراج زهيد بالنظر الى الارض التي تزرع واما بالنظر الى ما يتى بوراً فهو كثير وربما كان المعدل في الحالين واحداً يدلك على ذلك ان الفرق في ارتفاع الحراج بين المساحة في ايام الراشدين والمفاسمة في إيان كثرتها لا يعتد به . أما بالنظر الى هذه الايام (سنة ١٩٠٣م) فان ضرائب السواد ما زالت حتى في ايام الأمون ثهيلة اذ ليس في العراق الآن ارض يزيد خراجها على خس غلتها وفيها جانب كبير يؤخذ منه العشر فقط . وفي لينان ظاهر الحراج على المساحة ولمكنه مؤسس على المقاسمة . لانهم مسحوا لينان ظاهر الحراج على المساحة ولمكنه مؤسس على المقاسمة . لانهم مسحوا الارضين وقسموها باعتبار ما يحصل من غلتها باختلاف المفر وسات فالارض التي غلتها كيل زيتون او حمل ورق توت او بذار مد قبح أو ما تساوي قيمته ٢٠٣٠قر شأ علتها وفرضوا على السهم ٢١ قرشاً الا ربع قرش فيكون الحراج ٦ في المئة فقط

﴿ مصر ﴾ ويلي العراق بالخصب مصر وكان خراحها على المساحة باعتبار الفدان وهو قطعة من الارض كانت مساحتها عندهم ٤٠٠ قصبة والفصبة خمسة اذرع بذراع النجار وستة اذرع وثلثا ذراع بذراع الفماش (٢) وفي تعريف الحكومة الصرية اليوم الفدان ﴿ ٣٣٣ قصبة والقصبة ٥٥ ، ٣ من المتر المربع وقد تزيد أو تنقص قلمار (٣)

وقد تقدم ما كان يقاسيه المصريون في عهد بني أُمية من العسف وزيادة (١) الطبري ١٠٩٣ ج ٣ (٢) المتريزي ١٠٣ ج ١٠ (٣) القوانين المتاربة ١٦٨ الضرائب فدخلت الدولة العباسية ومصر اكثرها خراب لماكان يسومهم عمال بني المسية من زيادة الحراج وأشهر من ضل ذلك منهم عبيد الله بن الحبحاب في ايام هشام بن عبد الملك فانه زاد على العبط قبراطاً في كل ديناركما تعدم فا ل ذلك الى ثورة كبرى . على ان الثورات كانت تتوالى في مصر بسبب ضغط العمال فلما تولى العباسيون بشوا اليها العمال ولكنهم لم يكونوا يستطيعون رعاية اعمالم وملاحظة سيرهم كما كانوا يلاحظون سير عمال العراق لبعد وادي النيل من مركز خلافتهم فكان العمال حتى في صدر الدولة العباسية يضاعفون الخراج ويشددون في تحصيله كما ضل موسى بن على سنة ١٩٥٦ه في أواخر ايام المنصور وموسى بن صعب في أيام المهدي فانه ضاعف الحراج على أهل العراق كما رأيت

أما في أيام المأمون أي في ابان الثروة الاسلامية فقد كان الحراج المضروب على مصر ديسارين عن كل فدان (٢) وذلك كثير بالنظر الى ما يؤخذ منها الآن اذا اعتبرنا الفرق في السعر بين تلك الايام واليوم . لان الحراج المضروب على اطيان مصر الحراجية (وهي الجانب الاكبر) يختلف مقداره اليوم باختلاف خصبها وهو وان كان على المساحة فاساسه المفاسمة . لأبهم قسموا الفطر المصري الى نواح يختلف خراجها باختلاف خصبها . وأخصب النواحي لا يزيد خراج الفدان فيها على ١٨٠ قرشاً (٢) وأشال هذه الفدادين قليل جداً . وأما الاكثر تفراجه حوالي مئة قرش وفيها ما خراجه عشرون قرشاً أو عشرة قروش . واذا اعتبرنا غلة الارض بالنظر الى خراجها رأينا الحراج لا يزيد على خمس الغلة بوجه التقريب الارض بالنظر الى خراجها رأينا الحراج لا يزيد على خمس الغلة بوجه التقريب لان الفدان الذي تقدر خراجه مئة قرش مئلاً يضمن بخمسة جنبهات او سته

واذا استخرجنا معدل خراج مصر على كل الفدادين رأينا معدل خراج الفدان لا يزيد على ٥٠٠٠٠٥ ه فدان زراعي بلغ لا يزيد على ٨٥٠ قرشاً لان في الفطر المصري نحو ٥٠٠٠٠٠ ه فدان زراعي بلغ مقدار خراجها للسنة الماضية ٢٠٥ ه جنيهاً (١) فيلحق الفدان الواحد نحو ٨٥ قرشاً وقد تفدم في غير هذا المكان ان الفرض اليوم يساوي ثلث قرش تلك

<sup>(</sup>۱) المقريزي ۳۰۸ ج ۱ (۲) الفريزي ۹۹ ج ۱ (۳) الفوانين المقارية ۱۹۶ وما بعدها (۱) ويزانية مصر لسنة ۱۹۰۲ صنعته ۱۲

الايام . فالديناران خراج الفدان في أيام المأمون يساويان ستة دنانير في هذه الايام او ثلاثة جنيهات . فيكون خراج مصر في أيام المأمون يزيد على ثلاثة اضعافه في هذه الايام ( سنة ١٩٠٣ )

ولكن يظهر ان الحراج في مصر زاد بعد المأمون حتى بلغ في اواسط القرن الرابع للهجرة لما جامها القائد جوهر وفتحها باسم الحلفاء الفاطميين ثلاثة دنانير وفقط في المراد وفقط المراد وفقط المراد وفقط المراد وفقط المراد المراد وفقط المراد المرد المراد المراد

وقد رأينا في كتاب أحسن النقاسيم للمقدسي انه « ليس على مصر خراج ولكن بعمد الفلاح الى الارض فيأخذها من السلطان ويزوعها فاذا حصد ودرس وجمع رشمت بالعرام وتركت ثم مخرج الخازن وأمين السلطان فيقطعون كرى الارض ويعطى ما بتي للفلاح » ولكن ذلك كان خاصاً بالارضين التي كانت الحكومة تفيلها أي تضمنها وليس لها مالك وقد تكون في الاصل لبعض القواد أو العمال من الروم الذين قتلوا في الحرب أو هر موا فيقيت حلالاً لبيت المال كما تقدم فيضمنها الحاكم وبأخذ ضهاتها عيناً أو تقداً

( بلاد أخرى ؟ وهذاك بلاد بعضها كان يجي بالمساحة والبعض الآخر بالماسمة . فبلاد قارس مثلاً كان خراجها على ثلاثة أصناف (١) المهاسمة (٢) المساحة (٣) القوانين وهي المهاطمات . على ان اكثر بلاد فارس على المساحة وتختلف الاخرجة فيها باختلاف البلاد فاثفلها في شيراز (٢) فان خراج الجريب حنطة أو شعيراً ١٩٠ درهما والجريب من الارطاب والمباطخ لم ٢٣٧ درهما ولكن الكرم ٤٢٥ درهما ولكن الحريب عندهم كبير أي سبعون ذراعاً بذواع الملك وهو تسع قبضات (٣) فافرض الحريب عندهم كبير أي سبعون ذراعاً بذواع الملك وهو تسع قبضات (٣) فافرض الجريب جريبين من أجربة العراق فالحراج مع ذلك لا يزال تقيلاً جداً . وهو خراج تلك الملاد في أواسط القرن الرابع ولم تقف على مقداره في ايام المأمون ومن هذا القبيل خراج المغرب في أيام الاغالبة فقد بانم خراج الفدان في أيام ومن هذا الماليطول اقتضاؤه من

<sup>(</sup>۱) ان حوقل ۱۰۸ (۲) الاصطغري ۱۵۷ (۲) المتدسي ۵۹۱ (۶) المتدسي ۵۹۱ (۶) ابن الاثير ۱۳۹۵ ج ۲

أصحاب الارضين وآنما هو يختلف باختلاف الاعوام والاحوال

وجملة القول أن الخراج كان في العصر العباسي الاول ثقيلاً ومع ذلك لم يكن يمسر اقتضاؤه وقلما شكا النساس نمله وربما استطاع العامل أن يجمع الملايين من الدواهم بسهولة في بضمة أيام كما اتفق المأمون لما مراً بدمشق وكان أخوه المعتصم عاملاً له عليها وقد قل المال مع المأمون فشكا ذلك الى المتصم فقال « يا أمير المؤمنين كأ نك المالوقد وافاك بعد جمعة » فجاءه بثلاثين الف الف درهم (٣٠٠٠٠٠) من خراج ما يتولاه له ففرق معظمه وهو واقف (١)

#### سائر مصادر الجباية

على أننا لا نرى بأساً مزالاشارة الى ما بىقى من مصادر الحباية فيالعصر العباسي الاول تمة للموضوع ــ منها :

ا (اعشار السفن) هي ضرية ذات بال كان يرد منها الى بيت المال مبالغ وافرة لم نفر على تفصيلها ولا وقفناعلى مقدار ماكان يجي في العصر المبامي ولكن يؤخذ بما نعله من اتساع التجارة في قلك الايام بين العراق وسائر اقطار الدنيا حتى الهند والصين ان السفر كانت كثيرة واحملها عمينة. وقد ذكروا تاجراً واحداً من تجار البصرة في الفرن السادس الهجرة اسمه حسن بن العباس له مراكب تسافر الى اقصى بلاد الهند والصين بلغ مقدار ما يحصل من ضرائها مراكب تسافر الى اقصى بلاد الهند وقص عليمه غيره في البصرة وغيرها من شور الاسلام وفيها ما يكون اكثر دخله من اعشار السفن. فقد كان ضمان اعمار المراكب في عدن في القرن الرابع ٠٠٠٠٠ دينار (٢) وضافها في القرن السادس المراكب في عدن في الوسر العبامي اقل المرات اليم بعد ذلك لاتناثرى في جريدة على بن عيسى التي كتبها للخليفة عما صارت اليم بعد ذلك لاتناثرى في جريدة على بن عيسى التي كتبها للخليفة المعتدر سنة ٢٠٠١ ديناراً وقد

 <sup>(</sup>١) الطبري ٩١٠٤٣ ج ٣ -- وي ابن الاثير وابي القداء والفخري ان مقدار ذلك المال ثلاثون الله الله الله درهم ( ٢٠٠٠٠٠٠٠ ) وهذا خطأ من النساخ
 (٢) ابن حوقل ( في الديل ) ( ٣) ابن حوقل ٢٠ ( \$) ابن حوقل ( في الديل )

تقدم أن أضاف ذلك كان يُحصل من أحد تجارها بعد قرنين

٣ ( اخماس المعادن) كانت المعادن عندهم ضربين ظاهرة وباطنة فالمعادن الطاهرة ماكانجوهرها المستودع فيها بارزاً كمادن السكحل والملح والعار والنفط فهذه لا مجوز اقطاعها لانهاكالماء والناس فيه سواه يأخذه من ورد اليه. وأما المعادن الباطنية فهي ماكان جوهرها مستكناً فيها فهذه كانت الحسكومة تعطمها لمن يستخرجها ولها الحمس مما يخرج منها (١) ونظراً لسعة المعلكة العباسية ففد كانت المناجم فيها عديدة ومنها الذهب والفضة والنحاس والزئبق والفدوز والزحد وغيرها وهاك امثلة منها ومن أماكن وجودها

كان في خراسان معادن النحب والفضة والفيروز والرخام وطين الخم والنوشادر والزئمة (٢) . وفي ما وراء النهر معادن النهب والفضة والزئمة الذي لا يكارُّه معــدن في الغزارة والـكثرة (٣). وفي بلاد فارس عامة المعادن الفضة والحديد والانك والكبريت والنفط والصفر والزئبق. وبغربي اصبهان معمدن الكحل (نا). وفي كرمان مدينة اسمها دمندان كان فيها اكثر معادن الذهب المرجان بسواحل افريفيا الثهالية وهو شيء كثيركانوا يوسفون من منجم واحد منه خمسين قارباً أو اكثروفي كل قارب عشرون **رط**لاً <sup>(٦)</sup> . وفي سوريا معاذن الحديدكانت بجوار بيروت والمفرة الحبيــدة في حاب وحبال الحمر في مكان آخر ومعدن الرخام في فلسطين ومعــدن الــكبريت في الاغوار (٧٧) . وفي مصر معادن الشب بالصعيد وكانت العربان تحضره من معادنه الى ساحل اخم واسيوط والبهنسا ويحمل منها الى الاسكندرة ايام النيل وكانوا ببيعون منه تجار الروم نحو ٦٢٠٠٠ قنطار بسعر أربسة دانيركل قنطار الى ستة . وكذلك النطرون في البر الغربي للثيل وفي غيره كان يستخرج منه كل سنة ١٠٠٠٠ قنطار وكان يضمن في بعض الاحوال ضماناً تبلغ قيمته ٥٠٠ دينار (٨) . وفيالنوبة مما يحاذي اصوان معدن الذهب المشهور - قال ابن حوفل « والمعن ليس من أرض مصر ولكنه في

 <sup>(</sup>١) الماوردي ۱۸۷ (۲) المدى ٢٧٦ (٣) ابن حوقل ٣٣٧
 (٤) الاصطخري ١١٥ و ٢٠٦ (٥) ابن العقيه ٢٠٦ (٦) ابن حوقل ٥١
 (٧) المدى ١٨٤ (٨) المتريزي ١٠٠١ج ١

أرض البجة وينتهي الى عيداب والمعدن أرض مبسوطة لا جبل فيها وهي رمال ورضر اض ومجمع تجارهم العلاقي » (۱). وفي بلاد الغرب بما يلي سجلاسة معادن النهب والفضة وكذلك في ما وراه ذلك الى بلاد السودان (۲). وكان في صعيد مصر جنوبي النيل (كذا) معدن الزبرجد في برية منفطعة عن العمارة (۳). وفي البحرين بخليج قارس مغاوس اللؤلؤ وفي صنعاه مناجم العفيق وبين ينبع والمروة معادن الذهب وعلى شواطى، عدن ومخا العنبر (۱)

هـ ذه أمثلة مماكان في المملكة العباسية من المعادن تمثيلاً لما كان يجبي من الحماسها الى بيت المال . وكمانوا يفطون هـ ذه المعادن أقطاعاً أو يضمنونها تضميناً عال معين وقد يكون ذلك المال كثيراً \_ من امثلة ذلك ان معادن الفيروز في بيسابور بلغت ضمانتها في أواسط القرن الرابع للهجرة ٧٧٠ ٢٠٠ درهماً (٥)

 ﴿ الجزية والزكاة ﴾ كانت الجزية في صدر الاسلام كثيرة ثم تناقصت بدخول الناس في الاسلام . والزكاة كان لها شأن كبير في أول الاسلام ثم قلتَت اهميتها وسيأني بيان ذلك

\$ فرالمكوس والمراصد > وهما تعابلان الكارك والموائد في هدفه الايام وكانوا بأخذون ضربية من كل تجارة واردة في البحر أو البر مهما يكن وعها من الانسجة أو المحصولات أو المصنوعات أو الرقيق أو غيره . وكان يحصل لهم من ذلك مال كبر . ولا نعم مغدار ما كان يجمع منه ولكن يظهر انها كانت تختلف الختلاف الزمان والمكان وربما اختلفت في البلد الواحد باختلاف الزمان وفي الزمن الواحد باختلاف البلاد عما لا يمكن حصره وأبما نأتي بما شاهده شمس الدين المعدمي بنفسه في مصر باواسط الغرن الرابع المهجرة من الضرائب شمس الدين المعدمي بنفسه في مصر باواسط الغرن الرابع المهجرة من الضرائب ودمياط وعلى ساحل النيل وأما الثياب الشطوية فلا يمكن القبطي أن ينسج شيئاً منها الآ بعد ما يخم عليها وصاحب السلطان يتبت ما يباع في جريدة مم تحمل الى من يطوبها ثم الى من يطوبها ثم الى من يشوبها ثم الى من يشدها في السفط والى من مجزمها وكل واحد منهم من يشدها بالفشر، ثم الى من يشدها في السفط والى من مجزمها وكل واحد منهم

<sup>(</sup>۱) ابن حوقل ۱۰۷ (۲) المقدسي ۲۳۱ (۳) الاصطخري ۵۱ (۶) المقدسي ۱۰۱ (۵) المقدسي ۳۶۱

له رسم يأخذه . ثم على بأب الفرضة يؤخذ شيء وكل واحد يكتب على السفط علامته ثم تفتش المراكب عند اقلاعها . ويؤخذ بتنيس على زق الزيت دينار ومثل هذا وإشباهه . ثم على شط النيل بالفسطاط ضرائب ثقال رأيت بساحل تنيس ضرائبياً جالساً قبل قبالة هذا الموضع في كل يوم الف دينار ومثله عدة على سواحل البحر في الصعيد وساحل الاسكندرية . وبالاسكندرية ايضاً على مراكب الغرب وبالفرما على مراكب الشام ويؤخذ بالفلزم من كل حمل درهم» (1)

وذكر أبن حوقل انه كان يُحصُل مما يخرج مَن اذر يجان الى نواحي الري ولوازم على الرقيق والدواب واسباب التجارات والابقار والآغنــام ٩٠٠٠٠٠٠ درهم في السنة (٢)

على ان هــذه الضرائب وامثالها لم يكن لها رواج في اوائل الدولة الساسية ولاكانت غلتها تستحق الذكر ولـكن دخابا تماظم في عصر الانحطاط

هُ (المستفلات وغلة دار الضرب) يراد بالمستفلات ما يجي لبيت المال من اسواق أو منازل او طواحين ابتناها الناس في ارض تربتها المسلطان فيؤدون عنها اجرة (۲). وذكر ان خرداذبة مبلغ غلات الاسواق والارحاء ودورالضرب في مدينة السلام بغداد ٥٠٠٠٠٠ درهم في السنة (١) وبلنت غلات ومستغلات سامرًا وأسواقها ١٠٠٠٠٠٠ درهم في السنة (٥)

فالدولة العباسية في الجن زهوها كُانَتْ نجبي من هذه الضرائب شيئاً كثيراً ولـكن الممدة كانت على الحراج كما تعدم

#### (٤) صدق المهال في ارسال المال المجموع

قد رأيت مما ذكرناه من جور عمال بني أمية انهم كثيراً ما كانوا يستأثرون بالحراج لانفسهم اما باذن الحلفاء كما ضل عمرو بنالعاص بمصر اذ جعلها معاوية طعمة له في مقابل نصرته اياه على على او مجحجة الحاجة الى المال في الحروب كما حشل في ايام الحجاج او استرضاء لعامي متمرد التماساً لفعوده (٦) او إن يعصى العامل

<sup>(</sup>١) المقدسي ٢١٣ (٢) ابن حوقل ٣٥٣ (٣) ابن حوقل ٢١٧

 <sup>(</sup>٤) ابن خرذابة ١٢٥ (٥) اليعقوبي (كتاب البلدان) ٣٨

<sup>(</sup>٦) ابن الاتبر ١٤٣ ج ٢

بالحراج لنير سببكما فعل مسلمة بن عبد الملك في ولايته على العراق في أيام أخيه يزيد (') فان يزيداً استحيى أن يطالبه بالحراج ولعله خاف عصيانه . ناهيك عاكان يكتمه العمال عن خلفائهم من أموال النيء والغنائم وهو من حق يبت المال وقد يذكرونه ويطمعون فيه كما فعل يزيد بن المهلب بعد فتحه جرجان سنة ٨٨ ه فانه اصاب مالاً كثيراً بني منه لبيت المال من ٢٠٠٠ درهم كتب عنها للخليفة لكنه استفاها لنفسه (٢) ـ ذلك ونحوه دعا الخلفاه في بعض الاحوال الى ان يستخرجوا المال من عما لهم بانهوة كما تقدم

أما بنو العباس فقد كان معظم عمالهم في أوائل الدولة من اهابهم الاقريين ثم استعملوا انصارهم الفرس وهم اكثر الناس رغبة في قيام دولتهم . وكان الحلفاء من الحجهة الاخرى لا يفصرون في زيادة رواتبهم حتى بلغت في أيام المأون الائتمالايين دره (٢) وهي عمالة الفضل بن سهل على المشرق ولم يدرك مثلها أحد من عماله يني المية . لان اكبر واتب اقتضاه عمالهم لم يزد على ١٠٠٠٠٠ درهم وهي عمالة يزيد أن عمر بن هبيرة على المراق (١)

وبما ساعد بني العباس في أوائل دولتهم على حفظ نظام اعمالهم واجماع العمال على ولائهم سعداد رأي وزرائهم وخصوصاً البرامكة فأنهم كانوا واسطة عمد تلك الدولة وزهرة تمدنها . وكذلك كان الفرس على الاجمال لانهم كانوا يعدور استيلاء بني العباس عليهم رحمة من الله كانوا يتوقعونها منذ اعوام للتخلص من بني المية واحتقارهم اياهم

وهناك أسباب اخرى لسكثرة حباية الدولة في ايام المأمون كعلة الحروب والفتن فأمها مذهبة للاموال مضيعة للخراج مفسدة للاعمال لاشنفال الناس عرف الزراعة والتجارة وانفاق الاموال في الحند

<sup>(</sup>۱) ابن الاثبر ۶۷ ج 0 (۲) الطبري ۱۳۳۶ و ۱۳۵۰ ج ۲ (۳) الطبري ۱۵۸ ج ۳ (۶) ابن لخسكان ۲۸۱ ج ۲

#### أسباب قلة النفقة

فرغنا من الكلام عن أسباب كثرة الخراج في الدولة العباسية بالقياس على أيام بني أمية وهذه الايام ( سنة ١٩٠٣ ) وهي القسم الاول من أسباب الثروة السباسية فلنأت إلى القسم التاني وهو قلة التقفة وأهم أسبامها ثلاثة :

#### (١) قلة الموظفين

يختلف عدد الموظفين في مصالح الحكومة باختلاف عمل تنظيمها ويقال بالاجمال الهم أقل عدداً في الحكومات الاستبدادية منهم في الحكومات القيدة لاستنناء الحسكم المطلق عن تدوين كل شيء وضبطه لمراجعة النظر فيه . اعتبر ذلك في المحاكم القضائية ومقدار الفرق بين عدد موظفيها في عهد الاحكام العرفية وبينهم في عهد الاحكام القانوئية وقس عليه سائر مصالح الحكومة والسبب فيها متشابه . ويكفي لبيان هذا الفرق مقابلة عدد موظفي الحكومة المصرية قبل نظامها الحالي بعددهم اليون

كانت حكومة مصر قبل دخول الفرنساويين اليها ( في أواخر الفرن الثامن عشر ) لا ترال على نحو ما رتبها عليه السلطان سليم الفائح وابنه السلطان سليمان .

وخلاصة ذلك ان رئيسها الباشا وهو الوالي المرسل من الاستانة يليسه ٢٤ بيكاً ( طلبه خانه ) منهم ١٢ يتولون المصالح الكبرى في الفطر وهم :

- (١) الكخيا وهو نائب الباشا وكاتب سره
- (٢) الدفتردار وهو ينظر في الخراج ويفابل ناظر المالية عندنا
- (٣) أمير الخزنة وهو بحمل الى الاستانة ما يخصها من خراج مصر
  - (٤) امير الحج وهو يتولى قيادة الحج الى الحجاز
  - (٥) ثلاثة قباطين لفيادة ثنور السويس ودمياط والاسكندرية
- (٦) خمسة مدرا. لاقاليم جرجا والبحيرة والمنوفية والغربية والسرقية

وهناك أربعة كشاف لاقالم الفليوبية والمنصورة والجيزة والفيوم واعمالهم مثل أعمال البكوات مديري الاقاليم الاخرى

ومن المصالح الاخرى القاضي وامين الضربخانة والمحتسب

وكان الجند عبارة عن ست فرق تسمى وجاقات وهي :

(١) وجاق المتفرفة . وهو مؤلف من نخبة الحرس السلطاني

(٢) وجاق الجاويشية . وهو مؤلف في الاصل من صف ضابطان جيش
 السلطان سلم فعهد اليهم حباية الحراج

(٣) وحاق المجانة

(٤) وجاق التفقجية . وهم ناقلو البنادق

 (٥) وجاق الانكشارية. وهم اخلاط من نحبة القبائل الحاضة للدولة الممانية وكانوا يعرفون ايضاً بالمستحفظين لاناطة محافظة البلاد بهم

(٦) وجاق العزب

وكان كل من هذه الوجاقات مؤلفاً من افراد يقال لهم « وجاقلية » واحدهم « وجاقلية » واحدهم « وجاقلية » واحدهم « وجاقلي » على كل وجاق منها ضابط يلقب بالآغا يصحبه الكخيا والبائل اختيار والدفتردار والحزندار والروزنامجي (١٠) . ومن اجباع هؤلاء الضباط من سائر الوجاقات يتألف مجلس شورى الباشا فلا يقضي امراً الا بمصادقتهم

هذه خلاصة نظام الحكومة المصرية المركزي ولا ترى عدد الموظفين فيه يزيد على خسين ( ما عدا الحيش ) فاذا اعتبرنا ما يلحقه من الكتاب والنواب وغيرهم ربحا بلغ الى ٢٠٠ او قل ٣٠٠ او دم يقابل في هذه الايام نظارات الحكومة ومجلس النظار والمية ومصلحة الصحةوالبوليس والسجون وسائر المصلح عما رو عدد موظفيها على الفين كما يأتي

الموظفون في الحكومة المصرية الان فتتان الفئة الاولى العمال. وهم الذين يتولون اعمالها وادارة شؤونها ومنهم النظار ورؤساء المصالح ورؤساء الافلام والكتاب والحساب. والفئة الثانية الحدمة ومنهم الفراشون والبوابون ونحوهم. واليك عدد الموظفين من طبقة العمال فقط مرتبة باعتبار النظارات والمصالح والاقلام (٢)

<sup>(</sup>۱) تاریخ مدر الحدیث ۱۲ ج ۱

 <sup>(</sup>۲) ميزآنية الحكومة المعربة لسنة ١٩٠٧

## عدد موظني الحكومة المصربة لسنة ١٩٠٧ من طبقة العال

( مجموع ما قبله )	18 818	» Р*	عدد
خفر السواحل	۲۱۸	المعية وتواسها	1 141
الدخوليات	١٤٠	مجلس النظار	۸۸_
مصايد الاسماك	٤	۱ الشوري	77
الرسالة	14	نظارة الخارجية	34
السكة الحديدية	1 944	د النالية	819
التلغرافات	777	« المارف	373
ميثاه الاسكندرية	44	﴿ الداخلية	141
البوسطة	٥٥٠	« الحمانية	Y 74.
الفنارات	1.4	« الاشغال	774
الايانات	*	( الحربية	44.4
المتمغة للمصاغات	١٥	مصالح ادارة الافلع وماليتها	\ Y\0
مكانب تابعة للمعارف	٣٠١	مصلحة البوليس	7 788
الكتبخانة الحدوبة	11	« الصحة	770
الانتكخانة	٤	« السجون	. \
المطبعة الاهلية	١٤	« منع الرقيق	10
املاك المبري الحرة والمشتركة	4.	الدفترخانة	44
الكومسيون البلدي	777	الكارك	۰۱۰
(11/1)	303 YY	_ (الجموع)	373 A/

فِملة موظني الحكومة المصرية من العمال ٤٥٤ ٢٢ قادًا اخرجنًا منهم المصالح ذات الابراد اذ لا دخل لها في ادارة شؤون الحكومة وهي :

	عدد
السكك الحديدية	1 44%
التلغراقات	444
ميثاه ألاسكندرية	Y4
مصلحة البوسطة	•••
الفنارات	1.4
تانارياا	۳,
قلم الشمغة	10
(141)	Y 47A

ومصالح ادارة الاقاليم وعدد موظفيهاه ١٧١ كان المجموع ٣٨٣ ٤ وباخراجه من المدد الاصلي يعتى ١٧٧٧١ وهو عدد موظفي الحكومة في نظارتها ومصالحها ما عدا الحبيش . فاعتبر الفرق العظيم بين هذا العدد وبين ما كان عليه في أيام المماليك وقس عليه عدد موظفي الحكومة في الدولة العباسية

على أن ذلك يتضع من مراجعة قائمة نققات الدولة المباسية صفحة ٦٤ فانك ترى معظم اصحاب الروانب هناك من الجند و خدمة البلاط والحرس الخاص والفلمان والحثم والفراشين واصحاب الصيد ونحوهم وليس من عمال الحكومة المقين الا جزءا صغيراً وهم المعبر عنهم صفحة ٢٦ « باكابر الكتاب واصحاب الدواوين والحزان والبوايين الخ وعبد الله بن سليان (الوزير) واسحق بن الدواوين والخران والبوايين الخ وعبد الله بن سليان (الوزير) واسحق بن نقفات الحكومة على مصالحها الحفيقية تزيد على نصفذتك المال (اي ٢٠٠٠٠٠٠ دينار) مع ان نقفات الحكومة المصرية الآن على مصالح الادارة والتحصيلات دينار) مع ان نقفات الحكومة المصرية الآن على مصالح الادارة والتحصيلات المباسية الا جزء صغير واما سبب هده الزيادة فمن كثرة الموظفين لما اقتضاه المباسية الا جزء صغير والما والتحرير كما تقدم

على ان السبب في فلة نففات الدولة العباسية من حيث الموظفين ليس قلة عددهم ففط ولكن هنــاك سبباً آخر ذا بال اعنى تسديد ارزاق بعض العمال من مال يوفرونه ولا يدخل في باب الوارد . فقد رأيت صفحة ٦٣ ان ارزاق اكابر الكتاب وأصحاب الدواوين والحزان الح تم ١٥٦ دينار في اليوم غير أن هؤلاه ليسوا كل موظني الدواوين بل هم الكبراه فقط ويتضح ذلك من قوله هذاك «سوى كتاب دواوين الاعطاء وخلفائهم على مجالس التفرقة واصحابهم واعوانهم وخزان بيت المال فأنهم بأخذون ارزاقهم مما يوفرون من أموال الساقطين وغرم المخلين بدوابهم » ويدل ذلك أيضاً على اختصار الحسابات مما لا رتكبه في هذه الايام اصغر الباعة اذا اراد ضبط حسابه فضلاً عن دوائر الحكومة . فإن أموال الساقطين وغرم المخلين كان يجب ان تدون في ابواب الوارد وندون روانب الساقطين في باب النفعات . وعلى اتنا نستبعد ان لا يكون لهذه الفيود محل أولئك الموظفين في باب النفعات . وعلى اتنا نستبعد ان لا يكون لهذه الفيود محل في دفاتر الحكومة العباسية وأنها اسقطت من هذه العاعة حباً بالاختصار او

## (٢) عدم وجود الدين على الحكومة

من ادران التمدن الحديث انهاس الحكومات الاوربية في الديون وما من دولة الا وهي مديونة بمال لا بدّ لها من تأدية فوائده أو تسديد بعضه من دخلها مع كرة أبواب الدخل عندها مما فرضته من الضرائب المختلفة التي لم تكن معروفة في الدولة العباسية او أنها كانت خفيفة جدًا . فقد تقدم صفحة ١٩٩ ان دخل المكترا ١٠٠٠٠٠٠٠ جنيسه مجتمع نحو اربعة الحماسها من ضرائب اكثرها الدخل تعريباً يذهب في وفاء فائدة ما على هذه الدولة من الديون . ولولا ذلك لبروة الدولة العباسية كلها . وليست انكلترا وحدها غارقة في الديون فأن معظم ثروة الدولة العباسية كلها . وليست انكلترا وحدها غارقة في الديون فأن معظم دول العالم في آخر دول العالم في آخر القرن التاسع عشر بقطع النظر عن كسور المليون وقد رتبناها في الجدول الآتي القرن التاسع عشر بقطع النظر عن كسور المليون وقد رتبناها في الجدول الآتي القرن التاسع عشر بقطع النظر عن كسور المليون وقد رتبناها في الجدول الآتي

ديون اشهر دول العالم <sup>(۱)</sup>			
	جنيه	_	جئيه
(مجموعما قبله)	٧٧٠١ ٠٠٠	فرنسا	١ ٢٥٠ ٠٠٠
المانيا	<b>\</b>	انكلترا	<b>y</b>
هولندا	9h	روسيا	Y
الصين	οξ •••	الولايات المتحدة	Y · · · · · · · · · · · · · · · · · · ·
اليابان	٤٨٠٠٠٠	الدولة العانية	١٧٨ ٠٠٠٠
ابطاليا	44	النمسا	\ <b>Y</b> ·····
اسبانيا	١٧ ٠٠٠ ٠٠٠	مصر	٠٠٣٠٠٠٠٠
(1/1)	w.w	(المجموع)	Y Y • 1 • • • • • • • • • • • • • • • •

وقد تراكمت هذه الديون على الله الدول بتوالي الاجيال بما احتاجت اليه من النفقة في الحروب أو في انشاء المشروعات السكبرى أو نحو ذلك مما لم نكر الدولة الساسية في غنى عنه ولسكنها كانت في أيام زهوها تنفق بما تذخره من فضلات الجياية كما تعدم . فاما قلت الجياية وكثرت اسباب النفعة في طور الانحطاط ولم يبق في بيت ما لها ما تنفعه في الحروب عمدت الى استخراج الاموال من أهل النروة وخصوصاً من كبار موظفيها كالوزراء والعمال والكتاب الذين أعا الروا من ما لها ختلاس ونحوه وسموا ذلك مصادرة كما سياتي

على ان الدولة العباسية كانت في بعض الاحوال تستلف من بعض التجار أموالاً في معابل أوراق لم يحل اجلها واكثر ماكانوا يفطون ذلك مع اليهود وهم اقدر الناس على المرابلة كما لا يخفى ــ وبلغ مقدار الربا الذي كانوا يأخذونه على تلك السلفيات نحو ۲۰ في المئة فغد كان على بن عيسى وزير المفتدر في اوائل القرن الرابع الهجرة اذا احتاج الى المال وليس له وجه استلف من التجار على سفاتج وردت من الاطراف ولم تحل بعد . وكان مقدار ما يدفعه عليها من الربا دائق ونصف على كل دينار في الشهر فاذا استدان عشرة آلاف دينار بلغ رباها في بغداد الشهر من كان يتعامل معهم من صيارف اليهود في بغداد

رجل كان يعرف يبوسف بن فنحاس وهو من نجار الاهواز أيضاً وآخر اسمه هروز أبن عمران أو من قام مفامهما مدة ست عشرة سنة (١١) -- غير ان ذلك لا يمد من قبيل الدبن الاهلي الشائع في هذه الايام

#### (٣) اقتصاد الخلفاء الأولين وتدبيرهم

من الامور المعررة في التاريخ السياسي ان مؤسسي الدول ومن يتلوهم من الامراء الاولين ينلب فيهم الاقتصاد والتدبير ولولا ذلك لم يتأت لهم انشاء الدول أو تثبيت دعاً عما ويسبر فلاسفة التاريخ عن ذلك بصبوة الدولة . والصبوة تدعو الى النمو والاذخار . فاذا بلنت الدولة شبابها وتم نموها عادت ما كصة على عقبها كما يتمهم المرء الى الكولة فالشيخوخة فالدولة الساسية نشأت في حجر السفاح طفلة فتناولها المتصور صبية فغذاها وأعاها حتى أدركت شبابها في أيام الرشيد والما مون ثم تفهقرت الى الكولة فالشيخوخة فالهرم في أيام الحلفاء التابين

وفي السفاح وقد ملك أربع سنوات ولم يخلف سوى بعض الثياب <sup>(٢)</sup> ولو كان طماعاً لجمع مالاً كثيراً لكذرة ما وقع له من غنائم بني أمية فضلاً عن الجيايات وغيرها

وخلفه المتصور فتولاهابضاً وعشر بن سنة أذخر في أثنائها نحو ٨٩٠٠٠٠٠ درهم كما تغدم. وكان لفرط حرصه متهماً بالبخل ولم يمن مخيلاً ولكنه كان لا يضع الحكرم في غير موضعه \_ لم يكن بيذل المال الا اذا رأى في بذله منفعة في تأييد دولته. وفضل المنصور في تأييد الدولة العباسية بالحزم والشدة والعدل مثل فضل عمر بن الخطاب في تأييد الاسلام \_ يكفيك من دلائل اقتصاده و تدبيره وحسن نظره ما أوصى به ابنه المهدي عند وفاته . من ذلك قوله « قد جمعت لك من الاموال ما أن كسر عليك الحراج عشر سنين كفاك لارزاق الجند والنفقات والنرية ومصلحة البعوث . وايك ان تدخل النساه في أمرك واياك والأثرة والتبذير لأموال الرعية واشحن النفور واضبط الالحراف وأمن السبل العامة وادخل المرافق عليم وادفع المسكاره عهم واعد الاموال واخزيها فإن النوائب غير مأمونة وهي من شيم الزمان

<sup>(</sup>۲) Ein. Abb. 63 (۱)

التمدن الأسلامي ج ٢ (١٣) الطبعة الثالثة

واعد الكراع والرجال والجند ما استطعت واياك وتأخير عمل اليوم الى الند فيتدارك عليك الامور وتضيع . . . . واعد رجالاً في الليل لمرفة ما يكون في المهار ورجالاً في المهار لمرفة ما يكون في الليل وباشر الامور بنفسك ولا تضجر ولا تكسل واستعمل حسن الظن وأسىء الظن بعمالك وكتابك وخذ نفسك بالتيقظ » (١)

قضى المنصور مدة خلافته ولم ير في داره لهو ولا شيء يشبه اللهو أو اللعب أو العبث الا ممة وكمان في مجلسه فسمع جلبة فأمر حماداً التركي وكمان واقفاً على رأسه ان يبحث عن سبب ذلك . فضى فرأى خادماً من خدم المنصور قد جلس وحوله الحبواريوهو يضرب لهن بالطنبور وهن يضحكن فعاد حماد وأخبر المنصور فعال « وأي شيء هو الطنبور » فوصفه له فعال « وما يدريك أنت ما الطنبور » ففال « رأيته بخراسان » فقام المنصور ومشى الى الجواري فلما رأينه تفرفن خوفاً منه فأمر بالخادم فضرب رأسه بالطنبور حتى تكسر الطنبور وأخرج الخادم فباعه وكمان المنصور نخيلاً على نفسه باللباس فيرتدي بجبة هروية ويرقع قميصه واذا استجداه أحد نخل الا اذا رأى الجود لازماً . فرعا سأله أحدهم درهماً فلا يعطيه ويعطى الاخر الفاً بلا سؤال . من أمثلة ذلك ان أحد معارفه العدماء لقيه بعد الحَلافةُ وكان فعيراً فمأله المنصور « ما عيالك » قال « ثلاث بنات والمرأَّة خادم لهن » فقال له « أنت أيسر العرب . أربع مغازل يدون في بيتك »ولم يعطه شيئاً . ولما توفي عيسى ن نهيك سأل المنصور خادمه عما خلفه من المال فعال الحادم « خلف الف دينار أنفعته امرأته على مأتمه » فعال «كم خلف من البنات » . قال « سناً » فأطرق المنصور ثم أمر لسكل من البنات بثلاثين الف دينار وسمى في ترويجهن . وفرق المنصور في أهل بيته في يوم واحد ١٠٠٠٠٠٠ درهم <sup>(٢)</sup>

ولما توفي المنصور خلفه أينه المهدي وكان شبهاً بأيه من عدة وجوه ومن جلمها النظر في دقائق الامور. وفي أيامه ترتبت الدواوين وتنظمت ادارة الحكومة وتقررت الفواعد على يد وزيره معاوية بن يسار (٢) وكان يجلس للمظالم بنفسه وكان تقياً ورعاً ولكنه لم يكن في مثل ما كان عليه أبوه من الاقتصاد. وتولى بعده الهادي زمناً قصيراً ثم الرشيد وكان تدبير المملكة قداً فضى الى الوزراه من آلى رمك وقد السعت الارزاق وكثرت الاموال. وكان البرامكة أهل كرم وسخاه فزادوا

 <sup>(</sup>۱) إن الاثير ٨ ج ٦ (٧) إن الاثير ١٦٣ ج ٦ (٣) النخري ١٦٣٨

الحلقاء كرماً وكانوا مجرضونهم على ذلك منذ صغرهم كما فعل يحيى البرمكي بالرشيد وكان يسايره بوماً فغام رجل فقال « يا أمير المؤمنين عطبت دابتي » فقال الرشيد « يعطى خساتة درهم » فغمزه يحيى . فلما نزل الرجل قال الرشيد ليحيى « يا أبناه أومأت الي بيميء وقت ما أمرت بالدراهم فما هو » فقال « مثلك لا يجري هذا المقدار على لسانه أعا يذكر مثلك خسة آلاف الف وعشرة آلاف الف » قال « فاذا سئلت مثل هذا كيف أقول » فقال « تقول يشترى له دابة يقعل به فعل نظراً ه » (1)

وكان الرشيد ميالاً للجود من فطرة فنشطه ذلك حتى صار الى أبعد نما أرادوه واضطروا الى ايفافه عند حده (۲) . وأوغل الحالفاه بعد ذلك في البذخ والاسراف وهما من أسباب سعوط دولهم على ما سيجيء

وجملة العول ان أسباب الكروة العباسية كثرة الدحل وقلة النفعة . وأسباب كثرة الدخل (١) سعة المملكة (٢) اشتغال الناس بازراعة والتجارة لاطمئنان خواطرهم (٣) ثقل الحراج المضروب على الأرض (٤) صدق العمال في ارسال المال المجموع الى بغداد . وأسباب قلة النفعة (١) قلة الموظفين (٣) عدم و جود الدين (٣) اقتصاد الخلفاء الاولين

# ثروة الدولة العباسية في عصر الانحطاط

### تمهيد - في أسباب ذلك الأنحطاط

لسكل دولة أدوار شبيهة بأدوار الحياة من الطفولة الى الشيخوخة . قالدولة السبسية بلغت شبابها في أيام الرشيد و المأمون وهو العصر السبسي الزاهر . مم أخذت بعدهما في الانحدار نحو الكهولة فالشيخوخة كما بلغت الدولة الاموية في الشام شبابها في أيام عبد الملك بن مروان وابنه الوليد . والدولة الاموية بلغت ذلك الدور في أيام الحليفة الناصري وابنه الحكم . والدولة المنانية بلغت ذلك الدور في أيام الحليفة الناصري وابنه الحكم . والدولة المنانية بلغت ذلك الدور في أيام السلطان سليان . وقس عليه . وقد قسم ابن خدون أيام الدولة الى خسة أطوار (١) الظفر (٢) الاستبداد (٣) الفراغ والدعة (٤) المسالمة والقنوع (٥) الاسراف والتبذير (١) . وهو تقسيم اجمالي رعا لا ينطبق على أحوال الدول انقل التقدم الى الكتاب فنقول :

(المرب والفرس) علمت مما تقدم ان الدولة الساسية أنما قامت بنصرة الفرس وخصوصاً أهل خراسان. وهؤلاء لم ينصروها الا انتفاماً لانفسهم من بني أمية لماكان من تعصبهم للمرب واحتقارهم سائر الايم الخاضمة لهم ولو كانوا مسلمين. فالساسيون عرفوا للفرس فضلهم في ذلك ففر بوهم واستخدموهم في مصالح الدولة وانحذوا منهم الوزراء والعمال والكتاب وغيرهم. فضمف شأن العرب وصاروا ينظرون الى الدولة نظر المحاذر المراقب ولاحيلة لهم في ارجاع نفوذهم. ويلغ الفرس ارفع المنازل عند الساسيين في أيام البرامكة فزاد حقد المرب عليهم وسعوا في اسفاطهم رغم ماكان من جود البرامكة وكرم أخلاقهم — ولعلهم كانوا بيالفون

اب خلدون ۱٤٧ج۱

في السخاء دفاعاً عن مركزهم . على أنهم لم ينجوا منالحساد ممن ينتصرون للعرب فوشوا بهم والمهموهم بالطمع في الملك حتى نكبهم الرشيد . ومن أشهر وشساتهم الغضل بن الربيع وهو لم يكن عربياً ولكنه ينتسب الى المرب لاتصال نسبه بمولى عبان بن عفان <sup>(۱)</sup>

فلما نكب البرامكة ظن العرب أنهم سيرجعون الى شوكتهم وسلطلهم . ثم مات الرشيد واختلف ابنــاء الامين والمأمون على الحلافة والامين عربي الانوين لان أمه زبيدة حفيدة المنصور . فاخذ أهل بغداد بنــاصره وفيهم جنـــد العرب ( الحربية ) . وأما المأمون قامه قارسية وكان في خراسان بين أخواله وشيعته (٢) فنصره الخراسانيون كما نصروا أجداده وانتهى الحلاف يمتسل الامين وفوز المأمون فعاد النفوذ الى الفرس وعادوا الى امتهان المرب . فعظم ذلك على هؤلاء وخصوصاً لما نولى الحسن بن سهل وهو فارسي مُجوسي الاصل حــديث العهد في الاسلام فطعنوا في اسلامــه وقالوا « لا يُرضى بالحجومي ابن المجومي » وتمردوا على الحكومة ولكنهم عادوا الى السكينة قهراً (٣٠ وجاء المأموت الى بغداد واستتب الامر له ولنصرائه واشتغل هو بالعلم والفلسفة فجره ذلك الى القول بإن الفرآن مخلوق فازداد العرب كرهاً له ولكنهم لم يستطيعوا رده ( الاتراك ) فلما مات المأمون سنة ٢١٨ هـ أضت الحلافة الى أخيـــه المتصم

بالله وكانت أمه تركية الاصل من بلاد السفد في تركستان <sup>(١)</sup> فشب محباً للاتراك وكان قد اصبح لا يأتمن الفرس على فسه بعسد أن قتلوا أخاء الامين وهي أول مظاهر جرأتهم على الخلفاء . ولم يكن له من الحبمة الاخرى ثفة في حبّد العرب لما يعلمه من ضعفهم بعد ما سامهم اياء الساسيون من الاذلال . وزدأ على ذلك أن أخاه المأمون أوصاه عند دنو أجله بمحاربتهم — فلم ير له غنى عن اقتناه من ينصره غير الفرس والمرب . وكانت الفتوح الاسلامية قدُّ أُدركتُ مَا وَرَاءَ النهر وَكَانَ العمالُ هناك يبعثون الهدايا الى بلاط الحلفاء وفي جملتها صبيان الاتراك والفراعنــة فهان عليه اقتناؤهم لاتصال نسب أمه بهم . فاقتنى منهم ألوفاً اشترى بعضهم بالمال والبعض الآخر أناه على سبيل الهــدية وتكاثروا حتى بلغ عددهم نُمانية عشر الفاً (٥٠)

<sup>(</sup>١) أَنْ طَلَكُانَ ١١٣ ج ١ (٢) أَنْ الآثير ٩٣ ح ٦ (٣) أَنْ الآثير ١٢٩ ح ٦ (٣)

فضاقت بهم بغداد وضجر البنداديون من سوء تصرفهم فابننى لهم مدينة سامرًا واقامهم فيها '' وأطلق لهم الارزاق وجند منهم الجنود . ولا ريب انهم كانوا عوناً له في تأييد سلطانه والفوز في حروبه ضد اعدائه من الروم والترك ولكنهم كانوا من الجهة الاخرى سبيلاً الى تقهفر الدولة المباسية عاكان من مطامعهم في الاموال واستئثارهم بالنفوذ حتى أصبحت الدولة ويبت مالها وخلفاؤها عرضة لاغراضهم

وكان المأمون طلماً حكياً وكل بطانته وجلسائه من أهل الحكمة والعلم وكان مع ذلك رقيق الجانب يضرب اشل برقته ودعته — قال بحي بن اكثم: ماشيت المأمون يوماً من الايام في بستان مؤنسة بنت المهدي فكنت من الجانب الذي يستره مر للشمس فلما انتهى الى آخره وأراد الرجوع اردت أن ادور الى الجانب الذي يستره من الشمس فعال « لا تفعل ولكن كن بحالك حتى استرك كما سترتني » فعلت « يا امير المؤمنين لو قدرت ان اقيك حر النار لفعلت فكف الشمس » فعال « ليس هذا من كرم الصحبة » ومشى ساراً لي من الشمس كا سترته (۱)

وقال يحيى ايضاً «كنت نائماً عند المأمون فعطش فامتنع أن يصيح بغلام يسفيه وانا نائم فينغص علي نومي فرأيت وقد قام يمدي على اطراف اصابعه حتى أنى موضع المساء وبينه وبين المسكان الذي فيه السكيزان نحو من ثلثمائة خطوة فاخذ منها كوزاً فشرب ثم رجع يمدي على أطراف اصابعه حتى قرب من الفراش الذي أنا عليه فخطا خطوات خائف لئلا ينبهني حتى صار الى فراشه »

وبالنم المأمون بملاطفة حاشيته ورجال دولته حتى طمع خدمه فيه واستخفوا به . قال عبد الله بن طاهر «كنت عند المأمون يوماً فنادى بالحادم يا غلام فلم يحيه أحدثم نادى ثانياً وصاح يا غلام فدخل غلام تركي وهو يقول « ما ينبغي اللهلام ان يأكل ولا يشرب / كما خرجنا من عندك تصبح ياغلام ياغلام الى كم ياغلام ( > فتكس المأمون وأسه طويلاً فما شكك أن يأمرني بضرب عنقه ثم نظر اليً فقال ذيا عبد الله أن الرجل اذا حسنت اخلاقه سامت اخلاق خدمه وإذا ساءت

<sup>(</sup>۱) اليعقوبي (كتاب البلدان) ۳۲ (۲) العقد الفريد۲۰۹ج ۱

أخلافه حسنت أخلاق خدمه وانا لا نستطيع أن نسيء أخلافنا لتتحسن اخلاق خدمنا » (١)

الله كانت مناقب المأمون من اللطف والدعة والحلم مع العلم والادب والفضل وسعة الصدر . خلفه المتصم وكان عارياً من العلم يقرأ قراءة ضعيفة (٢) غضوباً شديد النقمة (٢) منصرف الحمة الى ركوب الحيل واللهب بالصوالجة (٤) وساعده على ذلك قوة بدنه فقد كان يحمل الف رطل و يمشي بها خطوات (٥) فرأى رجال الدولة فرقاً بعيداً بينه وبين أخيه فلم مخلصوا له فازداد هو رغبة في أثرا كه و فراغنته . وكان مع ذلك على رأي اخيه المأمون من قبيل العول بخلق العرآن فاستخدم الهنف والشدة في تأميده حتى أنه أحضر احمد بن حنبل الامام الشهير وسأله عن رأيه في العرآن فلم يجب الحالهول مجله فامر به فجد جداً عظاماً حتى غاب عقله وقطع جده وحبس مفيداً (١) فزاد نفور عامة المسلمين منه وخصوصاً المرب وهو لا يمكن بذلك وأعماكان معتمده على جنده الاتراك وم حديثو العهد المرب وهو لا يمكن بذلك وأعماكان معتمده على جنده الاتراك وم حديثو العهد المواب وفي المحدن الاسلامي لايم جاؤوا من بلاد كانت لا تزال في عهد الجاهلية وكانوا حجر عثرة في طريق ذلك التمدن فقسدت النيات واضطربت الاحوال وابتدأت الدولة بالتفهفر من ذلك التمدن فقسدت النيات واضطربت

(المال) وكانت غاية المسلمين في عهد الخلفاء الراشدين تأييد الاسلام ونشره ورفع سأن العرب. فلما طلب الاموبون الحلافة احتاجوا الى المال في نقيه في تأييد قواعد الدين ولكنهم ظلوا على تعصبهم للعرب وزادوا عليه احتمارهم سائر الامم. فكان مطمح انظارهم العرب والملك » فلما تولى العباسيون أهملوا أمر العرب واستبدلوه بنصرة الاسلام على الاطلاق وانسر فوا في أيام زهوهم الى الاستغال الدلم والفلسفة والتجارة وغيرها من عوامل التمدن واستمانوا على ذلك بالفرس وكانوا عريفين في المدنية قبل الفتح الاسلامي وفيهم استعداد فطري للتمدن فضلاً عن ان تأييد الدولة العباسية بعود بالعمران على بلادهم لان مركز الخلافة فيها. فاخلصوا الخدمة فمسرت البلاد ونضجت الثرة و ددفقت يناييها ففاضت الاموال في خزائن الخلفاء ورجال

 <sup>(</sup>۱) المشطرف ۹٫۹ ج.۱ (۲) انفرمانی ۱۵۵ (۳) ابو الفداه ۲۷ ج ۲
 (۱) ابن الاثیر ۲۱۳ ج ۲ (۵) المخري ۲۰۹ (۲) ابن الاثیر ۱۸۱ ج ۳

مولتهم فاسرفوا وبذخوا وانحسوا في الرخاه والرغد والترف حتى بلغوا قمة المجد في أيام الرشيد والما مون . فلما كانت أيام المتصم واستكثر من المماليك الاتراك كا تقدم واستخدمهم في مصالح الدولة انحصرت غاية رجال الدولة في اختزان الاموال لانفسهم ولو آل ذلك الى خراب البلاد لانها ليست بلادهم ولا أهلها اهلهم . وأعا كان همهم حشد الاموال وحملها الى بلادهم (١١ وضعف الحلقاء عن رد شكيمتهم فطمع فيهم العمال والوزراء واستبدوا وصاروا بتسابهون الى الاستئثار بالاموال فتحولت ثروة الدولة الساسية من الحليفة وبيت المال الى الوزراء والعمال والكتاب والقواد ونحوهم . فاضطر الحلفاء في اصلاح شؤونهم واستبقاء سلطانهم الى الجند والجند يتطلبون الاموال والاموال عند الوزراء والعمال والكتاب فعمد الحلفاء الى مصادرة هؤلاء أي اخذ اءوالهم بالهوة . والمصادرة نحتاج الى رجال وهم لا يعملون عملاً الا بلمال

قاصبح المال محور العوة لحفظ كيان الدولة وعليه معول الحلفاء في تثبيت بيعتهم ومحاربة أعدائهم والدفاع عن حياتهم حتى في داخل قصورهم. واعت الحمية الفرشية التي قضت على عيسى بن مصعب بن الزبر أن يخالف اباه مصعباً في أثناء محاربته عبد الملك بن مروان سنة ٧١ ه ويسم نفسه للمتلحباء من قريش — وكارت مصعب قد يئس من البعاء وهو يدافع عن حق أخيه عبد الله في الحلافة فجاه محمد ابن مروان فبذل له الامان اذا سا فابي ولكنه حرض ابنه عيسى على التسليم لحفظ حياته فاجابه الغلام « لاتحدث نساء قريش أنيخذلتك ورغبت بنفسي عنك » فقال له مصعب « اذهب أنت ومن معك الى عمك في مكم فاخيره بما صنع أهل العراق ودعني قاني معتول » فعال الفلام « لا اخبر عنك قريشاً ابداً ولكن يا أبتي ألحق بالبصرة فلهم على الطاعة أو ألحق بأمير المؤمنين » فعال مصعب « لا تحدث قريش بالبصرة فلهم على الطاعة أو ألحق بأمير المؤمنين » فعال مصعب « لا تحدث قريش بالمي فررت » ثم قال لابنه « تعدم اني احتسبك» فتعدم وقاتلوا حتى قتلوا جيماً (٢) المباسية في ابان عمر انها على عهد الرشيد والماسر واليسر . فلما كانت الدولة المباسية في ابان عمر انها على عهد الرشيد والمأمون كانت الثروة على معظمها فيها المباسية في ابان عمر انها على عهد الرشيد والماسية في البان عمر انها على عهد الرشيد والمأمون كانت الثروة على معظمها فيها المباسية في البان عمر انها على عهد الرشيد والماسية في البان عمر انه المورد المهاسية في الماسية في المهاسية وقاتلوا حية في المهاسية في ا

ثم أُخَـــدْت بالتقهقر بغتة من أيام المنتصم — ويتضع ذلك جلياً من مقابلة مجاميع

### القوائم الثلاث المتقدم ذكرها وأقدمها اكثرها وهي :

١ قَانَّةَ ابن خلدون من سنة ٢٠٤ الى ٢١٠ هـ ارتفاعها٠٠٠ ١٥٥ ٣٩٦ درهم

۲ « قدامة حوالي « ۲۰۰۰ « ۲۰۰۰ ۲۲۸۸ «

۱ « این خرداذبه « « ۲۰۰ « ۲۹۹ ۲۵۲ ۳۶۰ «

فترى أن ارتفاع الدولة كان في أول الفرن الثالث نحو ٤٠٠ مليون درهم ما عدا الاموال والعلات . ثم صار في الربع الاول من القرن المذكور ٣٨٨ مليون بدون غلات ثم صار في أواسط ذلك العرن أقل من ٣٠٠ مليون . فاعتبر هذا التدريج في النمص الى اواخر ايام الدولة . على أتسا لا نستطيع اثبات ذلك صرمحاً في كل المصور لقلة المصادر التي بانمت الينا في هذا الشأرف الم لعدم عناية الحكومة في تعدوين الميزانيات المضبوطة أو لضياعها في اثناء الفتن الاهلية وغيرها

## مقدار الجباية في عصر الأنحطاط

واذا نظرنا في ما كان مجتمع بيبت المال من بقايا الحيساية على توالي الاعوام رأيناه لا يقاس بماكان يبقى فيه على عهد الحلقاء الاولين. على أمم كانوا اذا توفق لهم خليفة حكم يقتصد فيجمع شيئاً خلقه من يسرف فيضيه. ومن أمنالهم المأثورة ان ما جمعه السفاح والمنصور والمهدي والهادي والرشيد انفعه الامين (سنة ١٩٧٣ ـ ١٩٧٩) وما جمعه المتصر والمستمين والمتر والمهتدي والمستمد والمعتضد والمعتشد والمعتشد والمعتشد والمعتشد والمعتشد والمعتشد والمعتشد والمعتشد والمعتشد المعتشد والمعتشد المعتشد والمعتشد والمع

اما مُقدار الحباية في العام فلم تتوفق الى تفصيل لها الافي أيام المفتدر اذ اضطر وزيره علي بن عيسى لتبرئة نفسه مما لحق بيت المال من العجز أن يرفع تقريراً بما كان من مقدار الدخل والحرج لعام ٣٠٣ هـ . وكانت نسخة هذا التقرير ضائمة حتى أظهرها البارون فوق كريمر ونشرها في كتابسهاه حباية الدولة العباسية (١٠) لسنة ٣٠٩ وصدره بمقدمة المانيسة ذكر فيها كيفية عثوره على تلك النسخة وما

Einnahmebudget des Abbasiden Reiches (1)

#### جباية الدولة الداسية اسنة ٣٠٦ھ

وهي قائمة علي بن عيسى وؤير المفتدر —كما قرأها فون كريمر

#### ٢ --- جباية السواد

حرف عن السواد والاعمال المموزة والبلاد المذكورة

دينار ( اموال السواد وطساسيجه وصدقات اراضي المغرب بالبصرة ١٥٤٧ ٧٣٤ ( والمراكب بها وسائر ما ينسب اليها ويجري معها شعصيلها )

باذوريا وكلواذي وسر بين١٦٣ ٢٨٣ درهم

۱۹۸ ۳۱۳ الانبار وقطربل وسد

٧٦ ه ٧٧ بهرسير والرومقان واينار يقطين وجازر والمدينة العنيقة

۲۵۰۰۰ کوئی و مر درقبط

۹ ۵۲۹ الزاب الاعلى وبهر كشتلسب

١٦٧٢٦ الفلوجة المليا والارحاء

١٣٥٨٥ الفلوجة السفلي والنهرين وعين التمر

۱٤٠ ۲٥٩ السيب الاعلى وسورا وبابل وخطرنية وباروسها الاعلى همر الملك ومورجا وبهر جوير والاساسان والمالكيات

٢٣٣٣ع ماروسها الاسفل

١١٠ ١٥٤ طساسحة الكوفة والخزن

٥٠ ٢١٩ العمارات يسر من رأى

٢٠٥٩٠ مهر يوق والدير الأسفل

۲٤ ٣٠٠ برر جسابور

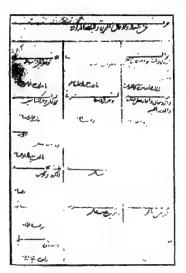
۳۰ ۰۳۰ الراذابان

۱۳۶۹۹ روستقباد

٤٧ ٤٨٠ النيروان الاعلى وسمنطاي

(الجموع) ٨٥٩ (١٧٥

عاماً في قراءتها لانها مكتوبة مخط عربي غير مألوف كما ترى في الشكل . وأبدى ملاحظاته على الله القائمة مما يطول شرحه فنكتني بذكرها كما قرأها هو والقائمة المذكورة عبارة عن أربعة أقسام : الاولى في جباية السواد وملحقاته . والثاني في جباية المشرق أي البلاد الواقعة شرقي السواد . والثالث حباية المغرب أي البلاد الواقعة شرقي السواد . والثالث حباية المغرب أي البلاد الواقعة غربي السواد . والرابع جباية الاموال الخاصة والموقوفة



صورة الصفحة الاولى من قائمة حباية الدولة المباسية لسنة ٣٠٦ ه التي قرأها البارون فون كريمر ( انظر تفصيل قراءتها في ما يلي )

```
(مجموع ما قبله )
                                                           109 140
                                        الهروان الاوسط
                                                            2. TYY
                                         ٣٠ ه ٣٠ النير وان الاسقل
                                          ١٥٩ ٠٨٩ الصلح والمنازل
                                          بإدرايا وباكسانا
                                                            EY ERR
واسط مع الخاصة والمستحدثة والعباسية بعد النفقات الراتمة
                                                            41. 74.
                                       البصرة وكور دحلة
                                                            171 .90
                                         المراك بالنصرة
                                                            44 940
أموال الضافات وما يؤديعن فصول الانهاريماينسبالي فردات
                                                          27 YO .
                                             ۸۰ ۲۵۰ العيارة بهيت
أسواق الغنم عدينة السلام وسرمن رأى وواسط والبصرة والكوفة
                                                          17 970
دو والضرب عدينة السلام ومير من رأى وواسط والبصرة والسكوقة
                                                           7.44.
                                     الجوالي عدينة السلام
                                                            17 ...
ما يؤدي الى الحضرة عن مال الارتفاقات والشجر والمقاطعات
                                                             34X 71
                                    ١٨٤٣١٨١ (الجموع)(١)
                           ٣ - جالة المشرق
١ ٢٦٠ ٩٢٢ كور الاهواز ضماناً على ابراهيم بن عبد الله المسسبع وغيره
﴿ أَمُوالُـفَارِسُ مِعُ مَا يُسُوعُهُ مُونَسُ الْخَادِمُ مِعْمَاقِيَّا يُدِي أَصِحَابُ
﴿ الْأَطْرِافُ ثَمَا أُورِدَ نَفْلًا ﴿ هَيْهَ ﴾ فقط
                                                         1 745 04.
      ٠٤٠ ٢٥٨ ضاع الامراء مهذه النواحي مع مال المراكب بسيراف
/ كرمان مع ضياع الامراء سوى مال العهد والورح وقرى
                                                           ٠٨٢ ١٢٣
﴿ المُفَازِةِ وِمَا يِسُوعُهُمُو نُسُ الْخَادِمِ عَنِ مَالَ الْخُزِنُ وَالْحَهِيْدُةُ (الصِّيرِفَةُ)
      مقاطعة عمان سوى اللطف (هدايا)المحمول الىالحضر
                                             ٧٦٢ ٨٩٧ ( الجموع)
```

<sup>(</sup>١) ثرى فرقاً بين هذا الجيوع والجيل المذكور في أول القائمة لمل سببه خطأ فيقراءة الاعداد في الاصل وسنعتبد على الجيل الاول

```
۳٥٩٧ ٨٦٢ (مجموع ما قبله)
ارتفاع الخراج والضياع العامة بالمشرق علىالعقد
      والارتفاء بالامانة والضانة ٥٢٥ ٥٧٥ ١
(الخراجوالاعشاروالاخماس بالري والدماوند مع
أما فيهتما استخرجه ابن داودان واحمد بنعلي
                                 ١٢٢ ٦٤٤ الضياع بها
          قزوين وزنجان وابهر
                                    ١١٥٧١٠ الخراج
                               ۰۸۲۹۰ الضياع
قم
۱۹۷۲۲۹ الحراج
                          ۱۰۰ ۲۲۹ الضياع ما الضياع الصفهان
(الحراج على العقد المجددة مع خراج الاكراد
(وما يفل من الايقار وضياع السلطان
            ماه البصرة والايغارين
                                    ١٨٥ ٦٣٦ الخراج
                        ۰۵۷۸۹ الضیاع ماسبذان
ماسبذان
۷۶۲ ۷۰ الحراج
                    ساوة ودار الضرب سا
                                                17770
                                                 ١٠٠ ٨٨٨ ٥ (الجموع)
```

```
١٠٠ ٨٨٨ ٥ ( مجموع ما قبله )
( ماه الكوفة بالخراج سوى الضياع الراسية
                                          1.0 111
                والمستحدثة والطمم
                            ۸۹ ۵۰۰ الضياع بها
              ٣٠٠١٥ حلوان عن الخراج والضياع
                                                      440 144
٢٢٦ ٣٧٠ ﴿ آذر يجان وأرمينية على المعارفة التي فورق عليها سبيل السعر
                                           ١ ٤٣٩ ٣ ( المجموع )
                         ٣ -- جيانة المغرب
حرف الضياع والخراج العامة بالمغرب واجناده بعد الاحتسابات
التي وضمها العالمن أصولالارتفاع كما هو جار في العادات وسوى
مقاطعة وُعُن أَجناس الفنام معما فورق أهل ( جزيرة قبرس )
       على ادائه في كل سنة والاعمال المذكورة والاموال المهاة
                                مکون
                        ما شملق بالمغرب واجناده
                          £ YET ERY
             مصر والاسكندرية بعد الاحتسابات القدعة
                                                  44. 1
أ وسوى مصادرة الماذرائيين ومال المرافق والتجارة الواردة
                                       أ واثمان الغنائم
                            جند فلسطين بعد الاحتسابات
                                                 مال
                                                       A . Vo .
                                                       74. 15V
                            جند الاردن بعد الاحتسابات
                                                 Jh & . 27.
```

١ ٧٢٢ ٦٣٠ (الجموع)

```
١ ٧٢٢ ٦٣٠ (مجموع ما قبله )
```

YF. Y.1

جند دمشق بعد الاحتسابات

١١٣٠٥٨ مال

4104..

جند حمص بعد الاحتسابات

۲۰۰ ٤٦٠

110118

جند فنسرين والمواصم بعد الاحتسابات

٧٩٠ ١٣٣ مال

TOY OY .

۱۵ ۷۹۵ دلوك ورعبان

٥٨٥ ٥٠ الثغور الشامية سوى صلح (اي ماصولح عليه) احمد بن الحسين الكاتب
 ٥٣٩٧ ٥ شمشاط وحصن منصور وكيسوم بعد الموضوع (اي بعد الذي

۳۹۷ ه شمشاط وحصن منصور و وضع منه ای اسقط )

مال

70 777

سميساط وملطية بعد الاحتسابات

۱٤٥٠١ مال

۰۲۱ ځ۳

آمد سوى ما جمع في اقطاع وكاسه وبعد الاحتسابات

۸۷۶ ٥ مال

**XY £YY** 

ارزان وميافارقين بعد الاحتسابات

۵۲ ۲۵۰ مال

YY3 YA

٣٤٦٨ ٤٦٢ (الجموع)

```
٣٤٧٨ (مجوع ما قبله )
                                         ديار مغير
                                                     YOY YYO
                            ديار ربيعة بعد الاحتسابات
                                              مال
                                                     YY YAY
                                                     4.8.94
الموصل ومردين وبهذرا والرسانيق الجباية بعد الاحتسابات
                                              مال
                                                     17 Yo .
                                                     £97 24.
                                      ٩٦ ٥٨٤ طريق الفرات
                                    ( الجموع ) (١٥ ١٤١ ( الجموع )

 حابة الأموال الخاصة

                مكون اموال الاعمال المسهاة واموال الحاصة
                     والاموال الموقوفة وغير ذاك
٣٨٠٠٣٦ الضياع المستحدثة بمدالذي جرى في ضمان و اسطاسو تمال الحاصة
﴿ اموال الخاصة سوى ما كان منها بنواحي واسط فاله اضيف الى
                                                    017 884
         ﴿ اموال العامة وخاطها ودخل في حمولها ونفقاتها
١٨٥ ٤١١ الدير (املات الشواطيء أي الاملاك على السواحل)
                   ١١٦ ١٢٠ الاهوار (المتنقعات)
                                 ٢٢٢ ٢٧ المشرق
                                ١٠٤٠٠٠ المفرب
                       هيت واعمالها سوى ضياع السكر
             ٨٢٤٠ المبر أ ٨٤٥٠ المترب
            ٧٣٢٥ الأهوار ٢٠٠٠ المشرق
                                          ٧٦١ ٢٦١ (الجموع)
   (١) ترى فرقاً بين هذا المجموع والمجموع المذكور في اعلاه وسنعتمد على ذاك
```

```
٨٧٤ ٢٩١ (مجموع ما قبله )
         ١٤٤٧٦٠ مال الضياع العباسية سوى ما هو بنواحي واسط
                              ١٤٧٣٢ المير
                            ٢٤٢ الأهوار
                           ٣٠ ٦٧٢ الشرق
                           ٧٥ ١١٦ المقرب
         مال الموقوف للساجد سوى ماكان منها بواسط
                                                 $ 0Y.
                            ٢٢٨٦٩ الثرق
                            ١٢٧٩٠ المغرب
                            ٦١٧ ١٣٦ مال الضياع الفراتية
                              ١٧٠ ٣٢٦ السر
                            ١٢٩ ٧٢٤ الأهوار
                            ۲۳۳۳ کارس
                            ٩٥ ٢٧٨ - المشرق
                            ١١٤ ٢٢٥ المغرب
                ١٠٠٣١٨ مال الضياع المفردة في سنة ثلث وثلثماثة
مال الخزن والجهيدة سوى مامجمعه العمال مع اصول الاموال وسوى
                                               Y1 4A+
ماسوغهمونس الخادممنها بفارس وسوى مادخل منهافي ضمان واسط
                                 ١٧٤٨٠١٥ (الجموع)
                               الخلاصة
                ١ ٥٤٧ ٧٣٤ جباية السواد
                ٦ ٤٣٩ ٦٦٣ « الشرق
               * Y٤٦ ٤٩٢ « المغرب
          « الأموال الخاصة
                         1 774 - 10
                      ۱٤٥٠١٩٠٤ دنانبر
 الطمة الثالثة
                          (10)
                                التمدن الاسلامي ج ۲
```

نسبة هذه الحيامة الى ما كانت عليه في العصر العباسي الاول فجموع هذه الحيامة أ كثر من ١٤ مليوناً ونصف مليون من الدفانير واذا تحولت الى دراهم بلغت تحو حباية العصر العباسي الأول . غير ان الحال في هذه

الجبابة غير ماكانتُ عليه في ذلك العصر . لان هذا المجموع لم يف بالنفقات اللازمة للدولة . وكانت النففات قد تضاعفت لأ سباب سيأتي بيلها . من أدلة ذلك ما جاء في عنوان السير عن نفقات الدولة على عهد على بن عيسى وقد ذكرها المؤلف المذكور بنوع خاص غير النففات الاتيادة وهي :

دينار

🛊 ۳۱۵ ۲۲۹ نفعات الحرمين وطريقهما

۴۹۱ \$07 « الثغور

٥٦٥ ٥٦ رواتب الفضاة في المالك

٣٤ ٤٣٩ ﴿ رُواتِ وَلَاهُ الْحُسِبَةُ وَالْمُظَالَمُ فِي حَمِيعُ الْبِلَادُ

٧٩ ٤٠٢ ﴿ أُصحاب البريد

414 A14

وكل هسذه الابواب لم يكن لها ذكر في قائمة المنتضد -- ناهيك بزيادة الجند وغيره من أسباب النفقة مجيث زاد الحراج على الدخل في أيام على المذكور ٢٠٨٨.٩٤ ديناراً (١)

وقس علىذلك أحوال بيت المال قبل المعتدر وبعده بما نختلف باختلاف الحلفاء والوزراء وسائر الاحوال. ولكن يفال بالاجمال ان الثروة تقهقرت بعد المأمون بقهر الدولة وانحطت بانحطاطها. والثروة كما قدمنا ما يقيض من الدخل على الخرج ولذلك قلما كان يبقى في بيت المال بعية الافي أحوال خصوصية وبمبالغ صغيرة فالمتصم ترك في بيت ماله ٢٠٠٠ ٨ درهم (٢) والمستمين (سنة ٢٥١) خلف في بيت المال ٢٠٠٠ منار (٢) والمكتني (سنة ٢٩٥ هـ) خلف ١٥٠٠٠٠٠ بنار (أنه والظاهر أنها اجتمعت بتوالي الحلقاء فلما تولى المقتدر أنفقها كلها وأنفق ما جمه

<sup>(</sup>۱) عنوان السير نقله كريمر في كتاب (۱)

<sup>(</sup>٢) النخري ٢٠٩ (٣) الطبري ١٥٤٥ ج

في أيامه من أموال المصادرة فضلاً عن الحراج (١) حتى قدروا ما أفقة ضياعاً وتبذيراً بنيف و ٧٠٠٠٠٠ دينار (٢) ما عدا فقات الدولة واضطر مع ذلك لاسترضاه الحبند والفلمان للخلافة ان يبيع ضياعه وفرشه وآنية الذهب (٣). وبلغ من فعر بيت المال في أيام المطيع لله سنة ٣٦١ هانه باع ثيابه وأنقاض داره ليدفع من فعر بيت المال في أيام المطيع لله سنة ٣٦١ انفتنة بينداد (١). وكانت أحوال الحلفاء قد تغيرت في أيام الراضي بالله سنة ٣٢٢ وخرجت قيادة الامور من أبديهم ولم يبق لهم غير الحطبة والسكة (١)

أ ولانحطاط الثروة المباسية أسباب نوضح كثيراً بما جاء في جريدة علي بن عيسى من أساء بعض الضرائب غير المألوفة

<sup>(</sup>١) ابن الاثير ٤ ج ٨

 <sup>(</sup>۲) أبن الاثير ٩٠ ج ٨ (٣) صلة تاريخ الطبري ١٤٤

 <sup>(</sup>٤) ابن الانبر ٢٤٤ج ٨ (٥) المحري ٢٥٢ وابن الانبر ٢٤٢ ج ٨

# اسباب أعطاط الثروة العباسية

## في العصر العباسي الثاني

قلنا في مجتنا عن النروة العباسية في المصر العباسي الاول وعلة كثرتها أن أسباب تلك الثوة كثرتها أن أسباب تلك الثوة كترة الجياة وقلة النفقة وفصلنا ذلك تفصيلاً . فأسباب قل أسباب تكون قلة الحبابة وكثرة النفقة ولسكل من هذين البايين فروع لسكل منها أسباب هلك تفصيلها :

## أسباب قلة الجباية

## (١) ضيق المملكة العباسية

بلغت المملكة الساسية أكبر سعها في أيام الرشيد والمأمون ثم أخذت بعض الولايات تنفصل عها لاسباب يطول شرحها . وأولها استفل من الولايات العباسية افريفية بدأت بالاستملال في أيام الرشيد كما تقدم . ثم خراسان في أيام المأمون ثم مصر فيأيام المستمد في أواسط الفرنالثالث الهجرة ثمقارس وما وراه الهر وغيرها . ولم يمض الربع الاول من العرن الرابع حتى انفسمت تلك المملكة الولسمة الى بضمة عشر قسماً كل مها في حوزة دولة من دول المسلمين (١) . على إن معلم هذه الدول كانت تعد الخليفة العباسي رئيسها الديني وتؤدي اليه الاموال بعضها باسم المدين والبعض الآخر باسم المساحة والآخر باسم الحدية أوغير ذلك . وكاناً كثرهم لا يؤدي ما عليه الامرة كل بضمة أعوام . وطبيعي ان تشتت المملكة على هذه الصورة بقلل مقدار الحابة

<sup>(</sup>١) راجع الجزء الاول صنعة ٨٤ ( طبعة نابة )

### (٢) نخفيض الحراج الضروب

ذكرنا من أسبابزيادة الثروة العباسية في أيام زهوها ممل الضرائب وخصوصاً في العراق اذكانت مفاسعة على النصف الى أيام المأمون . فأدرك هسدًا الحليفة العالمة في العراق الحراج ورأى الثروة فائضة في بيت ماله والاموال متوفرة فعمد الى النخفيف عن الناس فجعل خراج العراق خسين (١١) أي أنه أنصمه عشرين في الما المنطق عظم وقد ظهر فرق ذلك في ارتفاع جباية العراق حالاً اذكان في في قائمة قدامة ١٩٥٠ ٢٥٠ درهماً فصار في قائمة ابن خرداذه ٢٨٣١٩٣٠ درهماً فعار في النافي باعتبار المحسين المشار المحسين المحسين التالي واعتبار المحسين التالي باعتبار المحسين التعبار المحسين الشاري باعتبار المحسين المحسين التعبار المحسين المحسين التعبار المحسين المح

واقتدى بالمأمون في تخفيض الضرائب من جاء مده من الحلفاء فأبطل الواثق سنة ٢٣٧ هـ أعشار السفن (٢) وقد رأيت أنها ضريبة ذات بالكان يرد منها الىبيت المال شيء كشير. وافتدى بالواثق خالفه المتوكل فأرفق بأهل الخراج بتأخير ميقات اقتضائه شهرين . وسبب ذلك ان الفرس قبل الاسلام كانوا يبدأون بجباية الحراح في النوروز وهو يفع عندهم في الحامس من حزيران ( يونيو ) وكانوا يكبسون في كل مانَّة وعشرين سنة شهراً محيث يرجع النوروز الى الحامس منحزيران. فاذا مضت ١٢٠ سنة أسفطوا شهراً فيجعلون الخاس من حزيران الحامس من ايار ( مايو ) ولا يعيدون النوروز أو يطالبون بالحراج الا بعد شهر أيحتى بأني الخامس من حزيران . فلما فتح المسلمون العراق وفارس ظل الحساب في حبامة الحراج على ما كان عليه قبل الاسلام حتى تمت المائة والعشرون وكان ذلك في ولامة خالد الفسري على المراق فأراد الفرس أن يسفطوا شهراً على جاري عادنهم فهاهم خالد وقال « هذا من النسىء الذي نهى الله عنه » واسنشار الحليفة هشام بن عبد الملك في ذلك فوافغه على ابطال الكبس. فعال الحساب الحاري متقدماً شهراً عن الحساب الحفيق الذي تنضح فيه العلات وظل الفرس يحاولون العود الى الكبس نلم يم لهم . ولما كانتخلافة الرشيد طلبوا الى يحيي بنخالد ان يتوسط لدى الحليفة بهُــأن ذلك فأراد يحيى ان بحيب طابتهم فتقوَّل أعداؤه في ميله الى الزرداشتية فعدل عن عزمه . وما زال ذلك الفرق يتعاظم بتوالي الاعوام حتى صــار في أيام

<sup>(</sup>١) الفخري ١٩٨ وان الامير ١٤٧ ج ٦ والعاجزي ١٠٣٩ ج ٣

<sup>(</sup>۲) الطبري ۱۳۲۳ ج ۳

المتوكل يفع في نيسان ( ابريل ) والزرع أخضر . واتفق ان المتوكل مر بيستان فرأى الزرع أخضر فعال لرفيق له « ما لي أرى الدواوين تطلب الخراج والزرع لم ينضج » فقص عليه السبب فأمر ان يضاف الى تلك السنة ماكان تأخر فاذا هو شهران وبضة أيام حتى يصير النوروز في الوقت اللازم . فأصدر أمره بذلك سنة مهران وبضة ففرح الناس (١) لأه رض عمم من خراج تنك السنة نحو الحس فقال المحترى في ذلك :

أن يوم النوروز عاد الى المه د الذي كان سنه ازدشير ولكن أمر المتوكل لم ينفذ عاماً لانه قتل بعد فليل واضطربت أحوال الحلافة حتى اذا كانت أيام المعتضد بالله روجع في ذلك فاصدر أمره آخر سنة ٢٨١ هر بتأخير النوروز ستين يوماً وكان قد وافق اوائل المحرم سنة ٢٨٧ فامر أن يكون في ١٣٣ ربيع أول منها . وجعلوه موافقاً ١١ حزيران (يونيو) وان يكبس بعد ذلك في كل أربع سنين من سني الفرس يوم واحد ـ (٢) فعل ذلك ثرفيهاً المناس ووفقاً به (٢)

وكان المهتدي ( ٢٥٥ ه ) قد امر باسعاله الكسور عما بقي من الزرع على المساحة \_ وذلك أن المنصور لما جعل خراج العراق معاسمة كما تقدم ابقى بعضه على الحراج العديم بالمساحة وكان ينكسر على اصحابه شيء كل عام والحكومة تطالب به. فلما نولى المهتدي أمر باسعاط الكسور وغض النظر عن امثالها ومفدار ذلك نحو ١٢٠٠٠٠٠ درهم في السئة (١٠)

فدى من محمل ذلك أن موارد الخراج ضعفت عماكانت عليه في عصر الرشيد والمأمون وكان ذلك مساعداً على تعليل الحياية

( الجزية والزكاة ) ومن هذا العبيل ما أصاب الجزية من النقص بدخول الناس في الاسلام بتوالي الاعوام حتى انحط مفدار ما يحبى منها بمدينة السلام في أواسط القرن الثالث للهجرة الى ١٣٠٠٠٠ درهم (٥٥) وقد رأيت في قائمة على ابن عيسى الهم جبوها ١٦٠٠٠ دينار أي نحو ضني ما ذكره ابن خرداذبة ومع ذلك فاذا اعتبرنا تقديرها على اوسط قيمتها وهي ٢٤ درهماً على الشخص كان عدد

<sup>(</sup>۱) البيروني ۳۱ (۲) القريزي ۱۷۳ ج ۱ (۳) ابن الاثير ۱۷۲ ج ۷

<sup>(</sup>٤) المأوردي ٧٧ (٥) ان خردادية ١٢٥

الرجال نحو ٩٠٠٠ وباضافة ما يلحقهم من النساء والاولاد لا يزيد عددهم على ٤٠٠٠ نفس من أهل الذمة في مدينة بنداد من النصارى واليهود وهي في ابان مجدها وسكلها يزيدون على المليون. فعس على ذلك سائر المدن

ويقال نحو ذلك أيضاً في الزكاة فقد تساقصت بتوالي الاعوام حتى كادت تتلاشى واصبحت المطالبة بها تدعو الى التذمر (١) وكانت قد ابطلت في مصر حتى أعادها السلطان صلاح الدين الايوبي . وتذمر المسلمون منها وشنموا على الذي يطالب بها حتى اذا تولى المنصور قلاون سنة ٦٧٨ ه أبطل الزكاة مر مصر (٢)

#### (٣) أستشار العمال بالجباية

قد رأيت استبداد العمال في عصر بني أمية واستثنارهم بالحراج وكيف تحسنت أحوالهم في عصر العباسيين . غير ان ذلك التحسين لم يدم طويلاً فلما ضعف شأن الحلفاء عاد العمال الى ما تطمح اليه انظارهم من طلب الاستملال الحلح أو الاستئثار ولجو الضان أو المعاطمة ـ كما قاطع المأ ون بشير بن داود على السند سنة ٢٠٥ على أن يدفع له ٢٠٠٠ درهم في العام (٢) مع السند ارتفاع جبايتها الحفيق على أن يدفع له ٢٠٠٠ درهم في العام (٢) مع السند ارتفاع جبايتها الحفيق على أن يدفع له ١٠٠٠ درهم في العام (٢) وخراجها الحفيق بزيد على اربعة أضعاف هذا المبلغ . ومع ذلك فالضامنون لم يكونوا يدفعون الا فليلاً عا تمهدوا به . أطاع الحليقة عليهم في المطالبة اتخفوا الحاحه ذريعة الى الاستعلال التام فيستنجد الحليقة جنده و نصرتهم تحتاج الى المال ومن تمكن من المال ملك واستبد

<sup>(</sup>۱) ابن الاثیر ۸۲ ج ۸ (۲) المتریزی ۱۰۹ و ۱۰۸ ج ۱

 <sup>(</sup>٣) ابن الاثير ١٤٩ ج ٦
 (٤) ابن خلدون ١٥٠ ج ١

<sup>(</sup>ه) ان الاثير ١٢٦ ج

## (٤) اشتغال الناس بالعتن والظلم عن العمل

لما نشأت الفنن وانتشبت الحروب بين طوائف الجند أو بينهم وبين العال انشغل الناس عن تجارتهم وزراعتهم وتوقع العال وعلت الاسعار وتعطت الزراعة لم الفياع الأمن فعلت الجباية واحتاج العال والفواد الى الاموال فظلموا الناس في تحصيلها منهم فزاد الحراب وما من هادم العمران كالظلم فأنه يغل الابدي ويغمد الناس عن السعي فينشغل به الزارع عن زراعته والتاجر عن تجاربه والصابح عن صناعته ووبال ذلك عائد على الدولة اذ لا قوام لها الا بالرعية . والمشهور أن الظلم أخذ الملك من أخذ ملك أحد أو غصبه في عمله أو طالبه بغير حق أو فرض عليه حفاً لم يفرضه الشرع فعد ظلمه . فياة الاموال بغير حفها ظلمة والمعتدون عليه ظلمة والمنتبون لها ظلمة والمامون لحيوة الناس ظلمة وغصاب الاملاك على المموم ظلمة والمنتبون لها ظلمة والمامون لحياة

ومما زاد البلاء حسامة ان اكثر ما احتفره الخلفاء المصلحون في أوائل الدولة العباسية من البرء والآبر لري الارض وتسهيل الاستغلال انسد بالحروب . لان المحاربين كثيراً ما كانوا يضطرون الى سد الآبر لينعوا سفن الاعداء من المرور فيها (١٠) فضلاً عما يدعو اليه الهال العمال من فساد الري وضياع الزرع

# (٥) نحويل أكثر البلاد الى ضياع

يراد بالضياع عسدهم المزارع او ما يعبر عنه المصريون بالابعادية أو العزبة . ويغلب في الضياع ان تكون لاهل الدولة من الحلفاء أو أقاربهم أو عمالهم أو وزرائهم او كتابهم أو من يلوذ بهم من أهل النفوذ وقد رأيت صفحة ١٨ من حمداً الجزء ان همر بن الخطاب نهى المسلمين عن اتخاذ الزرع واقتضاء العنباع لحكة ارادها من بقائهم على أهبة الرحيل عند الاقتضاء لا يعمدهم المترف أو القصف كما نهى عن اختران المال في بيت المال . غير ان حاتين العاء . دتين لم يطل العمل بهما الا ويُها انتفلت الدولة الاسلامية من الحلافة الدينية الى الملك العضوض في أيام بني

<sup>(</sup> ١ ) أبن الاثير ١٨١ ج ٦ و ٢٢٦ ج ٨

أمية فاخترن الصحابة الاموال واتخذوا المصانع والضياع كما ييناه هناك . واقتدى بهم من جاء بعدهم من التابعين وتابعي التابعين وكان اقدمهم على ذلك الحلفاء من بني أميسة فقد اكثروا من المصانع والضياع حتى كان بعض أهلهم يغبضها اغتصاباً من أصحابها وليس مر يضفهم لتعصب بني أمية للعرب واحتقارهم سائر الانم ولاعتبارهم ما فتحوه من الأرض ملكاً حلالاً لهم هما أوادوا اخذه أخذوه وما أرادوا تركه تركوه (۱) حتى افضت الحلافة الى عمر بن عبيد العزيز فعمل على الاقتداء بعمر بن الخطاب بالرفق والاحسان مع العدل وأمر باسترجاع الضياع المنتصبة الى أهلها من النصارى أو اليهود أو المجوس فساء ذلك أهله فيجلوا به وعادت الاحوال بعده الى أشد نما كانت عليه كما تقدم

فلما افضت الحلافة الى بني العباس سنة ١٣٢ اعملوا السيف في بني أمية ففروا وتركوا أموالهم وضياعهم فاستولى عليها العباسيون ولم يعذوا امتلاكها مخالفاً اشروط الحلافة لاعتبارهم ذلك لازماً لحياطة الدولة او حقاً من حقوق الملك اذ ليس من أوامر الدين أو نواهيه ما عنعهم من ذلك صريحاً . والانسان ميال من فطرته الى الاستكثار من حطام الدنيا واختزان الفوة اذا وجد الى ذلك سبيلاً . فالحلفاء العباسيون في أوائل دولتهم بذلوا الجهد في اضاف الناس وتأمينهم ليبينوا لهم الفرق بين حالهم في أيام بني أمية وفي ايا-مهم فلم يكونوا يغتصبون ضيعة ولا مالاً ولكن بعض الذين دخلوا في خدمتهم او أتموا اليهم من الامراء او الكبراء كانوا يمدون ايدمهم الى ضياع الناس وكان الخلفاء ينصفون اصحاب الضياع اذا نظاموا ويردون ضياعهم اليهم (٢) على أن ذلك قلما كان يقلل من مطامع أهل الدولة في أموان الناس فاستكثر العمال والوزراء وغيرهم من اقتناءالضياع والابنية بحق أو بلا حق والخلفاء يمنعومهم جهــد الطاقة فاذا لم يتمكنوا من منعهم بالحسني صادروهم أو قبضوا أموالهم بعد موتهم . كما فعل الرشيد باموال محمد بن سليان عامله على البصرة وكان مبلغها في ٥٠٠٠٠ درهم سوى الضياع والدور والمستغلات وكانت غلته ١٠٠٠٠٠ درهم في اليوم (٣) وأمثال هذا الفيض كثيرة ناهيك بالمصادرات التي سيأتي تفصيلها . فالضياع التي تقبض على هذه الصورة تصير الى الخليفة أو الدولة

<sup>(</sup>۱) المتريزي ۷۷ ج ۱ والاغاني ۳۰ ج ۱۱ (۲) اللوردي ۸۷ (۳) المسمودي ۱۸۸ ج ۲

النمدن الاسلامي ج ٧

فآل ذلك الى استكثار الخلفاء أنفسهم من الضياع

على ان أكثر ما يكون اقتناه الضياع لحاشية الخليفة وأهله . وذلك طبيعي في الحكومات الاستبدادية وخصوصاً اذا كان الحاكم كريم الحلق أو ضعيفاً تؤثر عايه وساطة أهله ورجال حاشيته ولذلك كثرت الضياع عبد رجال الدولة حتى صاروا بهادومها أو يسمون ما على الناس جائزة على قصيدة أو خطاب أو نكتة أو غير ذلك . وفي اخبار البرامكم كثير من أمثال هذه العطايا . ومن هذا العبيل ما فعله الحسن من سهل لما زفت ابنته موران الى المأمون فأنه كتب ضياعه في رفاع اسم كل ضيعة في رقمة ونثرها على العواد فمن وقع له رقمة أخذ الضيعة المسهأة فيها <sup>(١)</sup>

وكان من أيواب اقتناه الضياع عندهم - حتى في صدر الدولة العباسية - كُمْرة ما كان من الارضين المهملة من عهد بني أمية. فيأمر الخليفة بعض أهله أو خاصته بتمميرها وغرسها ثم مصير له — كما فعل النصور بابنه صالح أذ أمره بعارة بعض المرارع الماطلة في الاهواز (٢٠) — ومن احيا أرساً مواتاً فهي له

﴿ الالْجَاءَ ﴾ ومِن أسباب كُثرة الضياع عند أهل الحلفاء ورجال الدولة الجاء الاهالي ضاعهم ومفارسهم الى بعض أقارب الخلفاء أو العال تعرزاً بهم من حباة الحراج . فكان صاحب الارض يلتجي، الى بعض أوائك الكبرا، فيستأذه أن يكتبضيعته أوضياعه باسمه فلا يتجرأ الحبياة على العنف أو الظلم فياقتضاءخراجها بل هم قد يكنفونمهم بنصف الخراج أو ربعه مراعاة لذلكالكبر . ويجمل صاحب الضيعة نفسه مزارعاً له ويدون ذلك في دفاتر الحكومة . فصبح تلك الضيعة بتواني الاعوامِملكاً للمجأ اليه (٢) ويصبحصاحها الاصلى سُريكاً فيغامًا . ومثل هذا الالجاه يحدث في كل المصور في البلاد التي يخاف أهلها سطوة الحكام واستبدادهم

وقد بدأ الالحاء في الاسلام بأيام بني أمية لماكان من ظلم عمالهم. فألحأ أهلُ السواد فيولانة مسلمة من عبد الملك وخلافة أخيه الوليد ضياعهم الى مسلمة المذكور تمرزاً به من حباة الحراج . ثم صارت تلك الضياع له وبقيت في أعفابه حتى قامت الدولة المباسية فعبض الحلفاء العباسيين عابها في جملة ما قبضوه من أموال بني أمية وضياعهم. وأفطعت هذه الضياع لداود بن على بن عبد الله بن عباسٌم صارت من

<sup>(</sup>۱) أبو النداء ۳۱ ج ۲ (۲) الفخري ۱۰۷ (۱) أب النتيه ۲۸۲ وابن غلمون ۳۰۸ ج ۱

الضياع السلطانية (١) وكذلك ضل بعض أهل المراغة في اذربيجان مع مروان بن محمد لما تولى أرمينيا فلهم ألجأوا تلك الضيعة اليه نقبضت في حجلة ما قبض من ضياعهم (٢)

وامتد الالجاء الى أيام بني البياس بالاستمرار فألجأ أهل زمجان ضياعهم الى الهام بن الرشيد تعرباً اليه ودفعاً لمكروه الصعاليك تهم . فكتبوا له الاشرية وصاروا مزارعين له ثم صارت تلك الارض من الضياع الساعالية (٢٠) وحدث نحو ذلك أيضاً في فارس فعد كان فها ضياع الجاها أربلها الى الكبرا من حاشية السلطان بالمراق وظلت تجري بأسهام فحفف عهم الربع وبهيت أجيالاً وهي في ألدى أهما بأساء هؤلاء يتبايعونها ويتوارثونها (٤٠) وأصبح أهلها مزارعين لهم

ولم ينقض عصر الزهو العامي حتى أصبح في حوزة الحلفاء وأقارتهم ورجال دولهم ما لا يحصى عدده من الضياع واضطرت الحكومة الى انشاء ديوان خاص بخراجها وعشورها سموه ديوان الضياع وهو غير ديوان الحراح . وقد رأ يتمقدار خراج الضياع في ما دونه على بن عيسى في جريدة سنة ٢٠٠٩ وكالها في ملاد المشرق في الري ودوماو هد وقزوين وزنجان وقم واصبهان وهمدان وماسندان وغيرها . وترى خراج الضياع في بعض المالك بزيد على خراج الأرضين الأخرى . فحراج الضياع في ماه البصرة والايغارين مثلا ٢٠٧٠ ديناراً وخراج سائر الارض هناك ٢٣٦ ديناراً . ولو عوملت الضياع في مقدار الحراج وطرق تحصيله مثل معاملة الأرضين الأخرى لؤاد خراجها أضماف ذلك . لان خراج الشالضياع من مقدار الحراج وطرق تحصيله من معاملة الأرضين الأخرى الله غيره وكثيراً ما كان يترك ولا يطالب به أعواماً على مفتضي أحوال السياسة وعلاقة ذلك بالمال والحلقاء ورعا تراكم الحراج عدة أعوام مفتضي أحوال السياسة وعلاقة ذلك بالمال والحلقاء ورعا تراكم الحراج عدة أعوام حق تثير السياسة وياني من يطالب به (٥)

<sup>(</sup>١) قدامة ٢٤١ (٢) إي الفقيه ٢٨٤ (٣) إن الفقيه ٢٨٢

<sup>(</sup>٤) الاصطغري ١٥٨ (٥) ابن الاثير ١٨٢ ج ٧

## ﴿ الضياع السلطانية ﴾

وكانت الضياع بالاجمال قسمين : الضياع العامة وهي ضياع رجال الدولة وأرباب الثروة من الاهلين وغيرهم . والضياع السلطانية وهذه افسلم سميت بإمماء تدل على انواعها وهي

- (١) الضياع الخاصة: وهي ما يملسكه الخليفة نفسه لا يشاركه فيه أحد. وقد رأيت خراج هذه الضياع في جريدة علي بن عيسى (غير ماكان منها في نواحي واسط لانه اضيف الى اموال العامة) ٧٤٦ ٥١٦ ديناراً
- (٧) الضياع العباسية : وهي في الغالب لبني العباس أهل الحليفة وقد بلغ عددهم في أيام المأمون ٣٠٠ هـ ٣٠٠ و بلغ خراج تلك الضياع سنة ٣٠٠ هـ ٣٠٠ ديناراً سوى ما هو منها في واسط.
- (٣) الضياع المستحدثة: قد رأيت خراجها في تلك السنة ٣٦٠ ٢٨٩ ديناراً
- (١) الضياع الفراتية : وسميت بذلك لانهـا واقعة على ضفاف الفرات وخراجها لذلك العام ٢٢٦ ٢١٧ ديناراً

وكانت هذه الضياع من سواد بغداد والكوفة والبصرة وواسط والاهواز واصبهان (٢) يضمنونها احياناً باموال معينة في العام (٢) ولها دواوين وكتاب وعمال فالضياع على اجمالها قليلة الحراج مع أنها اخصب الارضين لان الحلفاء وعمالهم كانوا يغضون عن كثير من الاموال المطلوبة منهم (٤) وقد يتركونها لهم ومع ذلك فقد رأيت خراج الضياع السلطانية يزيد على مليون ونصف غير ما هو منها في واسط وغيرها مما يدل على كرة تلك العنياع وسمتها . والظاهر أن ذلك طبيعي في الدول المطلقة في تلك المصور فقد ذكر تا صفحة ٢٢ أن جياية الدولة الشمانية بلقت في أيام السلطان سلمان سلمان من الضياع السلطانة وحدها (٥)

<sup>(</sup>۱) ابو النداء ٢٤ ج ٧ (٢) ابن الاثير ٢٤ ج ٨ (٣) ابن الاثير ٨٨ ج ٨ (٣) Porter's Const. Hist. of Thurkey MS. (6) Ein. Abb. 80. (8)

(الايغار) وكان عندهم ضرب من استهلاك الحراج اسمه « ايغار » ومعناه في الاصل « استيفاه » فيمولون « أوغر العامل الحراج اي استوفاه » ثم استخدموها يمني الاعفاه من الحراج بمال معين يدفعه صاحب الارض مرة واحدة والذلك قالوا « اوغر الملك الرجل الارض جعلها له من غير خراج » أو هو أن يؤدي الحراج الى السلطان الاكبر فراراً من العمال ويسمى ضمان الحراج ايغاراً (١) فكان اسحاب الضياع يستوغرون ضياعهم اذا استطاعوا الى ذلك سبيلاً. ومن الايغارات المشهورة في الدولة الساسية « ايغار يعطين » وأصلها أن رجلاً اسمه يقطين أوغرت له ضباع من عدة الطساسيح ثم صار ذلك الى السلطان فنسب الى إيغار يقطين (١)

### اسباب كثرة النفقات

# (١) اسراف الحلفا. ونسأتهم

من الامور الطبيعية في العمران اذا كثرت الاموال في الدولة ان يسخوا الملوك في بذلها وخصوصاً في الدولة المباسسية والحليفة مطلق التصرف في بيت المال (٢) ودعاة الحلافة كثيرون لا يفعد فتنتهم غير استرصاه الاحزاب بالمال او كسر شوكتهم بالحرب والاول اسلم عاقبة واقرب منالاً اذا توفرت الاموال وقد رأيناها متوفرة خصوصاً في عصر الرشيد والمأمون . فلا غرو اذا رأيناها يبذلان الاموال في استكفاف الاذى عن الدولة أو سد افواه أهل الفتن . لكنهم تجاوزوا ذلك الى صنوف البقخ وضروب التبذير والترف فاقتنوا الجوازي واتخذوا الفرش من الحز والديباج والحرير والمسامير الفضة (١٠) وابتنوا المتغرهات والقصور والمدن واقتنوا الندماه وأنشأوا بجالس النناه وارتكبوا

 <sup>(</sup>۱) عبط المحبط (۲) ندامة ۲۶۱ (۳) المأوردي ۲۰۳

<sup>(</sup>٤) أعلام الناس ٩٨

سائر ضروب الترف والتأنق بالطعام واللباس والرياش . وقسد سهل عليهم ذلك لفرب عهد العراق وفارس من بذخ الفرس قبيسل الفتح الاسلامي (١) وأطلقوا أيدي لمسائم وأمهاتهم وخاصتهم في الاموال

(ثروة نساه الخافاه) لم ينزوج السفاح الاامرأة واحدة (٢٠). وقبل ان يتوفى المنصور اوصى ابنه المهدي ان لا يشرك النساه في أ.ره (٢٠) ومع ذلك فان الخيزران ام الرشيد كانت هي ساحبة الامر والنهي في ايام الحادي وايامه وكان وزيره يحيى تحت امرها (١٠) فافضى نفوذها الى حشد الاموال لنفسها حتى بلغت غلتها في العام مدول افافضى نفوذها الى حشد الاموال لنفسها حتى بلغت غلتها في العام وغلة اعظم متمولي العالم اليوم لا تزيد على ثلثي هذا المال. فقد ذكروا ان ايراد وقلة اعظم متمولي العالم اليهم لا تزيد على ثلثي هذا المال. فقد ذكروا ان ايراد كثر من ١٠٥٠٠٠٠ دينار. وقد بينا في غير هذا المكان ان قيمة النفود كانت تساوي ثلاثة اضعافها اليوم والدينار نصف جنيه فتكون غلة روكفلر نحو

وكانت الخيروان مع ذلك شديدة الوطأة رغاية في الاستثنار فلما آنست في النها الهادي معارضة لاوادتها دست اليه مرض قتله (٦) و المانت توسع الرشيد باموالها وأقطع الناس ضياعها (٧)

على ان الخيزران كأنت من أهدل العلم والرأي فلا غرابة في اقتنائها الاموال في ابن الثروة ألمباسية أعا الغرابة في افتناء أمهات الحلفاء الاموال الكثيرة في عصر الانحطاط وبيت المال فارغ. فان قبيحة أم المعتز وجدوا لها من مخبآت في الدهاليز ونحوها نحو ٢٠٠٠٠٠ دينار نعداً وما لا تعدر قيمته من التحف والجواهر مما نأني بذكره على سبيل المثال: من ذلك مقدار مكوك من الزمرد المين وضف مكوك لؤلؤ كبير ونحو كيلجة ياقوت أحمر مما قدروا قيمته المين وضف مكوك لؤلؤ كبير ونحو كيلجة ياقوت أحمر مما قدروا قيمته دينار وكانت مع ذلك قد عرضت ابنها للقتل من أجل ٢٠٠٠٠٠

<sup>(</sup>۱) اِن الاثير ٢٥٤ ج ٢ (٢) اعلام الناس ٤٥ ٣٠ اِن الاثير ٨ج ٦

<sup>(</sup>٤) ابن الاثير ٤٠ ج ٦ (٥) المسعودي ١٨٨ ج ٢ (٦) ابن الاثير

<sup>•£</sup> ج ٣ (٧) سپر الملوك ٨٥ (٨) الطبزي ١٧١٩ ج ٣

وأغرب من ذلك شأن ام محمد بن الوائق فعد كانت غلتها ١٠٠٠٠٠٠ دينار (١) في العام تنفقها في جواربها وهي نحو غلة الخيزران . وأخرجوا مر تربة والدة المقتدر ٢٠٠٠٠٠ دينار كانت مخبأة هناك ولم يعلم بها احد مع ضيق الخليفة و فراغ بيت ماله (٣) وقس على ذلك أمهات الحلفاء الآخرين في العراق وغيره من بلاد الاسلام . فعد كن يتمتمن بالنفوذ ويستولين على الاموال بالتواطؤ مع القواد ورجال الجند عا يتاح لهن من اطلاق الايدي في أمور الدولة كما فعل المستعين العباري ( ١٤٠٩ هـ ) فانه اطلق يد والدته ويد اتامش وشاهك الخادم في بوت الاموال واباحهم فعل ما أرادوا . فكانت الاموال التي ترد مر الآفاق يصير معظمها الى هؤلاء الثلاثة (٢)

فلا عجب والحالة هذه اذا تحول النني الى النساه والحدم والعواد . وهل تستغرب بعد ذلك اذا علمت انه كان ببن رياش ام المستمين بساط انفعت على صنعه ١٣٠٠٠٠٠ دينار (رعا درهم) فيه نعوش على أشكال الحيوانات والطيور أحسامها من الذهب وعيومها من الحواهر ? (ن) . او اذا قيل لك ان فلانة حشت فم الشاعر الفلاني دراً فياعه بضرين الف دينار (٥) او اذا سمعت مهدايا قطر الندى وغيرها من نساء الخلفاه ؛ (١)

ناهيك عاكان في بلاط الحلفاء العباسيين وغيرهم من الفهرمانات اللوآني كنَّ يتولين شؤون دور الحلفاء والنفقة عليها بالاتفاق مع الوزير او من ينوب عنه (۱) فسكان لهؤلاء النساء نفوذ عظيم في قصور الحلفاء وفي اعمال الدولة — كما كانت تفعل ام موسى الفهرمانة في المام المفتدر في اوائل القرن الرابع للهجرة (۸) ولم يكن لاولئك الفهرمانات سبيل للانفاق لولا ما في قصور الحلفاء من الجواري والحدم وغيرهم

( الجواري والنمان ) وقد رأيت في ما ذكرناه من مناقب المنصور صفحة ١٩٨ أنه لما علم نوجود الطنبور في داره كسره على حامله . ولسكن لم يمض على موقه

<sup>(</sup>۱) الطبري ۱۷۲۰ ج ۳ (۲) ان الاثير ۷ ج ۷ (۳) ابن الاثير ۶۷ ج ۷ (٤) المستطرف ۱۳۶ ج ۱ (٥) ابن خلكان ۱۹۹۹ ج ۱ (۲) المستطرف ۶۹ ج ۲ (۷) ابن الاثير ۳۷ ج ۸ (۸) ابن الاثير ۲۶ ج ۸

اربعون سنة حتى أصبحت دور الحلفاء مرسحاً للفناء واللهو \_ قالوا أنه كان في قصر الرشيد ثلثائة جارة ما بين جنكية الى عودية الى دفية الى قانونية الى زامرة الى مننية الى راقصة الى سنطيرية فضلاً عمن كان في قصره من الندماء والمضاحكين كالشيخ ابي الحسن الحليم الدمشتي (١) وابن ابى مرم المدني (٢) وغيرها . وما من جارية الا و عنها الف دينار أو عشرة آلاف دينار (٢) الى مئة الف دينار غير ما يقتضيه اقتناؤهن من النفقات الاخرى كالالبسة والحلي وهي شيء كثير . فعد اشترى الرشيد خاماً عئة الف دينار (١) وقس على ذلك

ناهيك بما كانوا يقتنونه من الماليك والغلمان بما يعدون بالمثات والألوف فقد بلغ عدد خدم المفتدر ١٩٠٠ خصي من الروم والسودان (٥) عبر ما يعتضيه ذلك من الابنية والقصور والرياس. فقد بني المعز داراً في بغداد أنفق عليها ١٣٠٠٠٠٠ دره (١٦) و بني الامين قصوراً في الخيرانية أتفق عليها ٢٠٠٠٠٠٠ دره (١٦) واصطم في دجلة خمس حراقات (سفن) احداها على صورة الأسد والثانية بصورة الفيل والثالثة بصورة المعاب والرابعة بصورة الحية والحامسة بصورة الفرس أنفق عليها مالاً عظيا وفيها يقول أبو نواس:

مخر الله للامين مطايا لم تسخر الصاحب الحراب فاذا ما وكابه صرن براً سار في الماء راكباً ليث غاب عجبالناس اذراوك على صورة ليث تمر مر السحاب سبحوا اذراوك سرت عليه كيف لو أبصروك فوق المغاب ذات زور ومنسر وجناحي ن تشق العباب بعد العباب تسبق العلير في السماء اذا ما استحجلوها مجيئة وذهاب

وتما يحس ابراده مثالاً على بذخهم ان الامين المذكور امر يوماً ان يفرش له على دكان في الحدد ففرش عليها بساط ذرعي وعارق وفرش مشله وهيأ من آنية النحب والفضة والجواهر امر عظيم وأمر قيمة جواريه ان تهيى له مئة جارية صانعة فتصدد اليه عشراً عشراً بإيديهن العيدان ينتين بصوت واحد (^) فقعات

 <sup>(</sup>۱) اعلام الناس ۹۷ (۳) الطبري ۳۵۳ ج ۳ (۳) ترتیب الدول ۱۲۹
 (۱) ابن الاثیر ۵۵ ج ۶ (۰) الفخري ۲۳۵ (۱) ابن الاثیر ۲۱۱ ج ۸

<sup>(</sup>٧) أَنِ الاثْيرِ ١١٢ ج ٦ ( ( A ) أَنَّ الاثْيرِ ١٢٠ ج ٦ أَ

وسنأتي على تفصيل بذخ الحلفاء وطرق اسرافهم في الجزءالمتعلق بالهيئة الاجهاعية من هذا الكتاب

(السخاه) على ان الاسرافكان أكثره في ما يبذلونه كرماً وسخاء ومنه ما ينفق بومياً فرضاً واحباً . فقد كان الرشيد يتصدق من صاب ماله كل يوم بألف درهم بعد زكاته <sup>(۱)</sup> وكان المأمون ينفق على خاصته كل يوم ۲۰۰۰ در<sup>هم(۲)</sup> فاعتبر معدار ذلك في السنة فيزيدعلى ٢٠٠٠٠٠ درهم.وليس هذا بالتي؛ الذي يذكر بجانب ما كانوا بهبونه من الجوائز ونحوها . فقيد فرق المنصور في يوم واحد ١٠٠٠٠٠٠ درهم على أهل بيته <sup>(٣)</sup> وفرق المأمون في يوم واحد ١٥٠٠٠٠ درهم على اللائة أشخاص <sup>(٤)</sup> وقد رأيت صفحة ٨٦ أنه فرق ٢٤ · · · · · ٢ درهم ورجُّله في الركاب . وأوصى الرشيد للمأمون بملغ ١٠٠٠٠٠٠ درهم . وتصدق المستصم في اثناء خلافته بما مجموعه ٢٠٠٠٠٠٠ درهم (٥) وبلغ ما أنفعه المعتدر ضياعاً ما خلا الارزاق ٧٠٠٠٠٠٠ دينار (٦٦) --- فضلاً عن جوائزهم الوافدين من الشعراء وغيرهم وربما بلغت جائزة الشاعر مئة الف درهم. وذكروا جوائز كثيرة بنحو هذه الهيمة أو اكثر. وروى ابن خلكان عن سلم الشاعر العروف بالحاصر انه نظم قصيدة مدح فيهما المهدي وحلف أنه لا يأخذ قيمتها الا مئةالف الف درهم (١٠٠٠٠٠٠) فأعطاه اياها — وفي ذلك مبالغة ظاهرة لكنها تدل على مبلغ ذلك السخاء (٧) وكثيراً ما كأنوا بهبون الشمراء الضياع فضلاً عن الاموال (۱)

#### هل كانوا يفعلون ذلك حقيقة ﴿

فهذا وأمثاله يحسبه أهل هذا الزمان من قبيل الخرافات بالفياس على ما يعلمونه من العواعد الاقتصادية . على اتنا لا نظتهم يعولون ذلك بعد ما تبين لهم مِن مفــدار الثروة العباسية ومفدار ماكان يبتى من الاموال تحت تصرف الخلفاء أو من يقوم مقامهم كالوزراء والكتاب — الا اذا شككنا في حقيمة تلك الثروة وهو شك في

<sup>(</sup>۱) الطبري ٧٤٠ ج ٣ (٢) الفخري ٣٠٠ ٣٠ ابن الأثير ١٣ ج ٦ (٤ ابن الاثير ١٦٧ ج ٦ (٥) الطبري ١٣٢٩ ج ٣ (٦) ابن الاثير ٩٠ ج ٨ (٧) ابن خلكان ١٩٨٨ ج ١ (٨) الطبري ١٤٦٨ ج ٣

الطبعة الثالثة النمدن الاسلامي ج ٢ **(YY)** 

التاريخ على اجماله . لان المؤرخين على اختلاف عصورهم ومواطنهم متفقون على ما يناه من هذا القبيل كما رأيت . ثم اذا اعتبرنا نظام الهيأة الاجماعية في تلك الايام على ما سنفصله في الاجزاء التالية من تأثير الشعراء ونحوهم في مركز الحليفة نفسه هان علينا تصديق ماكانوا ينالونه من الهبات الكبرى . على اتنا نسرف بين أغنياتنا اليوم من يدُل ٥٠٠٠٠ جنيه و ١٠٠٠٠٠ جنيه ثمن صورة أو قطمة من الا ثار الفدعة لا تنفع ولا تضر . وقرأنا بالامس ان مورغن المثري الامريكي الشهير اشترى صوراً بمليون جنيه ليقدمها هدية لبحض المتاحف

وزد على ذلك اتنا نستدل على سحة ما تفسدم أيضاً من سياق بعض الوقائع المروبة من هذا الغبيل. مثل حديث المؤمل عن قدومه على المهدي وهو ولي عهد قال: قدمتُ على المهدي في الري وهو ولي عهد فأمر لي بعشر بن الف درهم لايات امتدحته بها فكتب اليه المنصور (ابوه) يعزله ويلومه ويعول له ه أعا كان ينبغي لك أن تعطي الشاعر بعد أن يهيم بيابك سنة اربعة آلاف درهم» — الى ان قال -- وبعث المنصور يستعدمني اليه حتى جئت ودخلت عليه ففال «هيه أتيت غلاماً غراً المنت غلاماً غراً المنت غلاماً غراً المنت غلاماً غراً المنت فاكذع » فقال المنصور « انشدني ما قلت فيه » فأنشدته أرثم ذكر عا خدعته فانخدع » فقال المنصور « انشدني ما قلت فيه » فأنشدته أرثم ذكر

هو المهدي الا ان فيه مشابه صورة الفمر المنير )

فعال « وائد لفد أحنست ولسكن هذا لا يساوي عشرين الف درهم » وقال « اين المال » فلت « ها هوذا » قال « يا ربيع ازل مصه فاعطه أربعة آلاف درهم وخسد منه الباقي » فخرج الربيع فحط ثفلي ووزن لي أربعة آلاف درهم وأخذ الباقي (١). فترى من هذه الحسكاية انهم كانوا يمدرون الشعر بآلاف الدراهم

# هل كان الحلفاء يسرفون من أموالهم الحاصة ?

بني علينا النظر في ماكان الحالفاه بهيونه من الجوائر ونحوها هل كانوا يؤدونه من أموالهم الخاصة ام من يبت مال الحكومة المعبر عنه بيبت مال المسلمين ? وهو موضوع مبهم لم نحيد فيه قولاً صريحاً . على أن سكوت المؤرخين عنسه يرجح أنهم كانوا يدفعون ذلك من يبت المال ـ ولا جناح فيه عليهم لان الامام عنسدهم

<sup>(</sup>١) الطبري ٤٠٦ ج ٣

هو ولي يبت المال ينفقه في ما يرى فيه مصلحة المسلمين حسب اجتهاده وقد يرى في أجازة الشاعر أو هبة العالم فائدة للدولة

على اتنا رأينا ذكراً لبيت مال الحاصة في ايام الهادي ويظهر من سياق بعض الحوادث التي وقعت للخلفاء الهم كانوا اذا امروا لشاعر أو غيره بمال أنما يريدون ان يدفع له من بيت مال المسلمين وان الوزراء كثيراً ما كانوا يتدمرون من ذلك الاسرافُ ولا يُنفذون امر الخليفة فيالصرفكما وقع لعيسي بن دأب مع الهادي ــ وذلك ان عيسى المذكوركان من اكثر أهــل الحجاز أدباً وأعنسم الفاظاً وكان قد حظى عند الهادي حظوة لم تكن لاحد قبله . فامر له مرة بثلاثين الف دينار في دفعة واحدة . فاما أصبح أن دأب ارسل قهرمانه الى الحاجب في قبضها فعال الحاجب « هــذا ليس الي فانطلق الى صاحب التوقيع والى الديوان » فعاد الى ان دأب فاخبره فعال « اتركها » . فبينما الحادي في مستشرف له بيفداد رأى إن دأب وليس معه الا غلام واحد فاستدعاه . فلما وقف بين يديه قال له الهادي « أرى ثوبك غسيلاً وهــدًا شتاه بحتاج فيه الى الجديد » ففال « باعي قصير » فغال « وكيف وقد صرفت اليك ما فيه صلاح شأنك » فعال « ما وصل اليُّ » فدعا المادي صاحب بيت مال الحاصة فعال « عجل الساعـة ثلاثين الف دينار » فاحضرت وحملت بين يديه (١) \_ فيظهر من سياق هذه الحـكاية ان الحليفة أراد ان يدفع اليه المال من بيت المال العام فلما لم يدفعوا له أمر بدفعه ور بيت ماله الخاص

ومن هـذا العبيل ما اتفق ليحيى بن خالد اذ أمره الرشيد ال يدفع عمن جارية ١٠٠٠٠٠ دينار فاستكثر يحيى المال واعتدر عن دفعه فغضب الرشيد فاراد يحيى ان يبين له مقدار ما يحمله يبت المال من هذا الاسراف في ما لامصلحة للدولة فيه فجل ذلك المال دراهم فبلغت نحو ١٠٠٠٠٠ درهم فوضها في الرواق الذي يمر به الرشيد اذا أراد الوضوه. فلما رأى الرشيد ذلك المال استكثره ولما اخبروه أنه عمن الجارية ادرك اسرافه ولكنه شعر بما في ذلك من الجرأة عليه ومحاولة غل يديه فحفظ ذلك في نفسه . ويفال أنه كان من جملة ما حمله على نكبة المرامكة (٢٠)

<sup>(</sup>۱) ابن الاثبر ٤٣ ج ٦ (٢) الطبري ١٣٣٢ ج ٣

واتفق نحو ذلك للواثق الله مع وزيره ابن الزيات في ثمن جارية فلمـــا مطل الوزير الدفع أمـره ان يدفع ضفين ففعل (١٠)

وفي كتاب ابي سفيان الثوري الى الرشيد جواباً على كتاب استدعاه به الى بغداد ما يشبه كلام ابي ذر الغفاري لمعاوية و يدل على ان الرشيد كان بهب و بجين من بيت مال المسلمين . وذلك ان الرشيد دعاه بكتاب بعثه اليه في الكوفة واخبره ان الناس قدموا اليه وابه فتح بيوت الاموال واعطاهم من المواهب السنية الخيف فاجابه ابو سفيان بكتاب شديد اللهجة وفي جهة ذلك قوله « اما بعد فاني كتبت اليلك اعلمك اني صرمت حبلك وقطمت ودك وانك قد جلتني شاهداً عليك باقرارك على نفسك في كتبابك انك هجمت على بيت مال المسلمين فانفعته في غير حقه وانفذته بغير حكه . ولم ترض بما فعلته وانت ناء عني حتى كتبت الي تشهدني على نفسك . فاما أنا فاني قد شهدت عليك أنا واخواني الذين حضروا كتابك وسنؤدي الشهادة عداً بين بدي الله الحبكم العدل . يا هرون هجمت على بيت مال المسلمين بغير رضاهم ... هل وضي بفعاك المؤلفة قلوبهم والعاملون عليها في ارض الله والمجاهدون في سبيل الله وابن السبيل . . ؛ أم رضي بذلك حملة الفرآن وأهل الملم ( يسني العاملين ) ؛ أم رضي بفعاك الايتام والارامل أم رضي بذلك خلق من رعبتك . . . ) \*

فهذًا وأمثاله يدل على ان الحلفاء كمانوا يهبون ويجيزون ويبذخون ويسرفون من يبت المال

## تكاثر الواب النفقة في الدولة

يناً في الجزء الاول من هذا الكتاب صفحة ١٠٢ (طبعة ثانية) كيف تدرجت الدولة الاسلامية في مصالحها منذكان النبي هو الامير والوزير والقاضي والقائد حتى اصبح موظفو الحكومة في أيام الراشدين سنة وماكان من ترايدهم بترايد الحضارة واتساع المملكة في أيام بني امية فبني العباس . وكانت تلك المصالح تذكائر عندهم بتكاثر الثروة وميل الحلفاء ورجال دولتهم الحالة ف والرخاء فاصبحت في أيام الرشيد

<sup>(</sup>۱) ابن الاثير ١٣ ج ٧ (١) الدميري ١٨٨ ج ٢

اكثر منها في ايام المنصور وفي ايام المأمون اكثر منها في ايام الرشيد. وقس على ذلك تكاثرها في ايام من جاء بسدهم من الحلفاء. فقد قرأت في جريدة المنضد (صفحة ٩٤) مرخ اصناف المرتزقين في بلاط الحليفة من الغايان والمماليك واصحاب المطابخ والجلساء واصحاب الركاب ما لم يكن له ذكر في صدر الدولة العباسية. وقس عليهم أصناف الحدم الحاصة من الاطباء والمغنين والندماء مما لا يقع تحت الحسر وكله قد اقتضاء الترف في حضارة الدولة

وزد على ذلك أن بعض النفعات كانت تصرف من غير بيت المال فصارت تصرف منه لاسباب كثيرة لا سبيل الى معرفتها أذ لم يرد فس صريح بشأتها وأن كنا نستدل عليها ضمناً من نصوص كثيرة - مثل ما براه من الفرق بين جريدة النفعات في ايام المعتضد سنة ٢٠٩ ه وبين جريدة علي بن عيسى لعام ٣٠٦ ه فانك تجد في هذه نفعات لا ذكر لها في تلك مثل نفعات الحرمين وروانب الفضاة في الممالك وولاة الحسبة واصحاب البريد في جميع البلاد ونفغات الثفور . فأن هذه الابواب غير واردة في تلك لان العمال كابوا يفومون بها من خراج أعمالهم كما اشرنا الى ذلك فلما ضعف الخلفاء وتحرد العمال اضطرت الدولة الى دفعها من بيت مالها وقد تفدم صفحة ١٩١ ( طبعة ثانية ) من الجزء الاول أن ارتفاع الثغور كان يفق في مصالحها لا يرد منه شيء الى بيت المال على أهم كثيراً ما كانوا يستوردون منها الاموال الطائلة من الفنائم ونحوها في صدر الدولة العباسية (١) أما في ايام الانحطاط المنائم ونحوها في صدر الدولة العباسية (١) أما في ايام الانحطاط مناه الدولة العباسية (١) أما في ايام الانحطاط مناه المنائم ونحوها في صدر الدولة العباسية (١) أما في ايام الانحطاط مناه المنائم ونحوها في صدر الدولة العباسية (١) أما في ايام الانحطاط مناه من المنائم ونحوها في صدر الدولة العباسية (١) أما في ايام الانحطاط مناه النائم ونحوها في صدر الدولة العباسية (١) أما في ايام الانحطاط مناه المنائم ونحوها في صدر الدولة العباسية (١) أما في ايام الانحطاط مناه المنائم ونحوها في صدر الدولة العباسية (١) أما في ايام الانحواد مناه مناه المنائم والمنائم ونحوها في صدر الدولة العباسة (١) أما في ايام الانحواد مناه مناه المنائم ونحوها في سدوله الدولة العباسة (١) أما في ايام الانحواد مناه مناه المنائم ونحوه المنائم والمنائم والدولة العباسة (١) أما في ايام الانحواد مناه مناه المنائم ونحوه المنائم والدولة العباسة (١) أما في ايام الانحواد مناه مناه المنائم والمنائم والمنائم

اد موان الفادلة من العام و حومًا في صدر الدولة المباسية ١٠٠ أما في آيام الاخطاط ففلت النزوات وبطلت الفنائم و محمل بيت المال نفقات تلك الثفور وزادت عما كانت عليه في صدر الدولة حتى بلغت في أيام المقتدر محو ١٠٠٠٠٠٠ دينار وهو مقدار ارتفاعها ينفق في مصالحها (٢) ـ ناهيك بما حدث من نفقات الجند وغيره

#### (٣) زيادة الرواتب

-----

ولم تقتصر زيادة النفقات على تجديد مصالح لم تكن من قبل ولسكن المصالح القديمة زادت نففاتها عما كانت عليه في أوائل الدولة . وطبيعي اذا كثرت ثروة

<sup>(</sup>۱) ابن الاثير ۲۷ ج ٦ (٢) قدامة ٢٥٣

الدولة أن توسع على رجالها فتزيد رواتيهم وجواريهم. فاذا كانت تلك الدولة مؤسسة على اساس ضعيف لا تلبث أن تتحط ثرومها وتيقى الرواتبكا هي فيقصر يبت المال في تأديتها فيضطرون الى ضرب الضرائب الفادحة واستخدام المنف في تحصيلها فتضف همة الناس عن العمل وتزداد البلاد فقراً

كان المسلمون في أيام النبي وابي بكر يرتزقون مما يقع في أيديهم من الفنام فتختلف حصة كل منهم باختلاف مقدار تلك الفنائم حتى تولى عمر بن الحطاب ووضع الديوان وجمل لكل مسلم راتباً معيناً في السنة وميزهم باعتبار انسابهم من النبي أو سابقتهم في الاسلام (۱) وليس باعتبار ما يؤدونه من الاعمال فقد يكور احدهم كاتباً او عاملاً او قاضياً على السواء. فلما تفرعت مصالح الدولة وتميزت لم يروا بداً من تميين الروات باعتبار المناصب فجلوا لكل من الجندي والعامل والسكان والحاجب والعاضي وغيرهم راتباً مميناً . والم حدثت الوزارة في الدولة الساسبة جعلوا لحما راتباً كا جعلوا لسواها من المناصب المستحدثة ، واختلف مقدار راتباً كل من هذه المناصب باختلاف الدول والعصور فلننظر في تاريخ أشهر تلك المناصب باعتبار رواتبها بالنظر الى ما محن فيه

(رواتب العمال): كان راتب العامل في ايام عمر مدوم في الشهر (۲) ما ختلف باختلاف العمال والاعمال فقد جل عمر لمعاوية على الشام الف دينار في السنة (۲) ولما افضى الامر الى بني امية اصبحت ولاية الاعمال فوضى على ما نفتضيه الاحوال من اطماع العمال بنصرتهما و التوسيع لهم بالنففة لحرب الخوارج العلويين أو غير ذلك . فريما جعلوا الولاية كلها طممة لا يدفع عنها العامل شيئا بل ينالها مكافأة على خدمة قام بها – على أن ذلك كان خاصاً بالعمال الكبار كهامل العراقين أو مصر أو خراسان . وقد بلغ راتب يزيد بن عمرو بن هبيرة أمير العراق في ايامهم من مدا الاخير من قبيل الزاتب فلا يغاس عليه درهم (٥) وليس هذا الاخير من قبيل الزاتب فلا يغاس عليه

وكان تحت هؤلاء الممال عمال يفرقوم في أعمالهم كماكان يفعل الحجاج في المراق وعمرو بن الماص عصر . فالممال الصغار كانت رواتبهم محددة لا تزيد على

<sup>(</sup>۱) الجزء الاول ۱۰۶ (طبعة ثانية ) (۲) سراج الملوك ۲۷۷ (۳) للتريزي ۱۹ ج ۱ (٤) ابن خلكان ۲۸۱ ج ۲ (۰) ابن خلدون ۹۱ ج ۳

٣٠٠ درهم في الشهر (١) وظلت على نحو ذلك في صدر الدولة العباسية الى ايام المأمون فزادها وزيره الفضل بن سهل في جملة مازاده من الرواتب على اثر ما كان من تكائر الثروة مع رغبة الخليفة في ارضاء نصرائه من اهل خراسان . اما مقدار ذلك الراثب فأنه كان يختلف باختلاف الاعمال لان العمل قد يحصر في ولاية صغيرة او بعقد على عدة ولايات فتقدر العمالة بقدر اتساعه واهميته وباعتبار رضى الحليفة عن عامله ونحو ذلك . فقد عقد المأمون للفضل من سهل على المشرق من حبل همدان الى التيبت طولاً ومن محر فارس الى محر الديم ( فزوين ) وجرجان عرضاً وبدخل في ذلك كل ما وراء العراق شرقاً الى الهُنـٰـد وجعل له عمالة ٣٠٠٠ ٠٠٠ درهم فيالسنة وعقد له لواءً على سنان ذي شعبتين واعطاه علماً وسهاه ذأ الرئاستين <sup>(٢)</sup> السيف والفلم ونقش علىسيفه بالفضة من الجانب الواحد « رئاسة الحرب » ومن الجانب الآخر « رئاسة التــدبير » (٣) \_ فعل المأمون ذلك له لماكان من نصرته اياء في خلافه مع اخيه الامين فلا يفاس به العمال الذين كانوا يتولون الاعمال الصغرى ومنهم بضعة عشر عاملاً نحت رابة الفضل بن سهل في المشرق . وعمالة هؤلاء تختلف!يضاً باختلاف الولايات ويظهّر أنها كانتُ تتراوح بين ٣٠٠ درهم و ٢٠٠٠ قيــاساً على ما ذكره ابن حوقل من رواتبهم في ايام متصور بن أوح (١)

وأما عمال الولايات الكبرى التي كانت علاقتها رأساً مع الحليفة فقــد كانت روانهم كبيرة جداً كما رأيت من راتب الفضل بن سهل . وكانت عمالة الحسين ابن على الماذراني على مصر في اوائل الفرن الرابع للهجرة ٣٠٠٠ دينار في الشهر<sup>(ه)</sup> أو ٢٠٠٠ درهم ومقدار ذلك في السنة ٧٢٠٠٠٠ درهم وقس على ذلك

قاذا اعتبرنا هذه الرواتب بالنظر الى هذه الايام رأيناها فَاحدَة جداً . لان الولايات في الدولة المهانية ثلاث درجات الدرجة الاولى راتبها ٢٥٠ ليرة عمانية في الشهر والثانية ٢٠٠ والثالثة ١٥٠ ليرتم. وراتب عامل أنكلترا على الهند (حكمدار الهند ) ٢٠٨ ٨٣٣ روبية في الشهر (٢٠ أي نحو ٥٠٠ ٥٠٠ فرنك في السنة وهو

<sup>(</sup>۱) الطبري ٤٣٤ ج ٣ (۲) ابن الاثير ١٠٣ ج ٦ (٣) الطبري ٨٤١ ج ٣ (٤) ابن حوقل ٣٤٢ (٥) Ein. Abb. 80. (٥) ويتكر ٢٦٤

أعظم رواتب الممال في هذا العهد . ومع ذلك فانه أقل من راتمب الماذراني المتقدم ذكره — ناهيك بماكان يكتسبه عمال الدولة العباسية من الاتجار ونحوه

(رواتب الكناب): وكانت رواتب الكناب الى ايام المأمون مثل رواتب العال الصغار لا يزيد مقدارها في الشهر على ٣٠٠ درهم فزادها الفضل بن سهل كما تقدم ولم نقف على مهدار تلك الزيادة. ولكن بالقياس على غيرها يجب أن تمكون كثيرة. فضلا عما كانوا يستولون عليهمن الاخر جقاليومية وقدعد دالموريزي ماكان يستولي عليه كاتب من كتاب مصر في عهد الدولة الفاطمية في اليومالواحد من البقولات والتوابل والحلويات والأغار والفاكهة والمطريات وسائر الاطممة ومن الالبسة والافرشة وماكان يجري من ذلك كله على اولاده واهله فاستغرق تمداده نحو صفحتين أو "لاث صفحات من قطع هذا الكتاب — فاكتفينا بالاشارة اليه تفادياً من التطويل ومن اراد التفصيل فليراجعه هناك (١)

( روانب الوزراه ) : الوزارة من محدثات الدولة العباسية وأول من اشتهر من وزرائها البراه كذولم نقف على معادير روانهم والظاهر أنها كانت كبرة . فضلا عن اطلاق ايديهم في بيت المال يفطمون ويصلون كا يتراه ي لهم ، على انا قد رأينا في قا عُمة النفعات في ايام المتضد صفحة ٦٦ ان راتب الوزير م ٣٣ دينار في اليوم أو الف دينار في الشهر . فاذا اعتبرنا تمدير النفود بالنظر الى فيمة الفضة والنهب في هذه الايام زاد هذا الراتب على ٥٠٠ دجنيه — وما من وزير يبلغ راتبه الى هذا المفدار اليوم . فان راتب الوزير في الدولة الماينة ٥٠٠ ليرة عمانية في الشهر السحر الاعظم فان راتبه الف ليرة . والوزير المصري راتبه ٢٥٠ جنيه في الشهر وراتب اكبر وزراء انكلترا ٢٠٠ حنيه في المام ٢١)

على أن روانب الوزراء كانت تختلف باختلاف الاعصر والدول — كان راتب الوزير على ايام الناصر الاندلسي ٨٠٠٠٠ دينار في السنة وهدايا (٢) وكان راتب يحيى بن هبيرة وزير المعنني في اواسط القرن السادس الهجرة ٢٠٠٠٠٠ دينار في السنة (٢) وكان الوزراء فضلاً عن رواتبهم المشار اليها رواتب لاولادهم واخوتهم وخدمهم وانباعهم وارزاق ووظائف كثيرة وخصوصاً في مصر . فقد كان راتب

<sup>(</sup>۱) المقريزي ۳۹۹ ج ۱ (۲) ويتكر ۱۷۰

<sup>(</sup>٣) نفع الطّب ١٦٨ ج ١ (٤) الفخري ٢٧٨

الوزير في الدولة الفاطمية ٥٠٠٠ دينار في الشهر ولمن يليه من ولد أو أخ مرف ١٣٠٠ دينار من ٢٠٠ حواشيم على مفتضى عدتهم من ٢٠٠ صد دينار ما عدا الاقطاعات (١) غير ما مجري عليه وعلى اهله من المأكولات وسائر حاجيات الحياة . فقد كان للوزير ابن عمار ايام العزيز بالله الفاطمي بمصر من الحجرايات النفسه وأهل حرمه من اللحم والتوابل ما قيمته ٥٠٠ دينار في الشهر . ومن الفا كهة سلة بدينار وعشرة أرطال شمع بدينار وفسك حمل بلح (٢) وكان راتب الوزير في الدولة السلجوقية عشر مغل البلاد (٢)

(روانب القضاة ) : كان رانب الهاضي في أيام الراشدين مئة درهم في الشهر ومؤونه من الحنطة (١) ثم ارتقى في ايام بني أمية مثل سائر الروانب فصار راتب قاضي مصر سنة ٨٨ ه الف دينار في السنة (٥) أي نحو عشرة أضافه في أيام الراشدين فلما افضت الحلاقة الى بني العباس أثرلت الروانب وصار راتب قاضي مصر في ايام المنصور ٣٠ ديناراً في الشهر . ثم تصاعد في عهد من خلفه حتى بلغ في أيام المأمون (سنة ٢٠٣ هـ) ٢٠٠٠ عدم في الشهر أي نحو ٢٧٠ ديناراً ثم عاد في ايام اين طولون الى الف دينار في السنة (١٠)

( رواتب الحلفاء واهلهم ) : قد رأيت ان الحلفاء كانوا يفرضون الرواتب لاهل الوزراء والكتاب فبالاولى ان يفرضوها لانفسهم واولادهم والحليفة هو الفابض بيده على بيت المال . لـكننا لم نجد قولاً صريحاً جذا الشأن غير ماكان يأمر به الحلفاء لاهلهم من الضياع او الاموال واكثر ماكانوا يفعلون ذلك في أول

<sup>(</sup>١) المقريزي ٤٠١ ج ١ (٧) المقريزي ٣ج ٧ (٣) ان خلكان ٧٣ ج ٢

<sup>(</sup>٤) سرأج اللوك (على هامش المقدمة ) ٢٧٧ (٥) السيوطي ١١٥ج ٢

<sup>(</sup>٦) السيوطي ١١٩ ج ٢

الدولة اذا خافوا أهلهم من مناظرتهم على الملك فيبتاعون البيعة بمال يرضون به أهلهم كما فعل المنصور مع عيسى بن موسى اذ اشترى منه البيعة لابنه المهدي بمبلغ أعلهم كما فعل المنصور مع عيسى بن موسى اذ اشترى منه البيعة لابنه المهدي عملة أعمامه قانه أمر لسكل واحد منهم بمليون درهم تدفع اليهم من ببت المال وهو أول من فعل ذلك (٢) ويظهر أنها كانت تدفع اليهم في كل عام . ولما توفي ابنه المهدي فرض لاهل بيته كل واحد ٢٠٠٠ درهم في السنة (٢) والظاهر أنهم بقوا على نحو ذلك نضلاً كما كانوا ينالونه من الهبات الطائلة وخصوصاً ابناه الحلفاء وولاة عهدهم قان الهادي أمر سنة ١٧٠ ه لابنه الرشيد بمليون دينار وان يحمل اليه نصف الحراج (٢) على أثر ما كان من عزمه على خلمه من ولاية العهد

والظاهر أن الرشيد زاد في روانب أهله . وكذلك المأمون بالفياس على ما كان من زيادة الروانب في خلافته . وكان أعضاء العائلة قد زاد عدهم حتى بلغوا في أيامه ٣٤٠ هـ أبناع من المعتن سنة ٣٤٨ هـ أبناع من المعتن والمؤد جميع ما لها واشهد عليهما بذلك وترك المعتن ما يحصل منه في السنة منه دينار والمؤيد ما يحصل منه منه و درك المعتن ما يحصل منه منه و السنة المعتن ما يحسل منه و درك المعتن ما يحسل منه و السنة المعتن و درك المعتن ما يحسل منه و السنة المعتن و السنة المعتن و السنة المعتن و السنة المعتن و ا

فلما كانت ايام ابن راثق امير الامراء في اوائل الفرن الرابع للهجرة كفت ايدي الحنفاء عن يعت ايدي الحنفاء عن يعت المال وصارت الى رجال الدولة -- وأول من كفت يده الراضي بالله الذي توفي سنة ٣٢٩ هو استبدالفواد ورجال الدولة في الاموال وصارا لحلفاء في حاجة الى الراتب بعد ما ذهبت سيطرتهم عن بيت المال فقرروا لهم راتباً زهيداً (٦)

ويظهر أن الخلفاء لم يكن لهم قبل ذلك روائب مصنة غير ماكان. يصيبهم من الفنائم محسب الشرع — الأ أبا يكر فقد فرضوا له ٢٠٠٠ درهم لما يصلحه ويصلح عياله بالمعروف (١٠ ثم لم نر ذكراً لروائب الخلفاء الى أيام ابن رائق . فلما استولى معز الدولة الديلمي على بنداد سنة ٣٣٤ ه فرض المخليفة المستكفي ٥٠٠٠ درهم كل يوم لنفقاته ولكنه قلماكان يدفعها اليه (٨) يُم كان ما كان من فقر الحلفاء مما يأتى ذكره في حينه

<sup>(</sup>١) ابن الأثير ٢٧٠ ج ٥ (٢) الطبري ٤٢٠ ج ٣ (٣) سير المارك ٩٥

<sup>(</sup>٤) أَبُ الْآثِيرِ ٤٠ ج ٦ (٥) الطبري ١٥٠٧ ج ٣ (٦) النخري ٢٠٤

 <sup>(</sup>٧) المتريزي ٩٠ ج آ ( ( ) ابن الاثير ١٧٦ ج ٨

وفرض الاعطية للملوك وأهلهم عادة جارية عند معظم الام الان والغالب في الدول المتمدنة أن تكون تلك الرواتب معينة في ميزانياتها وهاك رواتبالعائلة المالكة في انكلترا لعام ١٩٠٧

#### رواتب اله ثلة المالكة في انكانرا لعام ١٩٠٢

جنيه انكليزي
11
140 Y
194
٤١ ٢٠٠
٤٧٠ ٠٠٠
-17
14
جنبه مصري
<b>\</b>
<b>۹ 9 9 9 9</b>
97 £78
154 007

و لجلالة السلطان راتب مقداره في الشهر ٧٠٠٠٠ ليرة عُمانيــ ة أو ٩٠٠٠٠٠ ليرة في السنة ما عَدا النفقات والخصصات ( عام ١٩٠٢ )

( روانب حاشية الخليفة ) : وثريد بحاشية الخليفة الموظفين المتعلقة أعمالهم بشخص الخليفة وليس باعمال الدولة كالاطباء والحبجاب والحرس الحاص. ورواتهم من يبتمال الحاصة .وقد يكون لهم رواتب من بيتمال العامة وكانت كبيرة نستدل على ذلك من مخصصات جبريل بن مختيشوع طبيب الرشيد ومنها روانب نقدية

من يبت مال العامة والبعض الآخرمن بيت مال الخاصة واليك	كان يقبض بعضها .
ر في السنة كما وجدوه مدوناً بخط كاتبه ( ١)	
ت جبر ل بن بختيشوع طبيب الرشيد في السنة	مرتبا
, ييت مال العامة	
۱۲۰۰۰۰ راتب نقدي	
٠٠٠٠ النزل	١٨٠ ٠٠٠
ن بيت مال الخاصة	
	•
۰۰۰۰۰ راتب نقدي .	
۰۰۰۰۰ ثباب قيمتها	
۰۰۰ ه هدیة علی عید صوم النصاری	
۱۰۰۰۰ « « يوم الشعانين ثياب قيمتها :	
۰۰۰۰ « « الفطر نقداً	
۱۰۰۰۰ « « ثیاباً	
١٠٠٠٠٠ لفصدالرشيد دفعتين فيالسنة كل دفعة ٥٠٠٠٠	4 24
۰۰۰۰۰ اشرب الدواء « « « « « « ····	ξΥ····
(المجموع)	4
من اصحاب الرشيد نقداً وثياباً واطياباً	
۰۰۰۰ من عیسی بن جعفر	
۰۰۰۰ « زبیدة أم جعفر	
۰۰۰۰ « العباسة	
۳۰۰۰۰ « ابرهم بن عبان	
۰۰۰۰ « الفضل بن الربيع	
۷۰۰۰۰ « فاطمة ام محمد	
۱۰۰۰۰۰ کسوة وطیب ودواب	ξ
(الجموع)	1
1 - 141 -	LN1 -4:1- (1).

١ (١) طبقات الاطباء ١٣٦ ج ١

( مجموع ما قبله ) 1 . . . . . . من البرامكة ٠٠٠٠٠ من يحيي بن خالد ١ ٢٠٠٠٠٠ ﴿ جعفر بن بحيي الوزير ۳۰۰۰۰۰ « الفضل بن محمى Y & . . . . . ۸۰۰۰۰ غاته من ضاعه ٧٠٠٠٠٠ من فضل مقاطعته (計) ミタ・・・・・ فِجْمَلَةُ رَوَاتُبِهِ فَقَطَ ٤٩٠٠٠٠ \$ دَرَهُمْ فِي العَامَ فَاذَا جَمَعَ ذَاكُ فِي مَدَّةَ خَدَمَتُهَا كلها وهي ٢٣ سنة كمان مقدار ما قيضه من مال الدولة المباسية ٢١٢٧٠٠٠٠ درهم بخرج منها ما قطع عنه من مرتبات البرامكة بعد نكبتهم في العشر السنين الاخيرة وهو ٢٤٠٠٠٠٠٠ درهم قالباقي ٨٨٧٠٠٠٠ درهم وهوجملة ما اكتسبه من بدت المال غير الصلات الحسام. وأما ما انفقه فهو: درهم ۲۷ ۹۰۰ ۲۷ نفتاته على نفسه وبيته في السنة ۲۰۰ ۲۰ درهم عنها في ۲۳ سنة ٧٠٠٠٠٠ تمن دور وبسائين ومنتزهات ودواب ورقيق وغيرها ۸۰۰۰۰۰ عن آلات واجر وصناعات ونحو ذلك ١٢٠٠٠٠٠ ما صار في ثمن ضياع ابتاعها لخاصته ٥٠٠٠٠٠ ثمن جواهر وما أعده للذخائر ٣٠٠٠٠٠ ما انفقه في البر والصلات والمعروف ٣٠٠٠٠٠ ما كايره عليه اصحاب الودائم وجحدوه ۱۲۸ ۹۰۰ ۰۰۰ (والمجموع في الاصل ۹۰۰ ۰۰۰ دينار و ۹۰ ۲۰۰ ۹۰ درهم) وقس رواتب سائر الحاشية على هذه النسبة في تلك الايام. فقد كانت غلة صاحب حرس الرشيد ٣٠٠٠٠٠ درهمفي السنة .وغلة صاحب شرطته ٥٠٠٠٠٠ درهم وغلة حاجبه ١٠٠٠٠٠ درهم في السنة (١)

<sup>(</sup>١) طبقات الاطباء ١٣٧ ج ١

(رواتب الجند): ييناً في باب الجند من الجزء الاول صفحة ١٥٥ (طبعة ثانية) كيف كان المسلمون كالهم جنداً وذكر ناما فرضه لهم عمر من الرواتب باعتبار النسب والسابقة وكيف تضاعفت رواتبهم في أوائل أيام بني أمية ثم نقصت في أو اخرها ثم زادت في اوائل بني العباس ثم نقصت حتى صارت في ايام المأمون ٧٤٠ درهماً في السنة للجندي الراجل (النفر) فضلاً عن حصته من العنائم أذا تحزا . ويظهر ان تلك الحصة كانوا مجمسونها عن الجند في صدر الدولة العباسية حتى طلبوا من محمد الأمين سنة ١٩٨٨ هان يردها عيهم أذا غزوا فردها فاصاب الرجل ستة . ثانير (١٠)

ولما قامت الفتنة بين الامين والمأمون كان كل منهما برغب جنده بالاعطيات فلما فاز جند طاهر بن الحسين على جيش على بن عيسى بن ماهان سنة ١٩٥ زاد المأمون أعطيات جند طاهر حتى جمل راتب الواحد عانين درهماً في الشهر ( ٩٦٠ درهماً في السنة ) (٢٠ أي انه أعادها الى ما كانت عليه في ايام السفاح . فلما انتهت الفتنة عادت الى ٧٤٠ درهماً

(الافشين وبابك) فلما أفضت الخلافة الى المعتمم سنة ٢١٨ ه وكانهما كان من اقتنائه الاراك والفراغنة والمفارة وتجنيدهم وضف الخلفاء للاسباب التي قدمناها أصبح مرجع الفوة في كل شيء الى الجند. وكانت فاتحة ذلك النفوذ استفحال أمر بلك الحري في ارمينيا واذر يجان. وكان بلك قد ظهر في أيام المأمون يدعو الناس الى دين جديد أساسه التفمس (٢٠ فيعت اليه المأمون جنوداً هزمهم غير مرة، فلما تولى المعتمم جمل همه قمع بلك لانه أصبح في خطر منه على ملك فيمت اليه الراكه بقيادة رجل منهم اسمه الافشين حيدر بن كاووس سنة ٢٢٠ هم اردفه بأخر اسمه بنا الكبر ومعه المال وآخر اسمه جعفر الخياط ثم انفذ اليه ايتاخ ومعه بأخر اسمه بنا الكبر ومعه المال وآخر اسمه جعفر الخياط ثم انفذ اليه ايتاخ ومعه بأبك بحيلة بنك فيها المال. وجاء ببلك الى سامراً الخرج الواثق بن المعتمم و التي بابك بحيلة بنك فيها المال. وجاء ببلك الى سامراً الخرج الواثق بن المعتمم و التي فائل قد أمن في البلاد نهباً وقتلاً فقتل في عشرين سنة ٢٥٥٥٠٠ فس كان قد أمن فواد المأمون والمتعم من المعتمن على يده لانه

<sup>(</sup>۱) الطبري ۹۷۲ ج ۳ (۲) الطبري ۸۳۰ ج ۳ (۳) ابن الاثير ۱۳۴ ج ۲

المعتصم ان يركبوه على الفيل فأركبوه واستشرفه الناس وكان بلبك عظيم الجنة . أم ادخلوه على المعتصم في داره فأمر سياف بلبك نفسه ان يقطع يديه ورجليه فعطمها فسفط بلبك فأمره فبخه فقمل وشق بطنه وأنفذ رأسه الى خراسان وصلب بدنه في سامرًا . وكان ذلك اليوم يوماً مشهوداً أمن فيه المعتصم على ملكه وعرف ذلك الفضل للافشين ورجاله وكان لا ينفك وهو بواصل الافشين بالمطايا والحلم من يوم خروجه الى يوم رجوعه . فكان يرسل اليه كل يوم خامة وفرساً ويدفع اليه في اثناء اقامته بإزاه بلبك (سوى الارزاق والازال والمعاون) عن كل يوم يركب فيه عشرة آلاف درهم . ولما عاد الافشين تقدم المستصم بنفسه وألبسه وسامين مرصمين بالجوهر ووصله بشرين مليون درهم عشرة ملايين منها لنفسه وعشرة ينرقها في عسكره وعقد له به السند وأدخل عليه الشعراء يمدحونه (١)

قالافشين لم يثبت في محاربة بلك الاطمعاً بالله مع ماكان يواصله به المعتصم من الحلم والاموال في اتفاء الحرب ثم ما دفعه اليه عند رجوعه . وكان الافشين يرسلها كلها الى بلاده حتى وهو في دار الحرب . فكان اذا اجتمع اليه مال من غيمة أو هدية بعث به رأساً ألى بلاه في اشروسنة وراء النهر بطريفة سرية فيجتاز عقم المال بخراسان فيعلم بهم عاملها ابن طاهم فيكتب الى المعتصم بشأنهم والمعتصم يأمره ان يطلمه على كل ما يراه من هذا القبيل . فأتفذ الافشين مرة مالا كثيراً جعله في اوساط أصحابه في الهمايين فبعث بن طاهر وفقتهم فوجد المال ففال «من أبن لم هذا المال » قالوا « للافشين » فأخذه وأظهر أن الافشين لايفعل ذلك والماهم لصوص . فوقعت الوحشة من يومئذ بين ابن طاهر والافشين حتى آل الامر الى حبسه وقد تبين من محاكمته انه لم يعتنق الاسلام الاطمعاً في المال وانه لا يزال على المجوسية (٢)

وقس على ذلك سائر جند المتصم فأنهم آعاكان محار بون لمجرد كسب الاموال وحلها الى بلادهم في اقصى الشرق — فكيف تستقيم دولة هذا جندها — على ان الحلفاء لم يكونوا مجدون بدًا من استصارهم ولا سبيل الى ذلك الا بالمال . فكانوا يذلون لحم الروآنب الكبرة غير ما جبونهم اياء من الهدايا ونحوها اقتداء بماكان.

 <sup>(</sup>۱) الطبري ۲۹۲۲ج ۳ (۲، این الاثیر ۲۰۹ د ۲۱۱ ج ۲

يقعله المتصم ممهم ــ لانه بني لهم سامرًا وأقطعهم فيها الاقطاعات واشترى لهم الجواري فازوجهم منهنً ومنتهم ان يتزوجوا او يصاهروا أحداً من المولدين الى ان ينشأ لهم الولد فينزوح بعضهم الى بعض . وأجرى المجواري الاتراك أرزاقاً قائمة واثبت اسامهر في الدواوين فلم يكن يقدر أحد منهم يطلق امرأته ولا يفارقها (١)

فاذا اعترت هذه النفعات مع ارزاقي الرجال وما قد يخناجون اليه من المؤونة والاخرجة كان انحموع عنايهاً جداً ــ قال الطبري في حوادث سنة ٢٥٧ هـ « وذكر ان ارزاق الأراك والماربة والناكرية قدرت في هذهالسنة فكان مبلغ ما محتاجون اليه في السنة ٢٠٠٠٠٠٠ دينار وذلك خراح المملكة كالها لسنتين » (٢) \_ ونمان المراد ٢٠٠٠٠٠٠ درهم (لا دينار) اذ يُستبعد ان يجتمع هذا العدر من الخراج دنادير في سننين لاننا لو حولناها الى دراهم باعتبار الدينار عشرين درهماً وهي قيمته في ذلك الحن كان خراح المملكة في السنة ٢٠٠٠٠٠٠٠ درهم وقد رأينا خراجها في البات ثروتها لا يزيد على ٠٠٠ ٠٠٠ درهم ـ فالهاق ٢٠٠ مايون درهم على الجند في سنة واحدة امر عظيم جداً وخصوصاً أدا اعتبرنا قيمة النفود في تلك الايام.ولكنه!! يعد شيئاً بالنطر الى نفعات الجند في هذه الايام ( سنة ٣٠ ١٩ ) لان التمدن الحديث اقتضى الاحتياط والتجنيدواعداد المدائحتيكاؤت نففات الجند كثرة فاحشةو خصوصاً اذا اضفنا اليها نفعات الاساطيل ــ فادكاترا مثلا تنفق على جندينها برأ وبحراً نحو ٤٠٠٠٠٠٠ جنيه في السنة اي نحو ١٠٠٠٠٠٠٠ فرىك (أو درهم) وفرىسا تنفق نحو هذا المبلغ وكذلك روسيا . وهو مع اعتبار قيمة النعود بالنسسبة الى تلك الايام لايزال يعادل ضعفي ماكان ينفعه العبآسيون تفريباً ولكننا اعظمناما الففوه بالنظر الى ماكان من طرق انفاق الجند عندهم

ناهيك عاكان يرتكبه الجند العباسي من اغتصاب أموال الناس في منسازلهم وحوانيتهم لافل سبب يحدث والحلفاء لا يعدون ذلك ذنباً لهم بل ربما عنفوا الناس لاتهم لم ينعلوا سامهم وامتعتهم الى مكان لا يعرفه الجند

على أن الحلفاء كانوا ينشطون مطامع الجند فيهم بما كانوا يشرطونه على انفسهم

<sup>(</sup>۱) اليعتوبي (كساب البلدان ) ۳۳ (۲) الطبري ۱۶۸۰ ج ۳

من المال اذا هم معلوا لهم الامر الفلاني حتى في ساحة الحرب. فكانوا آدا احندم الفتال وخاف الخليفة أو الاميرضفاً صاح في جنده « من جا، باسبر فنه عشرة دنانير ومن جا، برأس فله خمسة دنامبر »كما فعل المقدر سنة ٣٢٠هـ (١)

اما رواتب الجند العباسي اي ماكانوا ينعاضونه فدراً معيناً في العام فعد تبين من قائمة نفعات الدواة في أيام المتضد صفحة ١٦ ال ارزاق الجند من الفرسان والمماليك ونحوهم لا تريد على ١٥٠٠٠٠٠ دينار أو ٣٠٠٠٠٠٠ درهم . ثم استفحل أمر الجنود الاتراك بتوالي الاعوام وتعددت فرتهم وترايدت رواتهم مما لا يمكن حصره لانه يختلف المختلاف الازمان والاحوال فضلا على سكوت المؤرخين في هذا النبأل الاما قد نشاوله عرضاً

فعد بلع عدد فرفة الرجالة المصافية الملاز، بن الدار الحايفة المعتدر سنة ٣١٧ هـ ٢٠٠٠ رحل بلغت ره اتبهم ١٧٠٠٠ دينار في السهر أي ستة دنانير كل واحد. وكان عدد الفرسان ١٠٠٠ فارس رواتبهم في كل شهر ١٠٠٠٠ دينار وذلك محو٢٤ ديناراً الحلواحد. أو محو٠٠٠ ١٧ درهم في السنة للفارس و١٤٠٠ درهما للراجل. وكانوا معدلك كثبراً ما يفورون ويطابون الزيادات ويهددون الحليفة بالفل اذا لم يحبهم (٢٠). وتداخلوا في منازل الحلفاه ووضعوا ايديهم على الحلاقة وصاروا لون من شاؤا وإذا أت الاهوال اقنسموها فيا يينهم لا يتركون شها للخليفة أو الديوان الا العليل كما فعل اتامس وشاهت في أيام المستمين بالله سنة ١٤٩ هـ (٣) وكما كان المواد يطمعون بالخلفاء ويستبدون فيهم كاموا أيضاً يستأثر ون بالاهوال وهددوهم وطالبوهم بالاموال وهددوهم ودن افراد الجند حتى كثيراً ما ثار هؤلاء على قوادهم وطالبوهم بالاموال وهددوهم واذا لم روا منهم اصعاء وتلبية قتلوهم . كما هماوا موصبف سنة ٢٥٣ هـ فان الاراك

والفراعنة والانبروسنة ننغبوا وطلبوا أرزافهم لاربعة اننهر فخرج اليهم بغا ووصيف وسيما فكلمهم وصيف بالجفاء وقال لهم « خذوا النراب ليس عنسدنا مال » فوثب عليه بعضهم وقتلوه <sup>(٤)</sup> وكثبراً ما تطلموا الى الحلفاء وشكوا بما صار الى كبرأهم اليه قوادهم من الاقطاعات التي قد أجحفت بالضياع والحراج وما صار الى كبرأهم

(۱) ای الایر ۹۰ ج ۸ (۲) صله باریج الطبری ۱۶۷ --- ۱۵۱ (۳) الطبری ۱۵۱۲ ج ۲ (۱۶ این الاثر ۷۰ ج ۷

البدن الأسلامي ج ٢ (١٩) الطبعة الثالثة

من المعاون والزيادات في الرسوم الفديمة مع ارزاق النسساء والدخلاء الذين قد استعرقوا اكثر أموال الحراج (١) حتى طلبوا التخلص منهم وان يعود الجند الخو الحلفة

( رواتب الجند الآن ) على اتنا اذا اعتبرنا رواتب الجند الاسلامي على اختلاف عصوره من ايام الراشدين الى أواخر الدولة السباسية وقسناها برواتب جنود هذه الايام (سنة ١٩٠٣) وأيناها تزيد عليها زيادة فادحة . فعد وأيت ان راتب الجندي في أيام الراشدين من ٣٠٠ – ٥٠٠ درهم في السنة ثم صار في أيام بني امية الف درهم وتعلب في أيام العباسيين حتى صار في أيام المعتدر ١٤٤٠ درهم للراجل و ١٢٠٠٠ درهم للفارس في السنة – تلك رواتب افراد الجند ( الانفار ) عندهم مع أن راتب النفر في الدولة الانكليزية للرجل سلين والفارس شبين و ٩ بنسات في اليوم ومعدار ذلك في السنة نحو ٥٥٥ فرنكا ( أو درهم ) للراجل و ٢٠٠٠ فرنك الفارس على ان رواتب الجند عندهم تختلف في كل من المشاة والفرسان باختلاف الفرق. ولكنها في كل الاحوال عنليمة بالنظر الى رواتب الجند في الدول الاخرى . وأما بالنظر الى الدولة العباسية فلها صغيرة وخصوصاً اذا اعتبرنا قيمة التقود في الحالين

ومن اسباب كثرة تفعات الجند اليوم كثرة الضباط وكبر رواتبهم وان كنـــا لا نعلم مقدار رواتب ضبـــاك تاك الايام وهم العواد . وهاك رواتـــ الجنـــد الانكايزي من اكبر الضباط الى النفر العسكري في اليوم (٢٠ ثم رواتب الجندين الشاني والمصري

ر واتب اجند الانكايزي في اليوم بالجنيه والشلين والبنس ( سنة ٣٠١ )

	الفرسان			الشاة		
	و	ش	ب	ح	U	ب
الجزال ( المشير )	٨	_		٨		week
الفريق	٥	١.	-	۰	١.	-

<sup>(</sup>۱) الطبري ۱۷۹۳ ج ۳ ، ۳۱ ویتکر ۲۲۰

	القرسان				الشاة	
	ج_	س	ب	<u>-</u>	ش	ب
اللواء	٣	_	_	٣		
اميرالاي	`	•	4	-	١٨.	
قأعمام	•	1	٦.		۸,	-
بكباشي	_	١0		-	٧٣	٧
بوزباشي	_	14	-	- •	11	٧
ملازم أول	_	٧	٦		*	٦.
« ثاني		٦	٨	_		٣
النفر	_	١.	4	_		_
_	-			There is		

رواتب الجند الشمأني في الشهر ( سنة ٣٠١٣ ) رواتب الجند المصري في الشهر

ي د د د د د د د د د د د د د د د د د د د	قرش مصر			قرش عشما
 المشير ( لا يوجد )			المشر	70
الفريق	٧٠٠٠		الفريق	<b></b>
اللواء	70		اللواء	٦
اميرالاي	ξV··		امرالاي	Y 0 · ·
قاعمام	۳		قاعمام	· ١٨··
بكباشي	Y 0 · ·		بكباشى	1 4
صاغقولاغاسي	١٠٠٠		قولاغاسي	٨٠٠
. بوزباشي	4		بوزباشي	•••
ملازم اول	4		ملازم أول	40.
« ثاني	٥	1	« ثاني	***
نقر	٣.	ı	تقر	٧٠

( روانب اخرى ) : كانت سياسة الملك في تلك العصور تفتضي اســـترضاء بِمِضُ النَّاسُ بَمْنَ يَخَافُ الْحَلْفَاءُ أَقَلَامُهُمْ أَوْ السِّنْتُهُمَّ أُو إَحْزَابُهُمْ . لأن المملكة لم تكن تخلو من دعاة يطلبون الحلافة لانفسهم من العلوبين أو الحوارج أوغيره - والملك لا يخلو من حساد يترقبون فرصة للا تعام . وكان العضابة والحماسة يومئذ تأثير على الرأي العام اكثر مما الصحافة في هذه الايام . فالحلفاء العملاء كانوا يؤيرون ملافاة شرور المعاومين بالاحسان اليهم او الرفق بهم فيفطمون السنتهم بالجوائز الوقنية أو بالرواتب بالجارية كما يفعل ملوك هده الايام بالصحافة قان بعنسهم مدفع الرواتب السنوية الى ارباب الصحف في معابل سكوتهم عنه والبعض الاخر يبناع مساعدتهم في انهاض الهمم او جمع كانة الاحزاب . فالسمواء والحطباء ونحوهم كان سأنهم في انهاض الهمم او جمع كانة الاحزاب . فالسمواء والحطباء ونحوهم كان سأنهم في انهاض المناهم المناهم في الإسلام معاوية بن ابى سفيان . فكان سمح النمويع باذبه ولا نحازي عليه الا بالمطاء ولذاك كانوا يسميون عن اجازة الشاعر بعطم باذبه ولا نحازي عليه الا بالمطاء ولذاك كانوا يسميون عن اجازة الشاعر بعطم

واول من حمدي ديك في الاسارة والدائم معاوية بن ابي تفعيل . فعان السعم العوبيم بالم هيان المسعم العوبيم بالم الحالي عليه الآ بالعطاء والدائك كمانوا يصبرون عن اجازة الشاعر بعطم لسامه (١) وكان يقعل ذاك بالشعراء والوحها، وعدرهم . وسار الحلفاء بعده على خطواته و فرضوا الاعطلية لمروحاء الاحزاب من نن هائم والطالبيين ومحوهم وصاروا يهمون الاموال لمن محافوتهم على سلطانهم واكر ماكان بهده الحلفاء من الحوار والعداء الماكان يعطى المدوداك الفرض

وكانوا غرضون الروان أحباءا لأماس يرحون اصربهم على الخرجهم في الملك كما صل الدر في المنافع المنافع المنافع الدر في المنافع الدولة (٢) المنافع المنافع الدولة (١) المنافع المنافع الدولة (١) المنافع ال

ناهيت برواند الحاشية والاعوان ونحوهم بمن تندرج رواتهم فى نفعاتالدولة عدداًيت لهاكانت كبيرة . ومن هــذا العبيل حواشي الامراء والعال والوزراء وغيرهم وقد يبلغ عددهم عند بعضهم بضمة آلاف (١٠٠ أو تزيد

 <sup>(</sup>۱) المسطرف ٣٤ج ١ (٢) الفرسي ٤٥٩ ج ٧
 (٣) العربري ٩٩ ج ١ (٢) ان الاثير ١٨٣ ح ٧

#### عدد أيام الشهور

شرعت الدولة العباسية في زيانة الرواتب في ابان ثروتها ولم تكن تشمر بثغل الله الزيادة لوفرة الاموال الواردة على ببت المال . ثم ما لبنت ان وأت الجباية تتناقص ولم يعد في امكانها تتميص الرواتب بعد ان تمود اسحابها الاسراف والبسدخ واقتناه الحدم والماليك اقتداء مخلفاتهم ولا في الامكان اقالتهم خوفاً من غضيم فعمد الوزراه الى حيلة حسنة اقتصدوا بها شيئاً كثيراً من المال . وذلك أنهم جسلوا الرواتب مياومة فاذا ارادوا نخفيض بعضها وكان مصدار الرواتب الف دينار في الشهر مثلا فبدلاً من ان يجملوه مهم مدار على وزيدون أيام ذلك الشهر فيجملونها أرسس بن يوماً أو خمسين . فأصبح لسكل فئة من الموظفين تمريباً الشهر خاص مختلف عدد أيامه عن أياء أسهر الآخرين

صائمة المقات المعتضد المنشورة في هذا الجزء (صفحة ١٤) مختلف شمهر كل من اسخاب الروانب فيها عن سهر غبره . فالغلمان الذين اعتمهم الناصر كانت أيام سهورهم اربعين يوماً فأساؤا الادب في مطالبة كانت منهم فحلها خمسين يوماً . ما لا يولى المفتضد جعلها سمتين يوماً . والفرسان الاحرار والمميزين كانت مهورهم خمسين يوماً فيحلها تسعين و نسبوا الى التسمينية ثم جعل شهور بعضهم ١٧٠ يوماً وكذلك المرتزقة برسم الشرطة عمديناة السلاء والسمايين . وقس عليهم سائر الموظفين في المرتزقة برسم الشرطة عمديناة السلاء والسمايين . وقس عليهم سائر الموظفين في هذه الهائمة وغبرها . فالذي راتبه الف دينار في الشهر اذا جعل شهره ١٧٠ يوماً كان يسجز بيت المال عنها ويفصر عن تأديتها شهراً بعد شهر حتى يثور الجند فاما أن بخلموا الحليفة أو يقتلوه ويفوز بالحلافة ماحد المال

#### (٤) النفقة على البيعة

رأين في ما تفدم ان الحلفاء في اوائل الدولة العباسية كانوا مجتاجون في تأييد بيعتهم الى استرضاء أهل الحرمبنوكانوا يحملوناليهم الاموال ويبذلون لهم الاعطية ويفرقون فيهم الهدايا . فلما ضعف شأن العرب بعد المعتصم وقوي جند الآراك الممل أمر الحرمين وصارت القوة اليهم أو بالحري الى المالل ــ لان الآراك المما يحاربون مع صاحب المال . وصارت مبايعة الحلفاه راجعة الى خاطرهم او الى من يدفع المال اليهم على ان الحلفاه كانوا من اوائل الدولة يسترضون الجندويكر مونهم بالهدايا عند كل يبعة ويسمون ما يدفعونه اليهم في هذا السبيل «حق البيعة» فلما تولى الامين فرق في الجند رزق ٢٤ شهراً (١١) ولولا ذلك لم يحكم شهراً واحداً . ولى الامين فرق في الجند رزق ٢٤ شهراً (١١) ولولا ذلك لم يحكم شهراً واحداً . والى أراد المأمون أن يبايع لعلي الرضا صرف للجند راتب شهر على أن يصرف لهم الباقي اذا أدركت الغلة (٢٠) فلم يقبلوا ولعله لو عجل لهم بالمال لبايعوا لمن شاه . وكان الباقي اذا أدركت الغلة (٢٠) فلم يقبلوا ولعله لو عجل لهم بالمال لبايعوا لمن شاه . وكان مروان مع عبد الله بن خازم سنة ٢٧ه وكان عبد الملك محارب ابن الزبير في منكة و يخاف منه فبعث الى ابن خازم المذكور بدعوه الى يسته و يطعمه خراسان سبع سنين (٢٠)

وأما بعد أيام المعتصم فاصبحت البيعة نجارة ينالها صاحب المال أو صاحب المخد والمعنى واحد . وكان الجند يسرون نجلع الحلفاء طمعاً بالمال لانهم كما تولى خليفة طالبوه بحق البيعة ورزق ستة أشهر أو سنة أو اكثر أو أقل على قدر مطامعهم (٢) وهناك من أمثال هذه المطالبات ما لا يعد ولا محصى فاتراجع في تاريخ الحلفاء الساسيين . فانشغل الخلفاء بذلك عن سياسة المملكة واختلت الاحكام واصبح همهم منصر فاً الى حفظ أرواحهم واسنبعاء ضياعهم وصارت البلاد فوضى للجند أو لم يستطيع استخدامهم واشغل الناس عن الزراعة والتجارة وأهملت الاعمال بوجه الاجمال

وزاد أهل البلاد شعا- ان قواد الجنسد كانوا اذا اعوزهم المال ولم يكن في بيت المال ما يكني استخرجوه من الاهالي . وكثيراً ماكان محدث ذلك في التاء الحروب بين فرق المجنسد في تنازعهم على تولية أحد الحلفاه . فقد نهب جنسد الديم أموال الناس في بنداد في اتناء الحسام بين ناصر الدولة ومعز الدولة سنة ٣٣٤ هـ بشأن الحليفة المطيع لله وكان مقدار ما نهبوه من أموال المروفين فقط ١٠٠٠٠٠ دينار (٥) ولما عين الحليفة المستكفي شيرزاد أميراً للامراء في تلك السنة زاد هذا

<sup>(</sup>۱) ابن الاثبر ۸۹ ح ۲ (۲) الطبري ۱۰۱۳ ج ۳ (۳) ابن الاثبر ۱۲۸ ج ۶ (۶) ابن الاثبر ۷۵ ح ۸ (۵) ابن الاثبر ۱۷۸ ج ۸

اعطيات الجنسد زيادة كثيرة على جاري عادتهم عند كل يمة لكنه لم بجد في بيت المال ما يعطيهم فقسط الاموال على الممال والعكتاب والتجار وغيرهم وظلم الناس. فظهرت اللصوص في بنداد وأخذوا الاموال لهباً ففر التجار وأصبحت البلاد فوضى (١)

فَآلَ ذَلِكَ وَامْثَالُهُ الَّى تَتَاجِعُ الْآحَنِ عَلَى البِّلَادِ فَتَعَاعِدُ أَهِلَ المُّدَنِ عَنِ العَمْلُكَمَا تقاعد أهل المرى عن الزرع وغلتالاسعار وتوالى الجوع اعواماً علىمدن العراق وخصوصاً بنداد فكثر اللصوص وصاروا طوائفعديدة لا عمل لهم الا النهب عند سنوح الفرصة وخصوصاً في اثناء الفتن . ومنهم العيارون والشطار . ولم يجد الخلفاء مالاً بستأجرون بعضداً لدفع الفتن او الحماد الثورات . على الهم كثيراً ماكانوا يمسكون عن دفع المال ولو كان في خزائنهم لانهم يرون النقوذ لسواهم .كما حدث للمقتدر سنة ٣٢٠ هـ فانه امسك عن دفع الاموال وهي عنده وعند والدَّه حتى أل الامر الى قتله بمساعي مؤنس الخادم . فكان ما فعله مؤس سبباً لجرأة أسحاب الاطراف على الخلفاء وطمعهم فيهم (٢) حتى تجرأوا على نهيهم ومصادرتهم كماحدث المطيع سنة ٣٦١ ﻫ اذ سطا جند الروم من جهة الجزيرة حتى بلغوانصيبينوسبوا واحرقوا ففربعض اهلها الى بغداد يستنجدون الخليفة وجنده وأهل المدينة فشفهالناس وخافوا فطلب بختيار( صاحب الامر يومئذ هناك ) الى الحليفة ان بدفع المال للتفقة على الغزاة لمحاربة الروم فعــال المطبع « أن العراة والنفعة عليها وعلى غــيرها من مصالح المسلمين الزمني أذا كات الدنيا في يدي وتحبي الي الاموال وأما أذا كانت حالي هذه فلا يلزمني شيء وأنما يلزم مَن البـــلاد في يده وليس لي الا الحطبة فاذا شئَّم ان اعـــعزل فعلتُ » فلم ينفعه ذلك الاحتجاج فاضطر الى بيـع ثيام وانعاض داره وغير ذلك لدفع ٠٠٠ ٤٠٠ درهم . فشاع الخبر ان الخليفة صودر . على ان المال المذكور لم ينفق في الغزاة وأنما أضمه مختيار في مصالحه (٢) وما أشــبه حال الخلفاء المباسيين مع جندهم الاتراك بحال سلاطين آل عبان مع جندهم الانكشارية في الفرن الثامن عشر وبعيدهُ ولا ندري كيف كان حالهم لو لم ينكهم السلطان محود الثأني سنة ١٨٢٦

<sup>(</sup>١) ابن اثير ١٧٦ع ٨ (٢) ابن الاثير ٩٠ ج ٨

<sup>(</sup>٣) ابن الاثير ٢٤٤ ج A

فلم يبق في الدولة العباسية والحالة هذه مصدر للمال للهيام بنفعات مصالحها واستبعاء حندها لان الفن أقعدت الناس عن العمل غربت البلاد . ولكن الجند لا بد منه لحفظ السلطة فلها استولى معز الدولة بن نويه على بغداد فيخلافة المطبع شغب الجند عليه واسمعوه الممكروه فضمن لهم إيصال ارزاقهم . ولما اعجزه ذلك من طرق الحلال اضطر الى ضط الناس واخذ اموالهم من عبر وجوهها هم يغنه ذلك شيئاً فارتأى ان يسلم العرى والضياع الى قواده ورجاله ليزرعوها ويسنغلوها فلم أيم اليهم صياع الحلافة وضاع اصحاب الاملاك فيطل لذلك اكثر الدواوين وزالت أيدي العال . وكانت البلاد فد خربت للاسباب التي قدمناها فاسنار الانباع العرى الحامرة فرادت عمازها وتوفر دخلها بسبب الجاء والنفوذ . وأخذ الانباع العرى الحربة فرادت خراباً فردوها وطابوا عبرها وأهملوا الاهمام عمنارب العرى وسوبة طرقها فهلكت وطل كثير منها . أخذ علمان المصلمين في تعميل العاجل بالظلم . وكان عد اكثر من اعطاه علمانه الاراك والزيادة الم في النوائب والحوادب . وكان عد اكثر من اعطاه علمانه الاراك والزيادة الم في النوائب والحوادب . وكان عد اكثر من اعطاه علمانه الاراك والزيادة الم في النوائب والحوادب . وكان عد اكثر من اعطاه علمانه الاراك والزيادة الم في النوائب والحوادب . وكان عد اكثر من اعطاه علمانه الاراك والزيادة الم في النوائب والحوادب . وكان عد اكثر من اعطاه علمانه الاراك والزيادة الم في النوائب والحوادب . وكان عد اكثر من اعطاه علمانه الاراك والمناهم الدياب بنهما (۱)

#### (٥) استشار رجال الدولة بالاموال لاقمسهم

اذا بلغ الدولة الى قمة نرونها واخمس الملك في الترف والعصف ونعاعد عن مباسرة الاحكام بنفسه محول النفوذ الى المحيطين به أو الذين بنوبون عنمه أو ينوسطون بينه وبين الناس كالوزر والعامل والسكاب والحاجب والعائد وأصبح الامر والنهى في أيديهم . فيسا ترون بالاموال لا فسيهم مجمون منها ما استطاعوا ويسر فون ويبذخون على ما تعتضيه أحوالم وأطوارهم . ولا يكون دلك الا في الدولة المطلمة التي ليس على أعمالها مراقب ولا محاسب . فمن ينوب عن الملك من اوزراه او السكتاب أو الحجاب في عصر الترف والتعاعد يكون له نحو ذلك النفوذ وخصوصاً في مثل الدولة الساسية لان وزراه ها وكتلها من أمة لم تعم دولتهم الا بها ولم يزم عدم الا بعلمائها . واذلك كان الوزراه في هذه الدولة السكلة النافذة

<sup>(</sup>۱) ابن الاثير ۱۷۹ ج ۸

والسيف القاطع حتى في البان تمدُّها — اعتبر ماكان من دوذ البرامكم في ايام الرشيد وماكان من احرازهم الاموال لانفسهم حتى كمان بحتاج الرشيد الى اليسير من المال فلا يقدر عليه <sup>(1)</sup> فلما غلوا يديه عما كانت تتطلبه نفسه مر الترف والاستبداد <sup>(۲)</sup> نكبهم على ما هو مشهور كما نكب المهدي قبله وزيره يمقوب بنداود وكان قد استوزره وسلم اليه الامور وقوض اليه الدواوين وانشغل المهدي عنه باللهو وسماع الاغاني فعظم ذلك على الناس وخصوصاً العرب فهجوا يمقوب ومن ذلك قول بشار من مرد

بني اميـة هبوا طال نومكم ان الخليفة يعقوب من داود ضاعت خلافتكم ياقوم فالتمسوأ ﴿ خلافة الله بين الناي والعود <sup>(٢)</sup> ووثئى بمض الناس ألى المهدي بذلك فاستدعاه وقبض عليه وسجنه وظل في سجنه أعواماً طوالاً

وكما أَتَفَق للمَّامُون مع يحيي بناكمُ القاضي اذ عهداليه بتديير مملكته واكرمه نحو اكرام الرشيد للبرامكم (<sup>() ث</sup>م لم يكن راضياً عنه ولذلك فلما دنت وفاة المأمون أوصى أخاه المتصم قائلاً « لا تَخذُنْ وزَيراً تلقي اليه شيئاً فقد علمت ما نكبني به يحيى بن اكم في معاملة الناس وخبث سيرته » (°). وكان العرب يكرهون الوزراء خصوصاً لائهم في الغالب من الفرس وكانوا يصفونهم بالحيين والبخل وقبول الرشوة — قال اعرابي يصف وزيراً

ومظهر نسك ما عليه ضميره يحب الحدايا بالرجال مكور أغال به جيناً وبخلاً وشيمة تخبر عنه أنه لوزير (٦)

على ان الوزراء كثيراً ما كانوا يمنعون المال عن الحلفاء ضناً ببيت مال المسلمين أن يذهب في الاسراف لا طمماً به لانفسهم كما اتفق للواثق مع وزيره ابن الزيات اذ اعجبه صوت غنته جارية اسمها علم فامر لصاحبها بخمسة آلاف دينار فمطل ابن الزيات في دفعها فغضب الواثق وأمره أن يدفع ضعفي ذلك المال فدفع اليه ١٠٠٠٠ ديئار <sup>(۷)</sup>

<sup>(</sup>۱) المسمودي ۲۰۱ ج ۲ . . (۲) الطبري ۱۳۳۲ ج ۳ (۳) الفخري ۱۳۳ (3) ابن خلكان ۲۱۷ ج ۲ . (۵) الطبري ۱۱۳۹ ج ۴ (۲) الطبري ۱۸۸۸ج ۳ . (۷) ابن الاثير ۱۳ ج ۷

الندن الاسلامي ج ٧ ( +٧)

وكان الوزراه زِدادون نفوذاً واستثناراً بالمال بزيادة ضعف الحلفاء حتى صارت معظم الاموال اليهم

(الوزرائم): بلغ من ثروة الوزراء ما يشبه ثروة الخلفاء أو يبت المال في أيم الزهو كأن الاموال تحولت من يبت المال الى بيوت هؤلاء الناس وصارت الوزارة مطمح انظار اهل المطامع بيذلون الرشى ويقدمون الحمدايا رغبة فيها على أنها كثيراً ما كانت تعرض عرضاً على من يقوم بنففات الجند (۱) ولكن الفال ان تبذل الاموال في سبيل الحصول عليها اما رأساً الى الحليفة كما فعل ابن مقلة اذ بذل ٥٠٠٠٠ دينار حتى استوزره الراضي في اوائل القرن الرابع للهجرة وكما فعل ابن جهير اذ ابتاع الوزارة من القائم بامر الله يملغ ٥٠٠٠٠ دينار (٢) او بواسطة واحد من خاصة الحلفاء يستخدمونه بالمال. وهم لم يكونوا يفعلون ذلك الا لاعتقادهم أنهم يسترجمون في اثناء وزارتهم اضعاف ما بذلوه بما تصل السه المديم من الرشوة من تولية المال والنظار والكتاب وغيرهم

ومن غريب ما يحكى عن ارتشاه الوزراه ان الحاقائي وزير المقتدر بلغ مرس سوه سيرته في قبول الرشوة انه ولى في يوم واحد تسمة عشر ماظراً المكوفة واخذ من كل واحد رشوة فامحدروا واحداً واحداً حتى اجتمعوا جميماً في بعض الطريق فقالوا كيف نصنع فقال احدهم ينبغي ان اردتم النصفة ان ينحدر الى الكوفة آخرنا عهداً بالوزير فهو الذي ولايته صحيحة لانه لم يأت بعده احد فاتفقوا على ذلك فتوجه الرجل الذي جاه في الاخير نحو الكوفة وعاد الباقون الى الوزير ففرقهم في عدة اعمال. وهجاه بعض الشعراء بقوله:

وزير لا يمل من الرقاعة ولي ثم يمزل بعد ساعة ويدني من تسجل منه مال ويبعد من توسل بالشفاعة اذا أهل الرشى صاروا اليه فاحظى القوم أوفرهم بضاعة (٢) وكانت الاموال برد على الوزراء من العمال وغيرهم من موظني الدولة ضريبة

في كل عام بصفة هدية استبقاء لرضاهم

على أن بعضهم وهو نادر لم يكن يقبل الرشوة ولايعمل الا بالحق مثل عبيدالله

<sup>(</sup>١) ابن الاثير ٨٣ و٨٦ ج ٨ وصلة ثاريخ الطبري ٧٩

<sup>. (</sup>۲) النخري ۲۵۳ و ۲۳۳ (۳) النخري ۲۶۱

أن محى بن خاقان وزير المتوكل على الله قانه كان عفيفاً -- ذكر الفخري أن صاحب مصر حمل اليه ٢٠٠٠٠٠ دينار وثلاثين سفطاً من الثياب المصرية على عادته مع غيره من الوزراء فلما أحضرت بين يديه قال لوكيل صاحب مصر «لا والله لا أقبلها ولا اثقل عليه بذلك » ثم فتح الاسفاط وأخذ مها منديلاً وضه تحت فخذه وأمر بالمال فحمل الى خزانة الديوان وصحح بها وأخذ به دوراً الصاحب مصر (١)

ومن الوزراء الذين اشتهروا بالعفة وصدق الخدمة على بن عيسى وزير المفتدر وهو صاحب جريدة الخراج التي نشر ناها صفحة ١٠٧ من هذا الجزء. ولا بخلو ان يكون غيرهم قد اخلص الحدمة ولسكن يقال بالاجمال ان الوزراء في عصرالتفهقر العباسي قلما كانوا يتولون الوزارة الاطمعاً با خــتزان الاموال . فان أبا الحسن ن الفرات وزر للمقتدر ثلاث دفعات الاولى سنة ٢٩٦ هـ بقى فيها ثلات سنين فحكان مقدار ما اجتمع عنده من المال يساوي ٧٠٠٠٠٠ دينار اخذت كاما مصادرة. ثم عاد الى الوزارة سـنة ٣٠٤ وخلع سنة ٣٠٩ ثم عاد ثالثة سنة ٣١١ وخلع سنة ٣١٧ فمجموع المدة التي مكث بها في الوزارة في الدفنتين الاخبرتين نحو ثلاث سنوات فكان عنده لما خلع أخسيراً ما يزيد على ١٠٠٠٠٠ دينار وضياع يستغل منهاكل سنة ٢٠٠٠ ٠٠ دينار (٣) ومع ذلك لم يذكره المؤرخون بسوء لفرط كرمه واحسانه . وكان اذا ولي الوزارة يغلو الثلج والشمع والكاغد لكثرة استعماله له لانه ماكان يشرب أحد كاثناً من كان في داره في الفصول الثلاثة الا الماء المثلوج ولاكان أحد يخرج من عنـــده بعدَ الغروب الا وبين يديه شمعة كبيرة نقيــة . وكان في داره حجرة معروفة بحجرة الـكاغدكل من دخلها واحتاج الى شيء منه اخذه (٣) وكان يطلق لاسحاب الحــديث عشر بن الف درهم وللشعراء عشرين الف درهم ولاصحاب الادب ٢٠٠٠٠ درهم وللفقهاء ٢٠٠٠٠ درهم وللصوفية ٢٠٠٠٠ <sup>(1)</sup> وكان يجري الرزق على خمسة آلاف من اهل العلم والدين والبيوت والفقراء وأكثرهم ١٠٠ دينار في الشهر وأقلهم خمسة دراهم ومأ

<sup>(</sup>۱) الفخري ۲۱۳ (۲) أبن خلكان ۳۷۲ج ۱

 <sup>(</sup>٣) الفخري ٢٤٠ (٤) إن الاثير ٥٧ ج ٨

بين ذلك<sup>(١)</sup> فنطى الكرم طمعه كما غطى طمع البرامكة قبله وقطع ألسنة الشعراء وكسر أقلام المؤرخين

وهناك كثيرون من الوزراء جموا اموالاً طائلة والغمسوا في أنواع الـــترف والبذخ وذلك طبيعي في الدول المنظمة على الطرق القدعة . لان الوزراء كأنوا يجمعون الاموال الكثيرة حيثما كانوا في المراق أو في مصر أو الاندلس . فقد خلف المارداني وزير بني طولون بمصر من الضياع الكبار ما قلما ملك أحــد قبله وارتفاعها ٠٠٠٠ دينار كلسنة سوى الخراج وقد وهب وأعطى وأفضل وحج ۲۷ حجة انفق في كل منهـــا ٠٠٠ أ ١٥ دينار (٢) . ويعقوب تن كلس أول وزراء الفاطميين كان في جملة املاكه اقطاع في الشام دخله ٣٠٠٠٠٠ دينار في الســنة وخلف أملاكاً وضياعاً وقياسر ورباعاً وخيلاً وبغالا ونوقاً وغــير ذلك ما قيمته ٤٠٠٠٠٠ دينار غير ما انفقــه في تجهنز ابنته وهو ٢٠٠٠٠٠ دينـــار وخلف ٨٠٠ حظية سوى جواري الحدمة وأربعة آلاف غلام عرفوا بالطائفة الوزيرية (٦٠ وخلف الافضل أمير الجيوش وزبر المستنصر الفاطمي مالم يسمع عشله وذلك ٦٠٠٠٠٠٠ دينـــار عيناً (١) و ٢٥٠ أردب دراهم قد مصر و ٧٥٠٠٠ توب ١٢٠٠٠ دينار ومئة مسهار من ذهب وزن كل مسهار مئة مثقال في عشرة مجالس في كل مجلس عشرة مسامير على كل ممهار منديل مشدود مذهب بلون من الألوان ايما احب لبسه و ٥٠٠ صندوق كسوة ما عـدا الحيل والبغال والماشـية والحواري والبيد ما لا بحصه عدُّ (٥)

وقس على ذلك احوال الوزراء في الاندلس فان هدية الوزير ابن شهيد لعبد الرحمن الناصر سنة ٣٢٧ هـ تدل علىمقدارتلك الثروة فقد أوردها ابن خلدون والمقرى وفصلها هذا الاخير تفصيلاً حسناً في ثلاث صفحات كبرة (١٦)

<sup>(</sup>١) أبن خلكان ٣٧٧ ج ١ (٣) المتريزي ١٥٥ ج ٢ (٣) المتريزي ٦ ج ٢ (٤) وهو في الاصل ستائة الف الف دينار ولا بد من خطأ تطرق الى نصه اذ لا يسقل أن يجتمع هذا المال عند واحد وهو يفوق مجموع خراج مصر لمئة سنة فالارجح ال يكون المراد ستين الف الف ديناركما قلنا . ويستبمد ان يكون المراد دراهم بدل دنانير لان اموال مصر قلما قدرت بالدراهم (٥) أبن خلكان ٢٣٣ج ١ (٦) عنع الطيب ١٦٨ ج ١

وحدث نحو ذلك في الدولة الشانية في المن ثروتها وبعيدها فكان الوزراء يقتنون الضياع الواسمة ويحتالون في استغلالها بان يعفوها على بعض المساجد بشرط ان يستولي ورثتهم على معظم ريعها ليخلصوا أنفسهم من خراجها أو عشورها (١)

أما الابواب التي كان وزراء الدولة العباسية يكتسبون الله الاموال بها فكثيرة من جلتها قبول الرشوة في التوظيف كما تفدم وما برد عليهم من هدايا العالى السبب نفسه . ومنها اغتصاب الضياع بما لهم من النفوذ فيسنولون على ما شاؤا بغير حساب ناهيك بما كانوا يمدون اليه ايدبهم من أموال الحراج الواردة الى الديوان وقد تقدم ان طرق دفاتر تلك الايام لم تكن تمنع الاختلاس أو تظهره

ومن أبواب الكسب أيضاً ان بعض الموظفين كانوا يحتاجون الى رواتبهم وهم مشغولون بما هم فيه من الحدمة ولا سبيل لهم الى المال فكان بعض الوزراء يعيم من قبله أناساً يشترون توفيعات ارزاق أولئك الموظفيين بنصف قيمتها ثم يعبضها هو كاملة (٢) وكانوا يفعلون نحو ذلك أيضاً في رواتب الففها، وارباب البيوت فكأنهم كانوا يقاسمون الناس على اضاف رواتبهم . وهو أيجار بروأتب الموظفين فضلاً عن اتجارهم بالارزاق وعما كانوا يكتسبونه بمن يضمن بلداً أو خراجاً على سبيل الرشوة اوالاقتسام وما كانوا يغتصبونه من التجار بنفوذهم واغضاء الحالفاء عنهم (٣) وكانوا يسمون ما يكتسبه الوزراء على هذه الصورة «ممافق الوزراه» وكانت مشهورة بين الناس . ومن ممافقهم ايضاً تنفيص عيار النقود فكانوايضر بون الدنانير مشهورة يبن الناس . ومن ممافلهم ايضاً تنفيص عيار النقود فكانوايضر بون الدنانير

تلك كانت حال الوزارة وفي ايديهم الحل والعفد ومع ذلك قالحاناء هم المطالبون بأرزاق الحِند. وقد علمت ماكان من أمر الاتراك واستبدادهم في الحلفاء ومطالبتهم بالاموال لارزافهم ونفقاتهم فلم يكن يرى الحلفاء سبيلاً الى ذلك الا بمطالبة الوزراء قاذا لم يدفعوا أخذوا المال منهم بالقوة وهو ما يعيرون عنه بالمصادرة . وكانت المصادرة رائجة في عصر التقهقر اذ لم يكن من سبيل الى سد نففات الدولة الا بها ولا يكاد يتولى وزير الا انهت وزارته بالصادرة أو بالقتل او بهما جميعاً

Porters's Const. Hist. of Turkey, Ms. (1)

<sup>(</sup>Y) ابن الاتير ١٤٨ج ٨ (٣) الطبري ٧٠٣ ح ٣ (٤) اب الاجر ١٤٩ ح ٨

(المصادرة) : هي قديمة في الاسلام تنصل بسصر الراشدين وأول من صودر المال. فكانوا اذا اكتسبوا مالاً من تجارة أو سبيل آخر غير مرتباتهم المفروضة أخذ الخلفاء نصفه وأضافوه الى بيت المال — كذلك فعل عمر بن الخطاب بعماله على الكوفة والبصرة والبحرين (١) وكانوا يسمون ذلك مقاسمة أو مشاطرة . فلما أفضت الامور الى بني أمية وكان ماكان من استبداد عمالم وطمعهم في أموال الجبابة أصبح الخلفاء في أواخر اللولة لا يعزلون عاملاً عن عمله الاحاسبوه على ما عنده من المال واستخرجوا ما تصل اليه أيديهم من أمواله وكانوا يسمون ذلك « استخراجاً »

ولما تستم المباسيون منصة الخلافة كان معظم العمال في أوائل الدولة من أخوتهم وأعمامهم ولم يكن ثمة ما يدعو الى الاستخراج أو المقاسمة ولو ساءت سيرة بعضهم . ثم انتقلت الاعمال الى رجال الدولة من غير أهلهم فجنح العمال الى الطمع والعنف في استخراج الاموال حتى في أيام المنصور فكان لا يعزل عاملاً الا قبض ماله وتركه في بيت مال مستقل ساه « بيت مال المظالم » (٣) وتكاثر تعدي العمال في أيام المهدي ( سنة ١٥٨ — ١٩٨ ه ) فاضطر هدذ الحليفة الى النظر في المطالم العمال العمال . ثم نظر فيها بعده الهادي فالرشيد فالمأمون الى المهتدي في أواسط القرن الثالث

وعمن نبه الحلفاء الى مظالم العمال الوزراء لأنهم كانوا بباشرون الاعمال عن الحلفاء وخصوصاً البراءكمة فكانوا اذا استشارهم الحليفة في ولاية عادل بينوا له ما يعلمونه من هذا القبيل — استشار الرشيد وزيره يحيي بن خالد في تولية خراسان علي بن عيسى بن ماهان فاشار عليه أن لا يفعل خحالفه الرشيد وولاه اياها . فلما شخص علي اليها ظلم الناس وجمع مالاً كثيراً ووجه الى الرشيد هدايا من الحيل والرقيق والنياب والمسك والاموال لم ير مثلها قط . فلما وصلت الحمدايا الى الرشيد أعجب بها وكان يحيى الى جانبه فقال له الرشيد « يا أبا علي هذا الذي أشرت علينا ألا توليه هذا النم فقد خالفناك فيه فكان في خلافك البركة » فقال « يا أمير المؤمنين جملني الله فداهك انا وان كنت أحب أن أصيب في رأيي وأوفق في مشورتي فاني أحب أن يكون رأي أمير المؤمنين أعلى وفراسته ائقب وعلمه و مسورتي فاني أحب أن يكون رأي أمير المؤمنين أعلى وفراسته ائقب وعلمه و مساورتي فاني أحب أن يكون رأي أمير المؤمنين أعلى وفراسته ائقب وعلمه و مساورتي فاني أحب أن يكون رأي أمير المؤمنين أعلى وفراسته ائقب وعلمه و مساورتي فاني أحب أن يكون رأي أمير المؤمنين أعلى وفراسته ائقب وعلمه و المساورة به فانه المؤمنين أعلى وفراسته ائقب وعلمه و المناب المؤمنين أعلى وفراسته المقب و المساورة به في المناب المؤمنين أعلى وفراسته القب و المساورة به في المؤمنين أعلى وفراسته المقب و المناب و المساورة به فانه المناب و المناب و المناب و المساورة به فانه المناب و المساورة بها و المناب و المنابع و المنابع و المنابع و المساورة به و المنابع و

<sup>(</sup>١) اليمقوبي ١٨١ ج ٢ والبلاذري ٨٣ و ٣٨٥ (٢) الطبري ١٥٤ ج ٣

اكثر من علمي ... ان لم يكن وراء ذلك ما يكره ... ان هذه الحمدايا ما اجتمعت لهذا العامل حتى ظلم فيها الاشراف واخذ اكثرها ظلماً وتعدياً . ولو أمرني أمير المؤمنين لاتيته بضعفها الساعة من بعض تجار الكرخ »

قال الرشيد « وكيف ذلك » قال « قد ساومنا عوناً على السفط الذي جاء به من الحوهر فاعطيناه به ١٠٠٠ ٠٠٠ قابي أن يبيمه فابعثُ اليه الساعة محاجبي بأمره أن يرده الينا لنميد فيسه نظرنا فاذا جاء به جحدناه وربحنا ٢٠٠٠ ٠٠٠ مُ كنا نفمل بتاجرين من كبار التجار مثل ذلك » (١) وفي كلام يحيى دليل صربح على ماكان يستطيعه الوزراه والعمال من جم الاموال بلا حساب

وقد رأيت أن الطمع تطرق الى العمال حتى في أيام الزهو العباسي ولسكن البرامكة أخلصوا المشورة فغلوا أيدي العمال عن الظلم . فلما نكب البرامكة كان في من جاء بعدهم من الوزراء المخلص وغير المخلص فاطلقت أيدي العمال وأحرزوا الاموال لانفسهم وكانوا يسترضون الوزراء بالرشوة كما تقدم حتى استفحل أمرهم واكتنزوا الاموال الطائلة

(الممال): وغنى الممال ميسور في تلك الاعصر بالنظر الى استقلالهم في اداريم وشؤويم وخصوصاً عمل الاستبلاء المفوضين في كل شيء. وأبواب الكسب عندهم كثيرة: منها ان العامل اذا جاء عمله فاول شيء يتوقعه أن يحمل اليه الناس الهدايا وفيها الدواب والجواري والاموال والثياب ما يبلغ مقداره شيئاً كثيراً (٢٠ وقد يترك ذلك في مقابل ما يقدمه العمال من أمثال هذه الهدايا الى الخليفة أو الوزير او الفهر مانة أو الكانب أو الحاجب أو غيرهم من حاشية الخليفة و الوزير او الفهر مانة أو الكانب أو الحاجب أو غيرهم من حاشية والاخشاب وغيرها (١٠) ناهيك عاكانوا بخترعونه من صنوف الضرائب وتحصيل بمضها مرتين أو ثلاث مرات تبعاً لما تقتضيه حاجتهم الى المال في ارضاه الوزراء او لاذخاره والانتفاع به عند الاعترال من المتصب، ومن أوسع أبواب الضرائب كساً لهم الممكوس على التجارة . فقد ذكر المقدمي ان ثلث أموال تجار الهين كان يذهب الى السلطان (٥٠) وكانوا يأخذون على حمل الحنطة هناك ضف دينار

<sup>(</sup>۱) الطبري ۲۰۷ ج ۳ (۲) ابن الاثير ٥١ ج ٦ (۳) Ein. Abb 80 (۳) ابن الاثير ٥١ ج ٦ (٣) (١٠٤ القدري ١٠٩ (٤) القدسي ١٠٤ (٤)

ومن أبواب الكسب للمال أن يفق العامل على بناء بيت أو جسر أو على حفر برعة أو بهر الف دينار مثلاً ويطالب بشهرة آلاف أو مثة الف وربما قدروا ما ينفعون فيه عشرة دنانير بستين الف دينار (۱) فضلاً عن اغتصاب الضياع وغيرها (۲) وما قد يجتمع لهم من فروق الاموال التي يقبضوبها من الحراج بين الفضة والذهب — فهل من عجب بعد ذلك اذا بلغت أموال محمد بن سلمان عامل الرشيد على البصرة ۲۰۰۰۰۰ درهم سوى الضياع والدور والمستغلات أوكان الرشيد على البصرة ناب الرشيد الا الجنوح الى الاستخراج وهو المصادرة وكان النالب في بادى الرأي أن يقبضوا أموال العمال بعد موتهم كما ضلوا وكان الغالب في بادى الرأي أن يقبضوا أموال العمال بعد موتهم كما ضلوا بعجمد بن سلمان المذكور ثم صاروا يستخرجون أمواله موهم أحياه كا ضل الرشيد بمني بن عيسى قاله عزلة واستصفى أمواله المذكورة وحملها مع خزائنه واثانه على بهلي بن عيسى قاله عزلة واستصفى أمواله المذكورة وحملها مع خزائنه واثانه على مداره في بلغ في قد دفنها في بستان مداره في بلغ في المناره في بلغ في المنارة في بلغ في المنارة في بلغ في المنارة و المناره في بلغ في المناره في بلغ في المناره في بلغ في المنارة والمنارة في بلغ في المنارة المنارة في بلغ في المنارة و المنارة المنارة و المنارة المنارة المنارة و المنارة المنارة المنارة و المنارة المنا

(مصادرة الوزراء): على ان مصادرة العمال لم يطل أمرها لاستقلالهم بعد قليل فاصبح المطلوب منهم لبيت المال في الفالب مالاً معيناً في العام على سبيل الضان ونحوه. وتحو لت الثروة المنتصبة الى الوزراء وفسدت النيات فلم يجد الحلفاء سبيلا لسد عوز بيت المال الا بمصادرتهم — لا يرون في ذلك جوراً ولا سُدة لاعتبارهم ما في أيديهم مختلساً من حقوق بيت المال

بدأت مصادرة الوزراء في الدولة العباسية من أولها ولكنها كانت في أول الامر على سبيل النكبة والعرض منها الانتفام من الوزير لجرعة سياسية أو التخلص منه لفرض آخر . ومن هذا ألهبيل مقتل ابي سلمة الحلال أول وزراء بني العباس فبعد ان أيد دعوتهم بامواله كما أيدها أبو مسلم الحراساتي بسيفه وشي الى السفاح انه ينوي اخراج الدولة من أيديهم فاوعز الى ابي مسلم فقتله ثم أصاب ابا مسلم من المنصور مثل تلك النكبة ـ ويقال نحو ذلك في نكبة البرامكة في أيام المرشيد والفضل بن مروان في أيام المتصم . وفي نكبة الفضل هذا رغبة في قبض أمواله لان المعتمم نكبه سنة ٢٢١ ه واخذ من داره ٢٠٠٠ دينار واثاثاً وآنية

<sup>(</sup>۱) Ein. Abb. 76 (۱) اللوردي ۷۸ (۳) السودي ۱۸۸ ج <del>y</del> الخبري ۷۸ (۳) النبري ۱۸۸ ع ۳ (۰) ابن الاثير ۸۱ ع ۲

قيمتها ١٠٠٠ ٠٠ دينار<sup>١١)</sup> . ولما تمكن الانحطاط من الدو**ل**ة صار النرض من مصادرة الوزراء مجرد الاستحواز على أموالهم

وبلغت المصادرة معظمها في ايام المفتدر ( سنة ٢٩٥ - ٣٣٠ هـ ) لان الوزراء استخفوا به لصغر سنه وافضى تدبير الامور في ايامه الى امه و نسائه وخده. فكانت دولته هدور امورها على قدبير النساء والحدم فحر بت الدنيا وخلت بيوت الاموال وخلع واعيد ثم قتل (٢) وكثر تبديل الوزراء في ايامه وكثرت مصادراتهم . وأولهم ابن الفرات وزر له ثلاث مرات وقد تقدم ذكر ما احتشده من الاموال وقد صودر فاخذت كلها منه . وخلفه الحاقاني وكان سيء السيرة كما تقدم . ثم على بن عيسى وكان فاضلاً ورعاً حاول اصلاح الامور فلم يستطع لتمكن الفساد من عرى الله بن عمد . واحد بن عبيد الله بن الخميب . ومحد بن على بن مقلة الحطاط الله بن محمد ، واحد بن عبيد الله بن الحصيب . ومحد بن على بن مقلة الحطاط الشهير . وسلمان بن الحسن بن خلد . وعبيد الله بن محد المحلواذي . والحسين بن المساردات في أيام المقتدر لفير الوزراء حتى القضاة والنساء والخدام . ورعا وكثرت المصادرات في أيام المقتدر لفير الوزراء حتى القضاة والنساء والخدام . ورعا راد مجموع ما قبضه من المصادرة على من معلى في غير وجه نيفاً و ٢٠٠٠٠٠٠ دينار حلى انهم قدروا صوى ما انفقه في الوجوه الواجبة (١) وقس على ذلك أحوال سائر الوزراء سي ما انفقه في الوجوه الواجبة (١) وقس على ذلك أحوال سائر الوزراء

فأصبحت المصادرة بتوالي الايام المرجع الرئيسي في تحصيل المال — فالعامل يصادر الرعية والوزير يصادر الناس على اختلاف طبقاتهم . على ان الحلفاء لم يكونوا يعمدون الى المصادرة الاعند حاجتهم الى المال لارزاق الجند أو لنبرها من نفقات الدولة كما تعمد دول أورا اليومالى عقد القيروض لسد ما يعرض لها من النفقات اللازمة لحرب أو مشروع كبير

وكان الخلفاء يمتبرون اموال أولئك الوزراء أو العمال حقاً لبيت المال قداعتصبوه فاسترجاعه لا يمد جوراً أو اجحافاً . وقد نجاهم ذلك من اثقال الدين الاهلي الذي تكن تحت عبثه معظم دول العالم المتمدن اليوم فيذهب نحو ربع دخلها أو ثلثه في وقائه

<sup>(</sup>۱) ابن خلكان ١٥٤ ج ١ (٢) الفخري ٢٣٣ (٣) الفخري ٢٣٩ - ٢٤٩ (٤) ابن الاثير ٩٠ ج ٨

التمدن الاسلامي ج ۲ (۲۱) الطبعة الثالثة

أو استهلاكه وتضطر الى استنباط الضرائب من أجل ذلك حتى اصبحت تلكالدول وخصوصاً انكلترا تكلف الناس جعلاً على كل عمل يرجون به كسباً

(الكتاب): وهناك فئات أخرى من موظّني الدولة كانوا يستأثرون بأموالهم ومنهم كتاب الخراج ويهون ذلك عليهم لابهم يباشرون مصادرالجباية رأساً. وقد كانوا يطمعون بتلك الاموال في أيام بني أمية فما بعدها . ولكنهم لم يشع امرهم ومخشى شرهم الا في عصر التهفر العباسي . فامر الواثق سئة ٢٧٩ ه بحبس الكتاب والزامهم مالا كثيراً استخرجه منهم بالعنف (١) وفعل نحو ذلك المعتر سنة ٢٥٥ ه (٢) . ومن الكتاب الذين اشتهروا بالغنى من مهنة الكتابة بيت المادراني عصر (٦)

ولم يكن الننى خاصاً بكتاب الدواوين بلكان يتناول كلكاتب من كتاب اهل الحلفاء وغيرهم . وكانت اكثر اموالهم تؤخذ بالرشوة والاختلاس حتى اشتهروا بالظلم كما اشتهر الوزراء وهجاهم الشعراء كما هجوا هؤلاء — من ذلك قول بعضهم وهو يمدح احد الامراء بالحزم والسهر على مصلحة الدولة :

هو ما علمت من الامير فما الذي تزداد منه وفيه لا يرتاب لا تتقي الاجناد في ايامه فقراً ولا يرجو الغنى الكتاب وقال ابن حبيبات الشاعر الكوفي يهجو الوزير والكاتب معاً:

ونحجا خالد بن برمك منها اذ دعوه من بعدها بالامير اسوأ العالمين حالاً لديهم من تسمى بكاتب أو وزير (١) وكان من ابواب الكسب عند الكتاب ارتشاؤهم للتوسيط في تولية العمال أو سواهم كما فعل احمد بن ابي خالد الاحول كاتب المأمون في توسيطه لدى المأمون بتولية طاهر بن الحسين خراسان وقد شرط له على نجاحه في ذلك ٣٠٠٠٠٠٠ دره (٥) وكان كتاب الدواوين في الولايات يشاركون العمال في ما يأتيهم من الحمدايا

أو من الرشوة وقد يقاسمونهم على النصف (٦) ( الحجاب ) : وكانت ثروة المملكة عرضة لمطامع كل من كانت له دالة أو وساطة لدى ولاة الامر وخصوصاً الحجاب الذين يقفون بابواب الحلفاء فأنهم من

<sup>(</sup>١) الطبري ١٣٣٠ ج ٣ (٢) ابن الاثير ٨٥ ج ٧ (٣) المقريزي ١٣٣١ ج ١

<sup>(</sup>٤) الفخري ١٥٨ (٥) اليعقوبي \$00 ج ٧ (١) المتريزي **٩٩** ج ١

اكثر الناس دالة عليهم فكانواكثيراً ما يستخدمون تلك الدالة لاكتساب الاموال من تقديم الداخلين أو تأخيرهم والاذن لهم أو منعهم فكانوا يرتشسون لتعجيل في الاذن بالدخول على الحلفاه وكان ذلك شأنهم حتى في تصر الراشداين ــ قال المغيرة ابن شعبة « ربما عرق الدرهم في يدي ارضه ليسهل اذبي على عمر » (١) وكثيراً ماكانوا يتوسطون في تولية المناصب بالرشوة كما نوسط الربيع حاجب المنصور ليعقوب ابن داود بمنصب الوزارة برشوة مقدارها من ١٠٠٠ دينار (٢) ويقال نحو ذلك في كل من يتوفق الى دالة على الخليفة أو الامير ولوكان خادماً

#### الحلاصة

وخلاصة ما تقدم أن الدولة العباسية لما غلب الجنسد على امرها واستبد قواد الاتراك بها تحولت ثروتها من يبت مالها الى أيدي رجالها ممن ينوبون عن الحليفة أو يتوسسطون بينه وبين الرعايا كالمال والوزراء والكتاب والحجاب ونحوم. واصبح الحلفاء لا يستطيعون استبقاء حكومتهم الا باغتصاب أموال أولئك الموظفين فكانوا كالذي ينتذي بأكل لحمله فآل ذلك الى انحلال أمر الحلافة بعد أن بلغت غاية الضعف

وقد يتبادر الى الاذهان ان لتقلل الضرائب دخلا كبيراً في سقوط الدولة الساسية وقد رأيت ان الضرائب كانت ثقيلة في عصر الزهو العباسي — عصر الثروة والعالم ولم يكن الناس يشكون ثقلاً . بل ساءت حالهم منذ خفضت الضرائب ليس لان تخفيض الضرائب يسوء الناس ولكن تخفيضها في تلك الايام قلل مصادر الثروة الواردة الى بيت المال فزادت حاجة أصحاب المطامع من رجال الدولة وكانت الاحوال قد اختلت بفساد النيات للاسباب التي ذكر فاها فزال الامن واختل النظام العام فتقاعد الناس عن العمل وقلت وارداتهم وعجزوا عن اشباع مطامع رجال الدولة . فحمد هؤلاء الى المنف في استخراج الاموال فتماظم الاضطراب وتضاعف الضيق في الناس حتى سئموا الحياة في دولة لا يؤمنون فيها على ارواحهم ولا اموالهم

<sup>(</sup>١) الاعلاق النفيسة لابن رسته ١٩٥ ج ٧ (٢) الفخري ١٦٦

ولو كانت كثرة الضرائب تخرب الممالك لكانت انكلترا من أقرب الدول الى الحراب لما فيها من اصناف الضرائب التي لم يحسلم بها العرب ولا خطرت بياهم . لانها فضلاً عن ضرائبها على المحصولات والواردات على اختسلاف اصنافها تقاسم الناس أرباحهم فنا خذ ضريبة على الايراد وجعلاً على اية مهنة يريد الناس معاطاتها حتى المحاماة والطب في مقابل الاذن لهم في الاستغال بها . والجمل المذكور ثقيل يختلف في من ينال أية رثبة من رئب القضاء من خمسين جنيها الى عشرين . وقس على ذلك رسوم الاطباء والصيادلة والمحامين حتى الخطباء والوعاظ وعلى البنوك وأورافها وعقودها وعلى الزواج والطلاق وغير ذلك فيجتمع لها مرس هذه الرسوم أموال كثيرة

وأما ضرائب الايراد عند الانكليز فانها تشمل كل عمل يتكسب منه الناس حتى الوعاظ والخطباء. فكيف بأصناف التجاوات والصنائع والبنوك وغيرها. والدولة الانكليزية كليا احتاجت الى مال عدلت ميزانيتها بزيادة الضرائب وخصوصاً على الايراد واكثر ما تكون حاجها الى المال في حال الحرب كما ضلت عيزانية سنة ١٩٠١ بنيا أنناء حرب الترانسفال فقيد قدرت دخلها لذلك العام ١٩٠٠٠٠٠٠ جنيه وخرجها ١٥٤٠٠٠٠٠ والفرق يينهما ٢٠٠٠٠٠٠ سددت معظمه بزيادة الضرائب وكانت ضريبة الايراد ثمانية بنسات على الجنيه أي نحو شه في المئة فجلها المنزائب وكانت ضريبة الايراد ثمانية بنسات على الجنيه أي نحو شه في المئة فجلها شيناً في كل جنيه وفرضت ضريبة اطافية على البيرة بلفت قيمتها ٢٠٠٠٠٠٠ جنيه وضريبة على سائر الحقور قيمتها ١٠٠٠٠٠ جنيه وعلى التبغ ٢٠٠٠٠٠ المنوافات فخفضت ضريبة الايراد اربعة بنسات أي انها ارجمتها الى ماكانت رفع تلك الاضافات فخفضت ضريبة الايراد اربعة بنسات أي انها ارجمتها الى ماكانت عليه فقلت حصة الحكومة من الايراد اربعة بنسات أي انها ارجمتها الى ماكانت المعمومة من الايراد الربعة بنسات أي انها ارجمتها الى ماكانت المعمومة من الايراد الربعة بنسات أي انها ارجمتها الى ماكانت المعمومة وغيره

و جملة القول ان انكلترا مع كثرة ضرائبها وما ائقل كاهلها من الديون فأنها تمد من اثبت الدول قدماً وأوفرهن ثروة . فتخفيض الضرائب لاشك انه رحمة للناس ولكن زيادتها لا تدعو الى الحراب وأعا يدعو الى خراب الممالك « الظلم » فانه بقوض لركان الدول عا يدعو اليه من تقييد الايدي عن العمل فيقعد الزارع عن زراعته والتاجر عن تجارته والصانع عن صناعته — ولا مال الا اذا اشتغل هؤلا. ولذلك قالوا « العدل أساس الملك »

فالدولة العباسية لما أصبحت بعد المقتصم غنيمة للاجناد الغرباء يحملون اموالها الى بلادهم وأصبح الوزراء والعمال الها يعملون لحشد الاموال واحسى الحليفة لا سلطان له حتى على قصره وبين غلمانه وجواريه تجمعت تلك الانقال على رؤوس الرعية لانالجياية منهم فطالبوهم بها بدون ان يساعدوهم على استغلالها فساءت حالهم كاعلمت. اما دول هذه الايام فأساس نظامها الحرية الشخصية والمبادى، الافتصادية فلايطالب احد من الناس الا بما يقتنع هو انه حق صريح والا قانه ينظم وظلامته مسموعة وسنعود الى هذا البحث في بعض الاجزاء النالية

## ثروة المملكة العباسية

#### أي البلاد واهلها

فرغنا من الكلام في ثروة الدولة العباسسية ورجالها وبقي علينا النظر في بروة المملكة وهي البلاد بما فبها من الناس على اختلاف طبقاتهم من أهل التجارةوالزراعة والصناعة وغيرهم. وكانت البلاد قسمين المدن والقرى :

( المدن ) : كانت المدنية محصورة في المدن دون القرى عملاً بقاعدة التمدن في تلك الايام وهي ان تكون الثروة والابهة حيثاً يكون ولاة الامر أو من يلوذ بهم من الخليفة الى اهله فأهل بلاطه فعاله ووزرائه . وهؤلاء كأنوا يقيمون في المدن وخصوصاً المواصم والذك عمرت بغداد والبصرة ودمشق والفسطاط والقاهرة والقيروان وقرطية وغرفاطة ونحوها وظلت القرى والضياع مغارس لا عمارة فيها ولا تمكاد تجد أثراً من آثار ذلك التمدن في غير المدن

فني هذه المدن فاضت يناييع الثروة الاسلامية وعاش الناس في الرخاء والرغد مجوار الحليفة ورجال دولتسه ينالون جوائزهم وهسداياهم وخلمهم ويبيعونهم السلع والمجوهرات والاقشة . وفي هذه المدن كان يجتمع العلماء والشعراء والمغنوب والندماء يتميشون بما يجود به الخليفة أو أمراؤه أو رجال دولته

ويمثل طبقات الناس في تلك الايام قول الفضل بن يحيى « الناس اربع طبقات ملوك قدمهم الاستحقاق ووزراه فضلهم الفطنة والرأي وعلية أمضهم البسار وأوساط ألحقهم بهم التأدب والناس بمدهم زبد جفاه وسيل غثاه لكم ولكاع وربيطة اتضاع هم أحدهم طعمه ونومه » (١)

وقد جمل ابن خادون عطاء السلطان أصل ثروة المملكة وعلة كثرة جبايتها لاعتباره ان الدولة أو السلطان السوق الاعظم العالم ومنها مادة العمران قال: «فاذا احتجن السلطان الاموال أو الجبايات أو ففدت فلم يصرفها في مصارفها قل حيئة ما بأيدي الحاشية والحامية وانفطع أيضاً ما كان يصل منهم لحاشيتهم ودويهم وقلة نفقاتهم جملة وهم معظم السواد ونفقاتهم اكثر مادة للاسواق عمن سواهم فيفع الكساد حيئة في الاسواق وتضعف الارباح في المتاجر فيفل الحراج لذلك لان الحراج والحباية أنما تكون من الاعبار والمعاملات ونفاق الاسسواق وطاب الناس الفوائد والحباية أنما تكون من الاعبار والمعاملات ونفاق الاسسواق وطاب الناس الفوائد والحراج ووبال ذلك عائد على الدولة بالنفس لقلة اموال السلطان حينة بقلة الحراج الناس كله والدخل فان الدولة كما قلنا هي السوق الاعظم أم الاسواق كلها واصلها ومادتها في الدخل والحرج فان كسدت وقلت مصارفها فأجدر عا بعدها من الاسواق ان يلحمها مثل واشد منه » اه

فالمدن الاسلامية كانت مؤلفة من الملوك وهم الاصل ثم رجال الدولة وأعا يكونون كذلك لان الملوك بختارونهم لفطنتهم . ثم الاغنياء واخسيراً الاوساط وهم جمهور الناس ويكونون كما يشاء اولئك . وذلك يخالف حال الهيئة الاجهاعية في هذا العصر عصر الحربة الشخصية فالناس فيه مستفلون بأعمالهم كل منهم بعد نفسه عضواً مرض اعضاء ذلك المجتمع لا يستغنى عنه سواء كان صانعاً أو كاتباً أو تاجراً وموظفاً

أما في العصر العباسي فقد كان اهل المدن عالة على الحلفاء والامراء فتحوم آمالهم حولهم — يلتقطون مايجودون به عليهم وهؤلاء أبما يجودون بما يصل اليهم من أموال الحياية فاذا كثرت أكثروا واذا قلت أتلوا . والحبساية من الحزاج

والخراج على الارضين والارضون أعايممل بها الفلاحون وهي القرى. فالثروة العباسية مصدرها من القرى وتجمع من عرق الفلاحين --والفلاح اساس الثروة في كل العصور وخصوصاً في البـــلاد الزراعية . وهو في الغالب أقل الناس حظاً منها وخصوصاً في عهد التمدن الفديم أو ما نسج على منواله اذ كانت الثروة والقوة في ايدي فئة الحسكام أو من ينوب عنهم او ينمتمي اليهم ويبقى سائر الناس اعواناً او انباعاً او خدماً او عبيداً . يشتغلون اما بالصناعة لاصطناع ما قد محتاج اليه او لئك من اصناف الابنية والالبسة والاثاث والمجوهرات او لخدمتهم في قصورهم بالطبابة او الـكتابة او لتمتيع سمعهم وبصرهم بالفناء والعزف أو لترطيب فلومهم بالنظموالثير ونحوهما. واما للفلاحة في الارض واستغلالها والفلاحون هم الفئة الكبرىمن الناس في كل زمان . وسنفصل ذلك في الجزء المختص بالآداب الاجباعية من هذا الكتاب فالْدُوة في المدن تابعة لْدُوة الحكومة أو رجالها للاسباب التي قدمناها . فلما كان بلاك الرشيد غاصاً بالوفود وبيت ماله حافلاً بالنقود والبرامكة يبذلون المثات والالوفكان نجار بنداد في نعمة وثروة وخصوصاً باعة المجوهرات والرياش لأمهما مما تتطلبه المدنية في عهد الترف والبذخ . فقد رأيت في بعض ما تقدم ان جوهرياً **بال**كرخ في بفداد ساومه يحبي البرمكي على سفط من الجوهر بمبلغ···· ٧ درهم فلم يبعه<sup>(١)</sup> وهو جزء مما في حانوته فما قولك بسائر ما فيه . وهناك جوهري آخر ٰ يفال له ابن الجصاص صادره الخليفة المعتدر سنة ٣٠٢ ه فكان ما اخذوه من بيته من صنوف الاموال تر يد قيمته على ٢٠٠٠٠٠ دينار (٢) وكان في بنداد شريف يسمى محمد بن عمر. بلغ خراج املاكه ۲ ٥٠٠ · ٠٠ درهم في السنة <sup>(٣)</sup> . وقس على ذلك سا<sup>ت</sup>ر التجارات في بغداد وغيرها. فقد كار<u>ن</u> في اصطخر بيتٌ ينتسب الى آل حنظلة احدهم عمرو بن عيينة بلغمن بساره انه ابتاع يمليون درهم مصاحف فرقها في مدن الاسلام وكان مبلغ خراج هذا البيت من ضیاعهــم نحو ۱۰۰۰۰۰ درهم. ومنهــم مرداس بن عمر کان خراج ماله ٣٠٠٠٠٠٠ وابن عمه محمد بن واصل ملسكه مثل ملسكه (؛) وكان في سيراف تجار واسعو الْدُوة بجوز مال أحدهم ٦٠٠٠٠٠٠ درهم اكتسبها مر ٠ ِ تجارة

<sup>(</sup>١) الطبري ٧٠٢ج ٣ (٢) ابن الانير ٣٣ج ٨ (٣) ابن الانير ٢٠ج ٩ (٤) الاصطخري ١٤٢

البحر من العود والسكافور والعنبر والجواهر والحيرران والعاج والابنوس والقلفل وغيرها (١). ومهم من يبني داراً فينفق على بنائها ٢٠٠٠ دينار (١) وأوصى أحدهم بنك ماله لعمل فبلغ ٢٠٠٠ دينار بين مركب قائم بنفسه وآلته (١) وأمثال ذلك كثير في معظم مدن المشرق

وقس عليه ثروة كلّ من خالط الخلفاء ونال جوائزهم أو خدمهم في بلاطهم في ابان ثروتهم غير الوزراء والكتاب والعمال فالهم جموا أموالاً طائلة حتى المغنين والشعراء . فقد توفى ابر اهيم الموصلي مغني الرشيد عن ثروة مقدارها ٢٤٠٠٠٠٠٠ درهم (١) وتوفي حبريل بن مختيشوع طبيب الرشيد وخانب ما يساوي ٩٠٠٠٠٠٠٠ درهم من ضياع وجواهر و نقود (صفحة ١٤١)

ُ واعتبر ذلك في سائر البلاد والاحوال فتجدالثروة كانت في الفالب عند الحلفاء أو من ينتمي اليهم . حتى التجار فأنهم أنما كانوا يأمنون على ثروتهم بالانهاء الى أولي الامر الانادراً

( الفرى ): أما الفرى ففدكان سكامها الفلاحين من أهل البلاد الاصليين و يسمومهم « أهل الحراج» فهؤلاء يعملون بالاجرة او شركاء لاصحاب الاملاك من الخلفاء أو الامراء او من ينتمي اليهم من الاعيان خصوصاً الدهاقين فيالمراق وفارس وهم أصحاب الاقطاعات المكبرى قبل الاسلام

فلما كان الاسلام تقربوا من الحكومة باموالهم (٥٠) وتقوذهم في اهل بلادهم ويندر ان يكون للفلاحين ملك خاص مهم لاسباب تقدم بيامها

فسكان الفرى هم الفلاحون ومن بجري بجراهم وكانوا يفتنعون بالحصول على ما يقوم باود حيام ويغلب فيهم الففر المدقع وربما كان يشهم من لم ير الدينار طول عمره فكان اهل الدولة في المدن يبذلون الدنانير جزافاً ويهبونها مثات وآلافاًواهل القرى في ففر مدقع لو رأى احدهم الدينار لسجد له وقبله مثنى وثلاثاً . ولو دفعت اليه عشرة دنانير أو عشرين لاصابه خبل أو مات من ساعته كما اتفق للصياد بين يدي ان طولون امير مصر في او اسط القرن الثالث للهجرة وهو مشهور بكرمه وبذخه عا انشأه من القصور والفياض والاسطبلات . وكان ينفق كل شهر الف دينار على

<sup>(</sup>١) الاصطخري ١٥٤ (٢) ابن حوقل ١٩٨ (٣) ابن حوقل ٢٠٧

<sup>(</sup>٤) سير الملوك ١١٣ (٥) ابن الاثير ١٠١ ج ٥

الفقراء وهو الذي جاءه وكيه يوماً فغال « أني تأتيني المرأة وعليها الازار وفي يدها خاتم الذهب فتطلب مني فاعطيها » فغال له « من مد يده اليك فاعطه » (۱) ومع ذلك فان هذا الامير نفسه ركب في غداة باردة الى جهات المفس مجوار الفسطاط فلصاب بشاطىء النيل صياداً عليه خلق لا يواريه منه شيء ومعه صبي في مثل حاله وقد التي الشبكة في البحر فلما رآه ابن طولون رق لحاله وقال يانسيم ادفع الى هذا عشر بن ديناراً فدفها اليه ولحق ابن طولون . فسار ولم يعد ورجع فوجد الصياد ميناً والصبي يكي ويصبح فنلن ابن طولون ان بعض سودانه قتله واخذ الدنانير منه فوقف بنفسه عليه وسأل الصبي عن ابيه فغال له الفلام « هذا ( واشار الى نسيم الحادم ) دفع الى ابي شيئاً فلم يزل يقلبه حتى وقع ميناً » فقال «فتشه يانسيم» فنزل ونتشه فوجد الدنانير معه بحالها فحرض الصبي ان يأخذها فأبى وقال « هذه قتلت أبي وان اخذتها فتلتي » فأحضر ابن طولون قاضي المقس وشسيوخه وامرهم ان يشتروا المصبي داراً مخميائة دينار تكون لها غلة وان تجبس عليه وكنب اسمه من اصحاب الجرايات وقال «انا قتلت اباه لان الفني بحتاج الى تدريج والا قتل صاحبه هذا المحاب الجرايات وقال «انا قتلت اباه لان الفني بحتاج الى تدريج والا قتل صاحبه هذا عنده » (٢)

قاذا كان هذا حال رجل من اهل ضواحيالماصة فكيف بأهلالقرىالبعيدين عن ترف الدولة وبذخها وجراياتها ووظائفها ?

#### المدن الاسلامية

ريد بالمدن الاسلامية ما بناه المسلمون من المدن لانفسهم. وهي غير ما افتتحوه من مدائن الروم والفرس. والمسفدن الاسلامية عديدة في العراق والشام ومصر وافريقية والاندلس وغيرها ومنها ما لم يزل عامراً الى اليوم كالبصرة وبغداد والهاهرة ومنها ما انفرض وعفت آثارها كالقسطاط والزهراه. وسنذكر اشهرها ونصف ما بلغ اليه عمرانها في ابان التمدن الاسلامي تتمة لموضوع هسذا الجزه.

المقريزي ١٢٣ ج ٢	(4)	ابن خلکان ٥٥ ج ١	(1)

و لكننا نقول قبل ذلك كلمـة اجمالية في ما حمــل العرب أو المسلمون على انشاء تلك المدن

كان المسلمون في صدر الاسلام عرباً اهل خيام وماشية وخيل يكر هون الاقامة ضمن الاسوار وينفرون من الانحصار في المدن . فلما تأيد الاسلام واجتمع العرب على فتح الامصار في العراق والشام ومصر كانوا في بادى الرأي اذا ساروا الى غزو أو فتح اصطحبوا نساءهم وعيالهم فاذا فتحوا بلداً اقاموا في ضواحيه بخيامهم واخبيتهم وهو ممسكرهم . وكان عمر بن الحطاب يشترط على جنده المقيمين في الامصار ان لا يقيموا في مكان يحول الماء فيه بينهم وبينه حتى اذا اراد ان يركب راحلته اليهم ركب . كذلك ضل عمرو بن الماص في الفسطاط وسعد بن اي وقاص في الكوفة (١) والمصرة وكانت كلها مضارب لجند العرب الفاتحين بعبرون عنها بارابطة في الكوفة (١) والقصور . ذلك كان أو المسكر فادا طال بهم المقام اختطوا الاسواق وبنوا المنازل والقصور . ذلك كان شاتهم في عدد الصورة

فلما ضخم ملك العرب وتعددت دول المسلمين صاروا مختطون المدن تذكاراً لفتوحهم أو تحصناً بها من اعدائهم - كما فعل المنصور يغداد فانه بناها حصناً له وكذلك فعل الفاطميون بالعاهرة . وكثيراً ماكان الحلفاء بينون المدن للتنزه بها وابتعاداً عن النوغاء مثل سامراً اوالمنوكلية والزهراء وغيرها مما يطول بنا ايراده فلنات الى وصف اشهر المدن الاسلامية في ابان ثروتها

كُثيراً ما وصف المؤرخون المسلمون المدن الاسلامية كما يصف السياح اليوم ما يزورونه من المدن أفو مساحلتها الإندراً . وانحاكان عمهم تعداد ما في تلك المدن من الجوامع والحمامات والغالب أن يبالغوا في ذلك الى ما يجاوز طور التصديق كما سترى . واليك وصف أشهر المدائن الاسلامية مرتبة باعتبار قدمها

#### المرة

هي من أقدم المدن التي بناها المسلمون ولا نزال باقية الى الان. مصـُّـرهاعتبة ينغزوان سنة ١٦ الهجرة (٢) وقد انخذها العرب في بادى، الرأي

<sup>(</sup>١) الجزء الاول ٦٥ (طبعة ثانية ) (٢) ابن النقيه ١٨٨

مسكراً في مكان لا يحول الماء يبنه وبين مكة فكان من البصرة على الضفة النربية للفرات الى مكة رمال وجبال وسهول لا يفصل بينهما نهر . وبنوها أولاً بالقصب ثم خافوا الحريق فبنوها باللبن باذن عمر كما سيأتي في السكلام عن السكوفة . وجعلوا المدينة خططاً بحسب القبائل لسكل قبيلة خط وجعلوا عرض شارعها الاعظم ستين ذراعاً وهو مربدها وعرض ما سواه من الشوارع عشرين ذراعاً . وجعلوا عرض كل زقاق سبعة أذرع ووسط كل خط رحبة فسيحة لمرابط خيوهم وقبور موتاهم وتلاصقوا بالمنازل (١) ونظراً لموقعها التجاري فرضة العراق ووسطاً بين الشام وفارس أسرع اليها العمران واتخذتها الحكومة مقراً لامارة العراق في أيام بني أمية . فعمرت البصرة في أيامهم واتسمت عمارتها حتى بلغت مساحتها في امارة غالد بن عبد اللة ( القسري ) فرسخين في فرسخين أي ٣٦ ميلاً مربعاً في أرض منبسطة لا حبال فيها وذلك أوسع من مدينة القاهرة مع زيادة عمارتها اليوم

وكثرت بروة البصرة في أيام المباسيين لاجباع التجار فيها وتجاراتهم ممتد شرقاً الى الهند والصين وغرباً الى أقصى بلاد المغرب وجنوباً الى الحبشة . وكانت السفن ترسو في ميناها وتحمل أصناف التجارات من الاقشة والاطياب وغيرها وتكاثرت الثروة فيها بتكاثر الناس الفادمين اليها للاتجار أو الاقامة فابتنوا فيها القصور والحدائق وانشأوا الميادين والبرك -- قال ابن حوقل « وهي موصوفة بالمجالس الحسنة والمناظر الانبقة والميادين المجيبة والفواكه البديمة والبرك الفسيحة بالمجالو من المتنزهين ولا تعرى من المتطرقين متحدرين ومصمدين . . »

وكانت مياه البصرة مرسى مئات من السفن التجارية . وقد ذكرنا في مكان آخر مقدار ماكانت الحكومة نجبيــه من ناجر واحد من تجارها وهو نحو ١٠٠٠٠٠ دينار في العام . فقس عليه التجار الآخرين وفيهم الكبير والصغير

واشتهر اهل البصرة بالاسفار التجارية الى كل الجهات حتى ضرب المثل في ذلك فقالوا « وابعد الناس نجمة في الكسب بصريٌّ وخوزيٌّ ومن دخل فرغانة ( في الشرق ) والسوس الاقصى ( في الغرب ) فلا بدَّ من ان يرى بها بصرياً أو خوزياً ( من اهل خوزستان ) أو حبرياً ( من اهل الحيرة ) » (٢٠ وساتهم في ذلك شان السوريين اليوم أو هو دأبهم من عهد الفينيفيين

وقد نقلنا في الصفحة ١٠٠ من الحِزِء الاول من هذا الكتاب ( طبعة ثانية)ما قاله الاصطخري عن سمة مدينة البصرة وعدد أنهارها على ايام بلال بن ابي بردة (سنة ١١٨هـ)(١) وأنها زادت على ١٢٠٠٠٠ نهر تجريبها الزوارق وازالاصطخري نمسه شك في صحةهذا المددكما يشك كل من يقرأه . فذهب بنفسه لمشاهدة المكان في القرن الرابع للهجرة فلما عاينه قال « وقد كنت انكر ما ذكر من هذه الأنهار · في ايام بلال حتى رأيت كثيراً من تلك البقاع فربما رأيت في مقدار رمية سُهم عدداً من الآنهار صغاراً تخبري في كلها زوارق صغار ولـكل نهر اسم ينسب الى صاحبه الذي احتفره او الى الناحية التي يصب فيها فجوزتُ ان يكون ذلكُ في طول هذه المسافة وعرضها ﴾ (٢) وقال نفس هذا الفول ابن حوقل في عرض كلامه عن البصرة (٣). ومع ذلك ما زلنا نستكبر هذا المدد حتى رأينا عالمًا دقيق الملاحظة اقام في البصرة أعواماً طوالاً وخبر ارضها فذكرنا له ذلك فهونعلينا تصديقه عا يبـنه ثنا من سمة البصرة في تلك الايام وحفر الانهار وامكان اشتباكها محيث تحول الى مجار قصيرة هم يسمون كلا منها نهراً — ويؤيد ذلك أنهم لا يريدون بالبصرة المدينة فقط التي ذكرنا ان مساحتها ٣٦ ميلاً مربعاً وأنا يضمون اليها ما يتبعها من المفارس الى عباداز عند مجر فارس مع ما كانت عليه مرح الخصب وكثرة النرس ــ قال ان حوقل والاصطخري « ولها نخيل متصلة من عبدسي الى عبادان نيفاً وخمسين فرسخاً متصلة لا يكون الانسان منها بمكان الا وهو في نهر ونخيل أو يكون بحيث رِاهَا ﴾ — قاعتبر هذه المسافة طولاً في مثل نصفها عرضاً على الاقل أيج ١٥٠ ميلاً في ٧٥ وذلك ٧٥٠ ١٩ ميلاً مرجاً فيعقل أن يكون في الميل الواحد عشر ترع صغيرة والله أعلم

### الكوفة

بنيت الكوفة بعد البصرة بيضة اشهر بناها سعد بن ابي وقاص . ويقال في سبب بنسائها ان سعداً بعد ان فتح العراق وتغلب على الفرس نزل في عاصمتهم المدائن ثم بعث الى الحليفة عمر بن الحطاب في المدينة وفداً يخبره بذلك الفتح . فلما وصل الوفد الى عمر رأى ألوائهم قد تغيرت وحالهم قد تبدل فسألهم عن سبب

<sup>(</sup>۱) ابن الاثبر ۹۳ ج ٥ کر، الاصطغري ۸٠ (۲) ابن حوقل ١٥٩

ذلك فقالوا وخومة البلاد الا ما يوافق ابايم وكتب الى سعد « ابعث سلمان لان المرب لا يوافقهم من البلاد الا ما يوافق ابايم وكتب الى سعد « ابعث سلمان وحذيفة رائدين فليرتادا منزلاً برباً مجرياً ليس يبني وبينكم فيه محر ولاجسر » (1) فقمل سعد ذلك فاختاروا مكاناً وراء الفرات وبينه وبين الحيرة وبنوها اولاً بالقصب كما بنوا البصرة ففعلوا ذلك لتكون المنازل قريبة من الحيام فاحرقت فاستأذنوا عمر في البناء بالبن فاجام الى ذلك على شرط أن لا يزيد أحدهم على الاثمة ابيات ولا يطاولوها . وكان المكوفة شأن كبيرة عند الشيعة لان الامام على حملها عاصمة ملسكة الى ان قتل

#### الفسطاط

هي اول مدن المسلمين في القطر المصري بناها عمرو بنالماصسنة ١٨ للهجرة في ما بين الفاهرة اليوم ومصر العتيقة . ومن بقاياها جامع عمرو والاطلال والخرائب حوله الى المقطم. وكان ذلك المكان معسكراً للمرب لما جاؤا الفتح حصن بابل وهو الممروف اليوم بدير النصارى أو دير مار جرجس بمصر العتيقة . فلما فتحوه عزموا علىالاسكندرية لفتحها فامر عمرو بنزع فسطاطه ( أي خيمته ) فاذا فيه يمام قد فرخ فاخبروا عمراً بذلك فقال « لقد تحرم بنا يمتحرم » فامر بالفسطاط فأقر كما كانواوصي به من بقي هناك من القبط. وسار بجنده حتى نزل الاسكندريةو فتحها وكتب الى الخليفة عمر بَالمدينــة يخبره بذلك ويستشيره بالسكنى فيها . فسأل عمر الرسول «هل يحول بيني و بين المسلمين ماه» قال « نع ياامير المؤمنين اذاجرىالنيل» فكتب الى عمرو « أني لااحب ان تنزل المسلمين منزلاً بحول الماه بيني وبينهم شتاء ولا صيفاً فتى اردت ان اركب اليكم راحلتي حتى اقدم عليكم قدمت » (٢) فاستخلف عمرو في الاسكندرية حامية وامر فشدت الرحال الى حص بابل . فلما بلغوا فسطاط الامير رأوه لا بزال منصوباً وفيه الطيور فنزلوا فيسه وجعلوا تلك الخيمة مركزاً لمسكرهم ودعوا ذلك المكان من ذلك اليوم بالفسطاط. ثم انضمت القبائل بعضها الى بعض وأخذوا في بناه البيوت لسكنى الحيوش فاختط عمرو مدينة شهالي الحصن دعاها الفسطاط فيهانحو عشرين حارة دعاها خططاً وأقام أربعة من كبار

<sup>(</sup>۱) ابن الاثیر ۲۰۹ج ۲ (۲) القریزی ۲۹۲ج ۱

رجاله يتركون الناس في الحطط المذكورة يجسب احزابهم وفيانلهم الناس في الحطط المذكورة يجسب احزابهم وفيانلهم الناسات المسلام من المسلمين في البلاد و توطد سلطانهم حتى فاقتالبصرة والكوفة في كثير من الوجوه . وبلغ طولها على ضفة النيل ثلاثة اميال (١١) وذكر وقرخو العرب من مقدار عمارتها انه كان فيها سمود و ١٠٠٠ مشارع مسلوك و ١٧٠ عاماً . وقد يستبعد ذلك ولكن ابراده يدل في كل حال على العظمة والعمران . ومما نظمه الشعراء في مدحها قول الشريف العقيل :

احنُّ الى الفسطاط شوفاً وانني لادعو لها ان لايحل بها الفطر وهل في الحبا من حاجة لجنابها وفي كل قطر من جوانبها نهر تبدت عروساً والمفطم تاجها ومن نيابا عقدكما انتظم الدر (٢).

وبلغ من تراحم الناس في الفسطاط حتى جعلوا المنازل طبقات عديدة بلغ بعضها خمس طبقات الى سبع وربما سكن في البيت الواحــد ٢٠٠ من الناس وبلغت نفقة البناء على بعضها ٢٠٠٠ دينار وهي دار الحرم لخارويه (٣)

واشتهر من تلك الابنية دار ضرب المثل بعظمها وغنى اهلها تسمى « دار عبد المعزيز » كانت مطلة على النيل بلغ من سعما وكبرة ساكنيها انهم كانوا يصبون فيها اربع مئة راوية ماه كل يوم. و نقل بعضهم ان الاسطال التي كانت بالطاقات المطلة على النيل بلغ عسددها ٢٦٠٠٠ سطل مؤيدة ببكر واطناب لها ترخى و علا . و ذكر رجل دخلها في اوائل القرن الثالث للهجرة في زمن خارويه بن احمد بن طولون قال « طلبت بها صانماً يخدمني فلم احد فيها صانماً متفرعاً لحدمتي وقيل لي ان كل صانع معه اثنان يخدمهم وثلاثة فسألت كم فيها من صانع فاخبرت ان بها سبعين طانع معه اثنان يخدمهم وثلاثة فسألت كم فيها من صانع فاخبرت ان بها سبعين (كذا) صانعاً قل من معه دون ثلاثة سوى من قضى حاجته و خرج » (نه)

وفي ذلك دليل على غنى أُهل الفسطاط وترفهم ومن هذا الفبيل استكثارهم من الفرش. فقد يقتني أحدهم الف فرشة أو عشرة آلاف فرشة وذكروا رجلاً من أهل الفسطاط عنده ثلاثماثة فرشة كل فرشة لحظية. وكذلك كانوا يضلون بالثياب ونحوها -- وقد تكون أعلها فاحشة فلا يبالون لغناهم -- قال الفضاعيران

<sup>(</sup>۱) أبن حوقل ۹۳ (۲) المتريزي ۳٤٠ ج ۱

<sup>(</sup>٣) المتريزي ٣٣٠ ج ١ (٤) المتريزي ٢٣٠٠ ج ١

قطر الندى ابنة خمارويه كان في جملة جهازها الف تكمّ نمن كل واحدة عشرة دنانير فبلغ نمنهاكلها عشرة آلاف دينار . ناهيك بتأنفهم في الماكل والمشارب بمسا يطول شرحه وقد فصله المفريزي وغيره في كلامهم على الفسطاط

#### بغداد

هي عاصة الساسيين بناها المنصور سنة ١٤٥ ه ولا زال باقية الى اليوم وقد تغير موضها مراراً. والسبب في بنائها أن السفاح لما بويع بالحلافة وأكثر أنصاره في العراق وفارس نزل الكوفة ومعه أخوه المنصور . ثم بنى السفاح قرب الانبار مدينة سهاها الحاشمية اشارة الى ما يجمع بين العباسيين والعلوبين وانتفلا اليها (١٠ وبها مات السفاح وقبره فيها . وأقام المنصور في الحاشمية بضم سنين ثم ثار جاعة الراوندية فكره سكناها وخرج يحث عن مكان يبني فيه مدينة حصينة فدلوه على مكان بغداد وعرفت بمدينة المنصور

بناها في الجانب الغربي لدجلة بشكل مستدير وجمل حواليها قطائع لحاشيته ومواليه واتباعه , فلما كانت أيام المهدي جعل ممسكره في الجانب الشرقي من دجلة وسمي ذلك المكان عسكر المهدي . ثم انتفل اليه الوجهاء وأهل الدولة وبنوا فيه وانتقلت الحلافة الى الجانب الذكور وامتدت ابنية الحلفاء وحدائقها على ضفة النهر . ويسمى جانب بغداد الشرقي الرصافة والجانب الغربي المكرخ

وبلغت بغداد معظم عمارتها في ايام المأمون حتى امتدت ابنيتها و بسانيتها على به قالوا ان مساحتها ١٥٠ ٥٣ حريباً منها ٢٦ ٧٥٠ حريباً في الجانب الشرقي ٢٠٠ في الجانب الغربي (٢٦) والجريب ٣٦٠٠ ذراع مربع و نسبته الى السان كنسبة ١٠٠ الى ﴿ ٣٣٣ فتكون مساحة بغداد كلها نحو ١٦٠٠٠ فدان وهو شيء كثير . واكن يظهر أنها عبارة عن مدن متلاصفة — قال الخطيب المغدادي في تاريخه أنها أربعون مديئة وان الحمامات بلغ عددها في أيام المأمون مدمة حمام (٢٠) وقد أراد صاحب سير الملوك بيسان مقدار عمارة بغداد فقال «وكان عدد الحمامات في ذلك الوقت يغداد ستين الف حمام وأقل ما يكون في كل

<sup>(</sup>۱) ابن خلکان ۱۰۱ ج ۱ (۲) سیر الملوك ٥٥

<sup>(</sup>٣) ابن خلدون ۲۸۷ ج ١

حمام خمسة نفر حمامي وقيم وزبال ووقاد وسقاه يكون ذلك ثلاثمائة الف رجل وذكر ان يكون بازاء كل حمام خمسة مساجد يكون ثلاثمائة الف مسجد وتفدير. ذلك أن اقل ما يكون في كل مسجد خمسة نفر يكون ذلك الف الف وخمسائة الما انسان » (١)

ولا ينطبق هذا التخريج على ما نعلمه من أحوال هـذه الايام فلا نسلم به كما هو ولكنه يدلنا على ما بلغت اليه هـذه المدينة من العظمة في عهد ذلك التمدن المجيب . وقد يؤيد ذلك ما رواه الطبري في أثناه كلامه عن الفتنة التي وقعت في بغداد سنة ٢٠٥٠ ه قال «وقيل انه عبرالجسرين من العامة في ذلك الوقت ١٠٠٠٠٠٠ انسان في الزواريق .. » (٢٠ فاذا كان هـذا عدد الذين عبروا النهر فما قولك بمن لم يعبر فلا نبالغ اذا جعلنا عدد سكان بغداد في ذلك العهد نحو ملون ونصف أو مليونين

ناهيك بماكان من العارة حول بغداد وفي سائر بلاد السواد — قال ابن حوقل وقد رآها في اثناء القررف الرابع للهجرة «'وبين بغداد والكوفة سواد مشتبك غير متميز تخترق اليه أنهار من الفرات .. الخ (۲)

وهناك مدائن أخرى من بناه المسلمين ذات شأن كالقيروان في بلاد المنرب وواسط في العراق وغيرهما في مصر والشام وفارس. ناهيك بالمدائن التي كانت عامرة قبل الاسلام وقد نزل فيها المسلمون وزادوا عمارتها مثل دمشق الشام وقرطبة وغرناطة وطليطلة والاسكندرية . وسئاتي على شيء كثير من حضارة هذه المدن وغيرها في ما سنذكره من حالتها الاجتماعية في بعض الاجزاء الآتية ان شاء الله

﴿ تم الجزء الثاني ﴾

# فهرست الجزء الثأني من ناريخ التمدن الاسلامي مندة ا

صفحة		45	صف
90	عدم وجود الدين على الحكومة	٣	القدمة
47	اقتصاد الخلفاء الاولين	1	ظواهر التمدن وحقيقته
١	الثروة العباسية في عصر الانحطاط	1.	ثروة الدولة في عصر النبي
١	أسباب ذلك الأنحطاط	11	« « « الراشدين
١٠٥	الحياية في عصر الأنحطاط	14	« « « بنی امیة
۱۰۷،	جباية الدولة العباسية لسنة ٣٠٦.	YA	العصر العباسي الاول
۱۱٤۰	نسبة هذه الجباية ألى العصر الاول	44	ثروة اللعولة العباسية في العصر الاول
	﴿ أُسباب قلة الحباية ﴾	44	جغرافيةبملكة الاسلامدي مصرالمأمون
117	ضيق المملكة العباسية	٤٥	علاقة الاعمال العباسية بالعاصمة
117	تخفيض الخراج المضروب	٤٧	حباية الدولة العباسية في العصر الاول
114	استثثار العمال بالجباية	11	جمل « « « « «
۱۲۰	اشتغال الناس بالفتن عن العمل	74	نفقات الدولة الساسية
۱۲۰	تحويل اكثر البلاد الى ضياع	78	« « في أيام المتضد
,	🛊 أسباب كثرة النفقات 🦫	٦٧	تقدير هذه الثروة بنقود اليوم
<b>\ Y 0</b>	اسراف الخلفاه ونسائهم	٧٠	اسباب الثروة العباسية
141	تكاثر أبواب النفقة في الدولة		﴿ أسباب كثرة الحراج ﴾
144	زيادةالرواتب	Υ١	سعة المملكة العباسية
1:4	النفقة على البيعة	٧٣	اشتغال الناس بالزراعة
107 101	اسنئناررجالالدولةبالامواللانفس	٧٠	ثقل الخراج المضروب
78	الخلاصة	۲٨	سائر مصادر الحباية
70	ثروة البلاد الاسلامية وأهايا	٨٩	صدق العال في ارسال المال المجموع
77	المدن الأسلامية		﴿ أسباب قلة النفقة ﴾
		41	قلة الموظفين